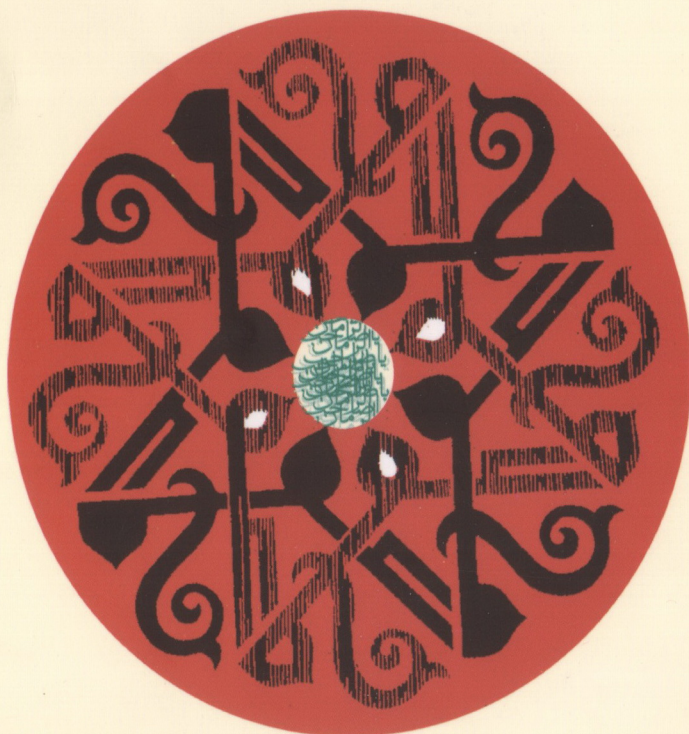




دروس في تاريخ عصر الغيبة

تعريب: انور الرّصافي



دروس في تاريخ عصر الغيبة



مسعود پور سيد آقائي، محمد رضا جباري
حسن عاشوري والسيد منذر الحكيم

تعريب: أنور الرّصافي



دروس في تاريخ عصر الغيبة / تأليف مسعود پورسيد آقاي... [و ديكران]؛ تعريب انور الرصافي؛ [3] المركز العالمي للدراسات الإسلامية، مكتب التخطيط و تدوين المناهج الدراسية. - قم: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٤٢٨ ق. = ١٣٨٥.

٢١٩ ص. - (مكتب التخطيط و تدوين المناهج الدراسية؛ ٨٢)

ISBN: 978-964-8961-88-1 ١٥٠٠٠ ريال

عنوان اصلي: تاريخ عصر غيبت: نگاهی تحليلي به عصر غيبت امام دوازدهم (عجل الله تعالى فرجه الشريف). فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فيفا.

عربی.

کتابنامه: ص. [٢١٥] - ٢١٩؛ همچنين به صورت زیر نویس.

١. محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ٢٥٥ ق. - -- غيبت. ٢. مهدويت -- انتظار. ٣. عباسيان -- تاريخ. ٤. کشورهای اسلامی -- تاريخ -- ١٣٢ - ٦٥٦ ق. ٥. نواب اربعه. ٦. شيعة -- تاريخ. الف. پور سيد آقائي، مسعود، ١٣٣٨ - .. ب. رصافي، انور، ١٣٤٢ - ، مترجم. ج. مركز جهاني علوم اسلامي. دفتر برنامه ريزي و تدوين متون درسي. د. عنوان: تاريخ عصر غيبت: نگاهی تحليلي به عصر غيبت امام دوازدهم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

٢٩٧ / ٤٦٢

BP ٢٢٤ / ٤ / ٢٠٤٣

دروس في تاريخ عصر الغيبة

تأليف: مسعود پور سيد آقائي، محمد رضا جباري، حسن عاشوري،

والسيد منذر الحكيم

تعريب: انور الرصافي

الطبعة الأولى: ١٤٢٨ ق / ١٣٨٦ ش

الناشر: منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية

المطبعة: توحيد ● السعر: ١٥٠٠٠ ريال ● عدد الطبع: ٢٠٠٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

التوزيع:

قم، شارع بهار، قرب هتل الزهراء، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية

هاتف - فکس: ٧٧٤٩٨٧٥ ٢٥١

www.eshraaq.com

E-mail: public-relations@Qomcicis.com

كلمة المكتب

لا شك أنّ وضع مناهج دراسية ذات فاعلية ومرونة لا يتيسّر إلا إذا كانت بمستوى تطلّعات الحياة الحديثة والتطورات الهائلة التي شهدتها العلم في فروع المعرفة لاسيّما في حقل المعلومات والثورة المعلوماتية، والتي بدأت تجتاح كافّة مناحي الحياة وتلحّ على ضرورة وضع مناهج دراسية عصريّة وإعداد متخصصين.

وفي الإطار ذاته فقد أدّى ذبوع الثقافة السلطويّة في العالم والعولمة الثقافية من قبل وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية إلى ظهور مستجدات وشبهات حادّة وعالقة لا يمكن إجهاضها، إلا من خلال إنشاء مراكز تعليمية تأخذ على عاتقها وضع مناهج دراسية عصريّة وتجنيد الطاقات العلمية في سبيل نشر أفكار إيجابية بناءة، وقيم متعالية بأسلوب حديث بغية تحصين عقائد المسلمين من الإنهيار أمام تلك الشبهات.

إنّ انتعاش هذه المراكز رهن نظام تعليمي دقيق وثابت ومجرب، تشكّل البرامج التعليمية والمناهج الدراسية والأساتذة، عموده الفقري.

إنّ فاعلية البرامج التعليمية تكمن في تجاوبها مع متطلّبات العصر، وتوافر الإمكانيات، ومؤهلات الطلاب. كما أنّ تقويم المناهج الدراسية يعتمد إلى حدّ كبير على طرحها لآخر المنجزات العلمية بأحدث الأساليب المتّبعة في التربية والتعليم.

هذه المراكز بحاجة إلى تقويم دائم، وإعادة نظر في مناهجها الدراسية، وتجديدها بأرقى الأساليب ووفق آخر ما وصلت إليه التقنيات العلمية، بغية الحفاظ على مستوى نشاطها العلمي.

إنّ حوزات العلوم الدينية التي تقع على عاتقها مهمة إعداد علماء الدين ونشر المبادئ الإسلامية، غير مستثناة من هذه القاعدة باعتبارها من مؤسسات التعليم الديني. ومن حسن الحظ، فإنّ الحوزات العلمية - وببركة الثورة الإسلامية - أخذت منذ سنوات عدّة تفكّر جدّياً في إصلاح نظامها التعليمي، وتجديد النظر في مناهجها الدراسية.

وانطلاقاً من الشعور بالمسؤولية، قام المركز العالمي للدراسات الإسلامية - الذي يمثل جزءاً من هذه المجموعة، ويضطلع بمهمة تعليم الطلاب غير الإيرانيين - قبل غيره من سائر المؤسسات التابعة للحوزة بإنشاء «مكتب تخطيط وتدوين المناهج الدراسية».

هذا المكتب مع تميمه للجهود المضنية التي بذلها العلماء في سبيل التجاوب مع هذه الحاجة واقتطافه ثمار نتائجهم العلمية، سعى إلى تنظيم المناهج الدراسية وفق برامج جديدة مستوحاة من الأساليب التعليمية المعتمدة على آخر المنجزات العلمية. وقد أنجزت حتى الآن - بفضل همّة وإرادة الباحثين وفضلاء الحوزة - الخطوات الأولى لهذا المشروع من خلال تأليف ما يربو على ثمانين كتاباً دراسياً في مجالات العلوم الدينية - الإنسانية المختلفة.

والكتاب الذي بين يديك دروس في تاريخ عصر الغيبة يمثل أحد النماذج المختارة من هذه الكتب.

ويُعدّ هذا الكتاب خطوة راسخة على هذا الطريق، وجهداً يستحق التقدير بذلته

عدّة من الأساتذة الكرام، وترجمه إلى العربية الأستاذ الفاضل أنور الرصافي، فشكراً
متواصلاً لهم ولجميع الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل.

و في الختام لابدّ من القول: إنّ أيّ عمل لا يكاد يخلو في بداياته من زلّات
وهفوات؛ ولذا فإننا نتطلّع إلى أصحاب العلم والفضيلة الذين نأمل أن لا يضيئوا علينا
بآرائهم الصائبة، فهذا التطلع هو مهمّاز شرونا في العمل، ومبعث أملنا بمستقبل زاهر.

المركز العالمي للدراسات الإسلامية
مكتب التخطيط وتدوين المناهج الدراسية

الفهرس

٥	كلمة المكتب
١٩	١. استعراض المصادر التاريخية لعصر الغيبة
١٩	المقدمة
٢٠	أ) الكتب المدونة في موضوع الغيبة
٢٠	الطائفة الأولى: الكتب التي دوت في عصر الأئمة عليهم السلام وقبل عام (٢٦٠ هـ)
٢٠	١. علي بن مهزيار الأهوازي
٢١	٢. الحسن بن محبوب
٢١	٣. الفضل بن شاذان
٢٢	الطائفة الثانية: الكتب التي دوت في فترة الغيبة الصغرى
٢٢	١. «الغيبة»، تأليف إبراهيم بن إسحاق النهاوندي المتوفى (٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م)
٢٢	٢. «الغيبة والحيرة»، تأليف عبد الله بن جعفر الحميري المتوفى بعد (٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م)
٢٢	٣. «الإمامة والتبصرة من الحيرة»، تأليف ابن بابويه المتوفى (٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م)
٢٣	٤. «الكافي»، تأليف ثقة الإسلام الكليني المتوفى (٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م)
٢٣	الطائفة الثالثة: الكتب التي دوت في موضوع الغيبة بعد عام (٣٢٩ هـ)
٢٣	١. «الغيبة» للنعماني المتوفى (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م)
٢٤	٢. «كمال الدين وتام النعمة» للشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ / ٩٩١ م)
٢٥	٣. «المسائل العشرة في الغيبة»، تأليف الشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م)
٢٥	٤. «الإرشاد»، تأليف الشيخ المفيد
٢٦	٥. «الغيبة»، تأليف الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)
٢٦	ب) الكتب الرجالية

٢٧	ج) الكتب التاريخية
٣١	٢. نظرة اجمالية إلى سيرة الإمام المهدي عليه السلام
٣١	١. ولادته
٣٢	٢. اسمه
٣٢	٣. ألقابه
٣٣	٤. أمه
٣٧	٥. الولادة السرية
٣٨	٦. أوصافه وخصائصه
٣٩	٧. أدوار سيرته عليه السلام
٣٩	أ) دور الاختفاء
٤١	ب) الغيبة الصغرى
٤٢	ج) الغيبة الكبرى
٤٧	٣. استعراض الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في العصر العباسي على مشارف الغيبة الصغرى
٤٧	١. ضرورة البحث
٤٧	٢. عصر العباسيين
٤٨	٣. الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في هذا الدور
٤٨	أ) الوضع السياسي
٤٨	١. انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء
٥٠	٢. نفوذ الاتراك وتسلطهم
٥١	٣ و ٤. العزل والنصب المتكرر ونفوذ النساء
٥١	٥. طغيان الوزراء والأمراء
٥٢	٦. الفتن والاضطرابات الداخلية
٥٢	أ) اضطرابات بغداد
٥٢	الأولى: عام ٢٤٩ هـ
٥٣	الثانية: عام ٢٥٢ هـ
٥٣	ب) اضطرابات سامراء
٥٣	ج) فتنة الخوارج
٥٣	٧. تمرد صاحب الزنج
٥٧	٨. ثورة العلويين

٦٤	٩. الاستقلال الذاتي لبعض المناطق الخاضعة للدولة العباسية
٦٥	١٠. تبدل حقيقة الفتوحات واهدافها
٦٦	ب) الوضع الاجتماعي
٦٧	١. اللهو
٦٨	٢. القصور
٦٨	٣. الاحتفالات
٧٠	٤. مجالس الأنس والطرب
٧٠	٥. العطايا
٧٢	٦. الأظعمة
٧٤	ج) الوضع الفكري
٨٢	المصادر الأصلية
٨٢	المصادر الفرعية
٨٣	٤. الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة على مشارف عصر الفية
٨٣	المدخل
٨٥	أ) الوضع الفكري
٨٧	ب) الوضع السياسي
٨٧	١. انتقال الإمامين العسكريين عليهما السلام من المدينة
٨٧	إلى سامراء، والرقابة الشديدة عليهما
٨٨	٢. أساليب الجهاد السياسي للعسكريين عليهما السلام
٩١	ج) الوضع الاجتماعي
٩١	١. وضع الشيعة
٩١	١ - ١) بلوغ الاتصال بالإمام حداً أدنى
٩٢	٢ - ١) الضغط
٩٢	٣ - ١) الإبعاد عن المناصب
٩٢	٤ - ١) الحرمان من الإمكانيات الاقتصادية
٩٣	٢. الموقع الاجتماعي للإمام عليه السلام ونفوذه
٩٣	نفوذ الإمام الهادي عليه السلام
٩٣	١- نفوذه عليه السلام في البلاط العباسي
٩٤	٢. نفوذه عليه السلام في أوساط الأعيان

٣. نفوذ عليه السلام في أوساط العلويين ٩٥
٤. نفوذ عليه السلام في أوساط أهل المدينة ٩٥
٥. نفوذ عليه السلام في أوساط أهل الكتاب ٩٦
٦. نفوذ عليه السلام في أوساط شيعة سامراء ٩٧
- مكانة الإمام العسكري عليه السلام ٩٧
١. مكانته عليه السلام لدى الخلفاء ٩٧
٢. مكانته عليه السلام لدى الوزراء ٩٨
٣. مكانته عليه السلام لدى الولاة والأمراء ٩٨
٤. مكانته عليه السلام لدى طبيب المتوكل ٩٩
٥. مكانته عليه السلام لدى العلماء ٩٩
٦. مكانته عليه السلام لدى أهل الكتاب ٩٩
٧. مكانته عليه السلام لدى الناس ١٠٠
٨. مكانته عليه السلام لدى الشيعة ١٠٠
٥. تمهيد الأرضية لدخول الشيعة عصر الغيبة ١٠٣
- أخبار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بشأن المهدي عليه السلام وغيته ١٠٣
١. رسول الله صلى الله عليه وآله ١٠٤
٢. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ١٠٥
٣. فاطمة الزهراء عليها السلام ١٠٥
٤. الإمام الحسن بن علي عليه السلام ١٠٥
٥. الإمام الحسين بن علي عليه السلام ١٠٦
٦. الإمام السجاد عليه السلام ١٠٦
٧. الإمام الباقر عليه السلام ١٠٧
٨. الإمام الصادق عليه السلام ١٠٨
٩. الإمام الكاظم عليه السلام ١٠٩
١٠. الإمام الرضا عليه السلام ١١٠
١١. الإمام الجواد عليه السلام ١١٠
١٢. الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام ١١١
- ١٢ - ١) تبين مسألة المهدي وغيته ١١٢
- ١٢ - ٢) الحد من الاتصال المباشر بالشيعة ١١٣

١١٤	١٢-٣) دعم الوكالة.....
١١٤	أ) التعريف اللغوي والاصطلاحي للوكالة.....
١١٥	ب) علل إنشاء السفارة وإدامة نشاطها حتى انتهاء عصر الغيبة.....
١١٦	١. ضرورة الاتصال بين الإمام وأتباعه.....
١١٦	٢. الكبت العباسي وضرورة الحفاظ على الشيعة والتشيع.....
١١٦	٣. إعداد الشيعة لعصر الغيبة.....
١١٧	٤. رفع الحيرة عن الشيعة في عصر الغيبة.....
١١٧	ج) الإطار الزمني والمكاني لنشاط السفارة.....
١١٩	د) وظائف وشؤون جهاز الوكالة.....
١١٩	١. جباية الأموال والحقوق الشرعية.....
١٢١	٢. العناية بالآوقاف.....
١٢١	٣. إرشاد الشيعة ومناظرة المخالفين.....
١٢٣	٤. الدور السياسي للوكالة.....
١٢٤	٥. دور الوكالة في تأمين الاتصال.....
١٢٦	٦. إعانة فقراء ومظلومي الشيعة.....
١٢٦	هـ) خصوصيات جهاز الوكالة.....
١٢٦	١. شروط العضوية.....
١٢٧	٢. سائر خصوصيات جهاز الوكالة.....
١٢٧	الأولى: القيادة.....
١٢٨	الثانية: نقيب الوكلاء.....
١٢٨	الثالثة: الوكلاء المقيمون والمتجولون.....
١٢٩	الرابعة: أصل الخفاء والسرية.....
١٣٠	الخامسة: وسائل الاتصال.....
١٣٠	و) التعريف بثلّة من أهم وكلاء الأئمة عليهم السلام
١٣٧	٦. تاريخ عصر الغيبة الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ).....
١٣٨	الاول: الوضع السياسي والاجتماعي والفكري.....
١٣٨	في عصر الغيبة الصغرى.....
١٣٨	أ) الوضع السياسي.....
١٣٨	١. انتقال الخلافة من سامراء إلى بغداد.....

٢. ظهور القرامطة ١٣٩
٣. تقلص ثورات العلويين وتساعد اجواء الكبت ضد الشيعة ١٣٩
٤. ظهور المهدي في شمال أفريقيا، وتأسيس الدولة الفاطمية في مصر ١٤٠
٥. ظهور الدول المستقلة والمستقلة ذاتياً ١٤٠
- ب) الوضع الاجتماعي ١٤٢
 ١. الاختلافات المذهبية والطائفية ١٤٢
 ٢. الاختلافات القومية والقبلية ١٤٢
 ٣. الفواصل الطبقية ١٤٢
 ٤. اللهو ١٤٣
 ٥. الإسراف والتبذير الواسع ١٤٤
- ج) الوضع الفكري ١٤٤
 ١. ظهور المنهج الأشعري ١٤٤
 ٢. تدوين المصادر الروائية ١٤٥
- الثاني: تاريخ الغيبة وبدايتها ١٤٦
 ١. بداية الغيبة ١٤٦
 ٢. استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ١٤٦
 ٣. قصة السرداب ١٤٧
- الثالث: فلسفة الغيبة ١٤٩
 ١. سر من أسرار الله ١٤٩
 ٢. امتحان الإنسان الصالح وغربلته ١٥٠
 ٣. ظلم الناس ١٥١
 ٤. الانعتاق من بيعة طواغيت الزمان ١٥١
 ٥. الحفاظ على حياة الإمام المهدي ١٥٢
 ٦. الاستعداد العالمي ١٥٢
- الرابع: خصوصيات عصر الغيبة الصفري ١٥٢
- الخامس: وقوع اختلافات بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام وخلفائها ١٥٣
- السادس: نصب النواب الاربعة ١٥٤
- أ) النواب الأربعة ١٥٥
 ١. أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري ١٥٥

٢. محمد بن عثمان بن سعيد العمري ١٥٧
٣. أبو القاسم، الحسين بن روح النوبختي ١٥٧
٤. أبو الحسن، علي بن محمد السمرى ١٥٧
- نكات عذّة حول آخر توقيع للناحية المقدسة ١٥٩
- ب) معيار تنصيب النواب الأربعة ١٥٩
١. التزام الحذر وممارسة التقية ١٦٠
٢. الصبر والمقاومة ١٦١
٣. السفراء اكثر فهما وعقلاً ودراية من الآخرين ١٦١
- ج) كيفية اتصال النواب الاربعة بالشيعة ١٦٢
١. الاتصال غير المباشر ١٦٢
٢. الاتصال المباشر ١٦٣
- د) وظائف النواب الأربعة ومسؤولياتهم ١٦٣
- السابع: نصب وكلاء للمناطق الشيعية في عصر الغيبة الصغرى ١٦٤
- الثامن: الوكلاء الخونة ومدعو النيابة كذباً ١٦٦
- أ) الخيانة والفساد في جهاز الوكالة ١٦٧
١. هشام بن إبراهيم العباسي الهمداني ١٦٨
٢. فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني ١٦٨
٣. عروة بن يحيى ١٦٨
٤. أبو جعفر محمد بن علي السلمفاني ١٦٨
- ب) مدعو النيابة والبايية كذباً ١٧٠
١. أبو عبد الله أحمد بن محمد السياري ١٧١
٢. الحسن بن محمد بن بابا القمي ١٧١
٣. أبو محمد الشريعي ١٧٢
٤. محمد بن نصير النميري الفهري ١٧٢
٥. الحسين بن منصور الحلاج ١٧٣
- التاسع: الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة في عصر الغيبة الصغرى ١٧٤
- أ) الوضع الفكري ١٧٤
- ب) الوضع السياسي ١٧٦
- ج) الوضع الاجتماعي ١٧٧

١٨١	٧. مرور على بعض مسائل عصر الغيبة الكبرى
١٨١	١. تاريخ الشيعة..الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى
١٨١	١ - ١) الشيعة في عصر الغيبة الكبرى
١٨٣	٢ - ١) الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى
١٨٩	٢. الجهاد الفكري والسياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى
١٨٩	١. الجهاد الفكري لعلماء الشيعة في عصر الغيبة
١٩١	١ - ١) الفقه الشيعي ومراحل
١٩١	أ) الفقه في عهد الأئمة
١٩٢	ب) الفقه في عهد الغيبة الصغرى
١٩٣	ج) الفقه في عهد الغيبة الكبرى
١٩٤	١ - ٢) الحوزات العلمية ومراكز الفقه الشيعي في عصر الغيبة الكبرى
١٩٦	٢. الجهاد السياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى
١٩٦	الأول: خلفيات النشاط السياسي
١٩٧	الثاني: مراحل النشاط السياسي
١٩٨	٣. مدعو المهدوية والبايية
٢٠٣	٨. سيرة الإمام المهدي عليه السلام وآثاره
٢٠٣	ختامه مسك
٢٠٣	١. سيرته
٢٠٣	أ) عصر الغيبة
٢٠٤	١. الإطلاع على أحوال الشيعة وأوضاعهم
٢٠٤	٢. إنقاذ الشيعة من المحن وشر الأعداء
٢٠٥	٣. حضور الإمام في أوساط الناس
٢٠٥	٤. الحضور الدائم في مراسم الحج
٢٠٥	٥ و ٦. من جملة الأعمال التي يقوم بها الإمام في عصر الغيبة
٢٠٦	ب) عصر الظهور
٢٠٦	١. السيرة التربوية والاخلاقية
٢٠٦	٢. السيرة الاجتماعية
٢٠٧	٣. السيرة السياسية
٢٠٧	٤. السيرة الاقتصادية

٢٠٧	٥. السيرة العلمية
٢٠٨	٦. السيرة القضائية
٢٠٨	٧. سيرة إحياء السنن
٢٠٨	٨. السيرة النبوية والعلوية
٢٠٨	٩. السيرة الذاتية
٢٠٩	١٠. السيرة الإدارية
٢٠٩	٢. الآثار
٢٠٩	١. الروايات والاحتجاجات
٢١٠	٢. الأدعية والصلوات
٢١٠	٣. الزيارات
٢١١	٤. التوقيعات
٢١٥	فهرس المصادر

استعراض المصادر التاريخية لعصر الغيبة

المقدمة

لاشك في أن البحث في حادثة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام ينطلق من بعدين: عقائدي، وتاريخي.

وقد بدأ جمع غفير من الباحثين منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجري بعقد بحوث في موضوع عصر الغيبة في بعده العقائدي، وظل بعده التاريخي في الهامش، والسبب الذي جعل هذا البعد يأخذ طريقه إلى المباحث الكلامية للشيعة دون البعد التاريخي، هو العلاقة الوثيقة القائمة بين الغيبة والإمامة.

إن ما نرمي إليه في هذا الكتاب هو تسليط الأضواء على البعد التاريخي لهذه الحادثة، فإن الوقوف على الأرضية التاريخية لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام والبحث في سفارة الوكلاء ومراحل تكوينها وسيرها التكاملية والدور الذي لعبته في عصر الغيبة الصغرى، يعتبر من عمدة مباحث البعد التاريخي.

ولأجل الوقوف على تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السلام وتاريخ عصر الغيبة يمكن الاستعانة بالكتب التالية.

(أ) الكتب المدونة في موضوع الغيبة

ب) الكتب الرجالية

ج) الكتب التاريخية

أ) الكتب المدوّنة في موضوع الغيبة

ويمكن لأول وهلة أن نصنّف الكتب التي دوّنت حول الغيبة من الناحية التاريخية إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الكتب التي دوّنت في عصر الأئمة: وقبل عام (٢٦٠ هـ)

لقد قام أصحاب الأئمة عليهم السلام حتى عام (٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م) وهو عام وفاة الإمام العسكري عليه السلام بتأليف أربعمئة كتاب عرفت بـ «الأصول الأربعمئة»^١ وشكّلت هذه الأصول والكتب أساس الجوامع الروائية للشيعنة في القرنين الرابع والخامس، حيث نقلت في بعضها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام حول غيبة الإمام المهدي عليه السلام، وعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى أحاديث علي بن مهزيار (سفير الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام)، والحسن بن محبوب والفضل بن شاذان في هذا الشأن.

١. علي بن مهزيار الأهوازي

علي بن مهزيار الأهوازي من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام المقربين، تولى الوكالة له وللإمام الهادي عليه السلام في الأهواز، وترك في هذا المجال كتابين، هما: الملاحم والقائم، حيث تناول فيهما موضوع غيبة الإمام وقيامه بالسيف^٢، وقد نقل ثقة الإسلام الكليني والشيخ الصدوق معلومات هامة عن أساليب الاتصال بالإمام والنشاط السري للإمامية

١. انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرك الطهراني، ج ٢، ص ١٢٥-١٦٧؛ كليات في علم الرجال، جعفر السبحاني، ص ٤٦٥-٤٦٨؛ المبادئ العامة للفقهاء الجعفرية، هاشم معروف الحسني، ص ٧٦٧٢.

٢. انظر: رجال النجاشي، ص ١٩١؛ الفهرست، الشيخ الطوسي، ص ٢٢٦.

استناداً إلى كتب إبراهيم ومحمد ابني علي بن مهزيار، اللذين كانا من وكلاء الإمام الثاني عشر عليه السلام في الأهواز.^١

٢. الحسن بن محبوب

دَوْن الحسن بن محبوب (المتوفى عام ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م) في موضوع الغيبة كتاب المشيخ، واثبت فيه عدّة حكايات منسوبة للأئمة عليهم السلام، إلا أنّ هذا الأثر عبث به أيدي الزمان، وقد نقل عنه في المصادر الإمامية المتوفرة بين أيدينا.^٢

٣. الفضل بن شاذان

الفضل بن شاذان الأزدي النيشابوري، أحد أشهر علماء الإمامية، كانت له منزلة خاصّة عند الإمام العسكري عليه السلام، وقد جمع كتاباً باسم الغيبة،^٣ ويبدو أنّه نقل أكثر مطالبه من كتاب الحسن بن محبوب.^٤

وبما أنّ وفاة الفضل بن شاذان كانت قبل نحو شهرين من وفاة الإمام العسكري عليه السلام أي عام (٢٦٠ هـ)، فقد استند إلى كتابه العديد من الباحثين نظير الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة، كما لخص بهاء الدين النيلي المتوفى (بعد ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م) ما كتبه الفضل بن شاذان في كتابه الذي أسماه بـ الغيبة.^٥ ويبدو أنّ سلسلة من الكتب: نظير: كفاية المهدي إلى معرفة المهدي تأليف مير لوحى (من اعلام القرن الثاني عشر للهجرة) وكشف الإستار تأليف الميرزا حسين النوري (المتوفى عام ١٣٢٠ هـ) قد ألّفت على غرار كتاب الغيبة للفضل بن شاذان النيشابوري.^٦

١. انظر: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ٢٢.

٢. المصدر السابق، ص ٢٣. ٣. انظر: رجال النجاشي، ص ٢٣٥.

٤. انظر: منتخب الأثر، ص ٤٦٧.

٥. انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٢٠، ص ٢٠١.

٦. انظر: منتخب الأثر، ص ٤٦٧؛ الذريعة، ج ١٦، ص ٨٢؛ التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني

عشر عليه السلام، ص ٢٣.

الطائفة الثانية: الكتب التي دَوّنت في فترة الغيبة الصغرى

لقد دَوّنت آثار في عصر الغيبة الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ) أو ما يقرب منه اعتماداً على ما دَوّن فيما مضى، وكان مصنفوها هذه الآثار من الفقهاء أو النشطاء في العمل السري للسفارة التي كان على رأسها الإمام المهدي عليه السلام وقد ادرجوا فيها معلومات في غاية الأهمية لا يمكن الظفر بها في الكتب التاريخية التي دونت في تلك الفترة، وكنموذج لذلك نشير إلى الكتب التالية:

١. «الغيبة»، تأليف إبراهيم بن إسحاق النهاوندي المتوفى (٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) ادعى نيابة الإمام الثاني عشر عليه السلام في بغداد عام (٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م)،^١ وقد عكس في كتابه المذكور آراء الغلاة حول الغيبة، وقد نقل النعماني المتوفى (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) فيما بعد مادون في كتاب النهاوندي في كتابه المعروف «الغيبة».^٢

٢. «الغيبة والحيرة»، تأليف عبد الله بن جعفر الحميري المتوفى بعد (٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م)

وتتجلى أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان من حواربي الإمامين: الهادي والعسكري عليهما السلام وكان في زمن الغيبة الصغرى من خدام النائب الأول والثاني للإمام المهدي عليه السلام ومع الأسف فقد تلف هذا الكتاب.

٣. «الإمامة والتبصرة من الحيرة»، تأليف ابن بابويه المتوفى (٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) وقد تلف هذا الكتاب أيضاً لكن نجله الشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ / ٩٩١ م)، والشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) نقلوا منه الشيء الكثير.^٣

١. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٠٠. ٢. انظر: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٢٤.

٣. المصدر السابق.

٤. «الكافي»، تأليف ثقة الإسلام الكليني المتوفى (٣٢٩هـ/٩٤٠م)^١

خصّص قسماً كبيراً من كتابه الكافي لمسألة الغيبة تحت عنوان «الحجّة»، وقد ذكر معلومات هامة حول الغيبة والوضع العام للإمامة ما بين (٢٦٠ - ٣٢٩هـ) مؤكداً على أهمية دور نواب الإمام الثاني عشر عليه السلام في تلك البرهة الزمنية، كما اثبت في كتابه القيم «الكافي» أحاديث متعددة عن الأئمة عليهم السلام حول غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، رواها عن:

الحسن بن محبوب المتوفى (٢٢٤هـ/٨٣٧م)

عبد الله بن يعقوب العصفري المتوفى (٢٥٠هـ/٨٦٤م)

الحسن بن سماعة المتوفى (٢٦٣هـ/٨٧٧م)

ومما يجدر ذكره أنّ وكلاء الإمام المهدي عليه السلام كانوا المصدر الأساسي للمعلومات التي دوّنها الكليني في كتابه الكافي.

الطائفة الثالثة: الكتب التي دوّنت في موضوع الغيبة بعد عام (٣٢٩هـ)

تعتبر حادثة الغيبة الكبرى في عام (٣٢٩هـ) انعطافاً كبيراً في تاريخ الشيعة الإمامية. وقد أثار طول الغيبة الكبرى شبهات عديدة كانت تنتظر إجابات حاسمة الأمر الذي دعا إلى وضع تأليف تختلف في أسلوبها عمّا مضى من الكتب ومن هنا تصدّى فقهاء الشيعة وأعلامهم لهذا الأمر وخلفوا آثاراً قيمة. وتعتبر الآثار التي دوّنت في هذه الفترة أساساً للعقائد الإمامية في موضوع الغيبة. ومن جملة هذه الآثار:

١. «الغيبة» للنعماني المتوفى (٣٦٠هـ/٩٧٠م)

محمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بـ «ابن أبي زينب» والنعماني من أهالي مدينة النعمانية في محافظة واسط بالعراق. وقد غادرها إلى بغداد، حيث تتلمذ على يد ثقة

١. ثمة شكوك حامت حول زمن وفاة الكليني وردت في الصفحة الأولى من النسخ المطبوعة للكافي.

الإسلام الكليني وابن عقدة المتوفى (٣٣٣هـ/٩٤٤م)، وألف كتاب «الغيبة» إبان الحيرة التي اعترت الشيعة بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، حاول فيه إثبات ضرورة غيبة الإمام المهدي عليه السلام عبر نقل أحاديث عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام عن غيبة المهدي عليه السلام، وقد استقى أكثر معلوماته من القدماء الذين كتبوا في هذا الحقل دون أن يأخذ بنظر الاعتبار توجهاتهم العقائدية أو المذهبية.

ويتجلى الدور الريادي للنعماني بعد المسعودي المتوفى (٣٤٦هـ/٩٥٤م) في أنه أول من فسر أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام الدالة على أن للقائم غيبتين من كتاب الكافي، وذكر فيه أن الغيبة الأولى قصيرة أمدّها تستمر حتى عهد النائب الرابع للإمام عليه السلام، أي عام ٣٢٩هـ، والغيبة الثانية تبدأ من السنة ذاتها بعد وفاة السفير الرابع،^١ وقد شكّل هذا التفسير أساس الفكر الشيعي في موضوع الغيبة.

٢. «كمال الدين وتمام النعمة» للشيخ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ/٩٩١م)
صنف محمد بن علي بن بابويه المعروف بـ«الشيخ الصدوق» كتاباً نفيساً في الغيبة، استند فيه إلى أهمّ المصادر الشيعية المدوّنة قبل عام ٢٦٠هـ.^٢
وقد تمكن الشيخ الصدوق بحكم أن أبيه من كبار الفقهاء ووكيل للإمام عليه السلام في قم، أن يحصل على معلومات ثمينة حول العلاقات الخفية بين الوكلاء والإمام عليه السلام بواسطة النواب الأربعة، وقد ذكر الحافز الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب، لما قال:
«فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيما خلّفت ورائي من أهل وولد وأخوان ونعمة إذ غلبني النوم فرأيت كأني بمكة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا في الشوط السابع عند الحجر الأسود استلمته واقبلته.... فأرئى مولانا القائم صاحب الزمان واقفاً بباب الكعبة.... فسلمت عليه.

فرد عليّ السلام، ثم قال: لم لاتصنف كتاباً في الغيبة حتى تكفي ما قد همك؟

١. الغيبة، النعماني، ص ٩١-٩٢.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، ص ١٩.

فقلت له: يا ابن رسول الله، قد صنفت في الغيبة أشياء.
فقال عليه السلام: ليس على ذلك السبيل، أمرك ان تصنف الآن كتاباً في الغيبة، وإذكر فيه غيبات الأنبياء عليهم السلام.

ثم مضى صلوات الله عليه.
فانتبهت فرعاً إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى إلى وقت طلوع الفجر، فلما أصبحت ابتدأت في تأليف هذا الكتاب ممثلاً لأمر ولي الله وحبته مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه.^١

وكتاب «كمال الدين وتمام النعمة» هو في الواقع دائرة معارف روائية صنفت فيه المواضيع التي تمت إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام في ترتيب خاص.

٣. «الفصول العشرة في الغيبة»، تأليف الشيخ المفيد المتوفى (٥٤١٣/ ١٠٢٢ م)
محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، أحد كبار المتكلمين ومن مراجع التقليد للشيعة الإمامية، راج في زمانه التعمق في المباحث الكلامية للغيبة وانطلاقاً من ذلك فقد صنّف خمس رسائل في الدفاع عن غيبة الإمام المهدي عليه السلام، كما وضع تأليفاً مستقلاً في هذا الصدد تحت عنوان «الفصول العشرة في الغيبة»، وقد زدنا هذا الأثر بمعلومات قيّمة حول الظروف التاريخية التي أحاطت بحياة الإمام المهدي عليه السلام قبل عام (٢٦٠ هـ).

٤. «الإرشاد»، تأليف الشيخ المفيد
انتهج الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد أسلوب الكليني والنعماني في نقل الحديث. وأثبت فيه قبل كل شيء وجود الإمام الثاني عشر عليه السلام ثم انبرى لتوجيه طول عمر الإمام بالنسبة لطول عمر الإنسان العادي.

١. انظر: المصدر السابق، المقدمة.

جدير بالذكر إن كتاب الإرشاد قد تطرق أيضاً إلى سائر الأئمة عليهم السلام إضافة إلى الإمام المهدي عليه السلام.

٥. «الغيبة»، تأليف الشيخ الطوسي المتوفى (٥٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)

محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة أو الشيخ الطوسي، وهو عالم بارز ومشهور تناول مسألة الغيبة في آثاره، وأهم أثر له في هذا المجال هو كتاب «الغيبة»، الذي استعان فيه بالأحاديث والأدلة العقلية في إثبات وجوب غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام.

وذكر معلومات تاريخية موثقة أخذها من كتاب مفقود هو أخبار الوكلاء الأربعة تأليف أحمد بن نوح البصري حول النشاط السري لوكلاء الإمام الأربعة. ويعد هذا الأثر مصدراً أساسياً لمصنفي الإمامية حول غيبة الإمام المهدي عليه السلام ناهيك عن أن المحقق المجلسي المتوفى (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) استفاد منه كثيراً.

ب) الكتب الرجالية

تعد الكتب الرجالية من أهم مصادر التاريخ السياسي للإمام الثاني عشر عليه السلام نظراً لتكريس مباحثها في السيرة العلمية للرواة وجامعي الأخبار وتوجهاتهم العقائدية والسياسية وميزان وثافتهم.

هذه الكتب والمصادر تكشف لنا عن طبيعة العلاقة القائمة بين الأئمة عليهم السلام وأصحابهم ووكلائهم لا سيما علاقة الإمام المهدي بوكلائه، وعلاقة وكلاته بأعلام الإمامية في عصر الغيبة الصغرى، ومن أهم الكتب الرجالية المؤلفة في القرنين: الرابع والخامس الهجري، هي:

١. معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين تأليف محمد بن عمر الكشي.

٢. الفهرست تأليف الشيخ الطوسي.

٣. الرجال تأليف الشيخ الطوسي.

٤. فهرست أسماء مصنفي الشيعة ويعرف برجال النجاشي، تأليف أحمد بن العباس النجاشي المتوفى (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م).

ج) الكتب التاريخية

ثمة مطالب كثيرة في هذا الخصوص نجدها في مصادر التاريخ العام، وسوف نشير هنا إلى أسماء بعض المؤلفين وآثارهم:

«الطبري» المتوفى (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) عاش في عهد الغيبة الصغرى، ومن آثاره المعروفة كتاب تاريخ الأمم والملوك المشهور بتاريخ الطبري، ويخلو هذا الكتاب من أي إشارة لنشاط وكلاء الإمام المهدي عليه السلام مما يشعر باتباعهم منتهى الحيلة والحذر والسرية في تعاملهم، بينما رصد الطبري التحرك السياسي لسائر فرق الشيعة، كالقرامطة والإسماعيلية حتى تأسيس دولتهم عام (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م).

كما رصد أيضاً استغلال تلك الفرق للحديث النبوي حول القائم المهدي؛ بغية تحقيق مآربها في الوصول إلى سدة الحكم طيلة الغيبة الصغرى.

«المسعودي» المتوفى (٣٤٦ هـ) عاش في عهد الغيبة الكبرى وعكس في مؤلفاته - نظير مروج الذهب والتنبيه والأشراف وإثبات الوصية - جانباً من الممارسات القمعية للحكام العباسيين تجاه الأئمة وأتباعهم، وتأثيرات تلك السياسة في وقوع الغيبة.

«ابن الاثير» المتوفى (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) نقل في كتابه الكامل في التاريخ معلومات مفيدة حول دور الغلاة لاسيما السلمغاني في تعميق فجوة الخلافات بين بعض وكلاء الإمام عليه السلام.

ولو تجاوزنا تلك المصادر والمآخذ، فقد صنفت في العصر الحاضر العشرات من التصانيف في موضوع الغيبة وتاريخها والسيرة السياسية للإمام المهدي عليه السلام بحثاً وتمحيصاً وتحقيقاً، وكشفت الكثير من الجوانب الغامضة التي أحاطت بالتاريخ

- السياسي للإمام عليه السلام وسفارة وكلائه السرية، وأزاحت النقاب عن الحقائق التاريخية في ذلك العصر، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى بعض تلك التصانيف:
١. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام تأليف آية الله الصافي گلپایگانی.
 ٢. تاريخ الغيبة الصغرى تأليف الشهيد السيد محمد الصدر.
 ٣. تاريخ الغيبة الكبرى تأليف الشهيد السيد محمد الصدر.
 ٤. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام تأليف وتحقيق الدكتور جاسم حسين.
 ٥. حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام تأليف باقر شريف القرشي.

الخلاصة

لأجل استيفاء البحث في الخلفيات التاريخية لواقعة الغيبة ودور السفارة والوكالة فيها، لابدّ من استعراض مصادر ومنايع البحث، وهي بشكل عام على ثلاثة أقسام:

١. الكتب التي عالجت موضوع الغيبة.

٢. الكتب الرجالية.

٣. الكتب التاريخية.

وبعض الكتب المعاصرة نظير ما دوّنه السيد محمد الصدر، والدكتور جاسم حسين.

الأسئلة

١. صنّف الكتب التي تناولت موضوع الغيبة على أساس المبنى الصحيح، واذكر كتابين لكل مورد.

٢. ماهي المصادر التي استقى منها الكليني معلوماته حول تاريخ عصر الغيبة؟

٣. ماهو أسلوب الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد؟

٤. كيف يمكن الاستفادة من الكتب الرجالية عند البحث التاريخي للغيبة؟

٥. لماذا لا توجد أية إشارة لنشاط وكلاء الإمام عليه السلام في تاريخ الطبري؟

٦. ماهي المعلومات التي استعرضها المسعودي وابن الأثير فيما كتباه حول الغيبة؟

للبحث والتحقيق

١. قارن بين أبواب وفصول كتابي «كمال الدين وتمام النعمة» و«منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر» ووضح وجوه الاختلاف بينهما.

٢. نقل في كتاب الغيبة من الكافي (١ / ٣٣٥ - ٣٤٣)، ٣١ حديثاً في موضوع الغيبة، وورد في أحدها هذا النص: «...فكرت في مولود يكون في ظهري الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملاء الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، تكون

له غيبة وحيرة، يفضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون....» عَيَّن هذا الحديث، واذكر الراوي والمروي عنه.

٣. اذكر أسماء الكتب التي دونتها الواقفية والزيدية قبل عام (٢٦٠ هـ) حول الغيبة من خلال مراجعة كتاب «التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام» للدكتور جاسم حسين، ص ٢١-٢٢.

٤. إذا كان من المقرر أن تكتب مقالاً حول تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السلام فمن أين تبدأ وكيف؟ عَيِّن فصول وأبواب مقالك وبين العلاقة المنطقية بينها.

مصادر البحث

١. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام للدكتور جاسم حسين، ص ١٩-٣٠.
٢. خورشيد مغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ٥٩-١١٠.
٣. معجم كتب الإمام المهدي عليه السلام علي أكبر مهدي پور، ص ٩-١٣.
٤. تاريخ ومناهج التأليف عن القضية المهدوية، تأليف عرفان محمود، ص ٢١٩-٢٥٤، مجلة الفكر الإسلامي، العدد ١٦.

نظرة اجمالية إلى سيرة الإمام المهدي عليه السلام

سوف نستعرض في هذا الفصل سيرة الإمام عليه السلام منذ ولادته، والحوادث التي رافقتها حتى مراحل متأخرة من عمره الشريف بنحو الإيجاز، قبل أن نستعرض بتفصيل تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السلام.

١. ولادته

ولد الإمام المهدي ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في مطلع فجر الجمعة الخامس عشر من شعبان^٢ عام (٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) في سامراء، وقيل^٤: (٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨).

١. كمال الدين، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.
٢. اتفقت أكثر المصادر الشيعية على ذلك.
٣. الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٣٤٦؛ الكافي، ج ١، ص ٥١٤؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٤١-١٤٣؛ كمال الدين، الصدوق، ص ٤٣٠؛ أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٤؛ حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢٩؛ تاريخ ابن خلكان، ج ٣، ص ٣١٦؛ الاتحاف بحب الأشراف، ص ١٧٨؛ ينابيع المودة، ص ٤٥٢؛ تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ١٩٣.
٤. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٦، نقلاً عن كمال الدين.
٥. كمال الدين، ص ٤٣٢؛ إثبات الوصية، ص ٢٣١؛ الكافي، ج ١، ص ٥١٤، ٣٢٩؛ حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢٩؛ التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١٢١.
٦. راجع: هامش تاريخ أهل البيت، ص ٨٨.
٧. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤٣٧؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٣.

١٢٥٨)، وهذا الاختلاف يدلّ على مدى السريّة والتكتم في أنباء ولادته.^٢ وتعدّ ولادة المهدي عليه السلام من مسلّمات التاريخ، وقد صرّح بذلك - إضافة إلى أئمة أهل البيت عليه السلام - وأعلام الشيعة ومؤرخيهم ومحدّثيهم - العديد من محدّثي أهل السنّة ومؤرخيهم، وقد سردت بعض الكتب المعنية بشأن البحث والتحقيق أسماءهم وعناوين مؤلفاتهم فبلغ ٦٥ عالماً.^٣

٢. اسمه

اسمه محمد، وهو اسم جدّه رسول الله ﷺ،^٤ وقد أطبق المؤرخون والمحدّثون كافة على أنّ النبي ﷺ سماه بهذا الاسم،^٥ وهذه التسمية لا تخلو من دليل، بل تفصح عن حقيقة وهي أنّ النبي ﷺ كما أخرج بظهوره البشريّة من الضلالة والجهل، فهكذا نجله الثاني عشر سيخرجها بظهوره من الظلمات والضلال أيضاً.^٦

٣. ألقابه

من ألقابه المشهورة: «المهدي»، «القائم»، «المنتظر»، «الحجّة»، «الخلف الصالح»، «بقية الله»، «المنصور»، «صاحب الأمر»، «ولي العصر»، «صاحب الزمان» وأشهرها المهدي،^٧

١. راجع لمناقشة هذه الأقوال ومدى اعتبارها كتاب التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ١١٥-١٢٢. جدير بالذكر إنّ بعض فرق الأشاعرة تذهب إلى أن الإمام ولد عقب وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام بثمانية أشهر، وهذا الكلام - إلى جانب أنّه يتعارض مع الروايات الكثيرة في هذا الباب - لا ينسجم مع عقيدة الشيعة في أنّ الأرض لا تخلو من حجة (المقالات والفرق، ص ١١٤، الفرقة الثالثة عشرة).

٢. يقول الإمام الرضا عليه السلام: «...حتى يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منا، خفيّ الولادة والمنشأ غير خفيّ في نسبه» الكافي، ج ١، ص ٣٤١.

٣. راجع: خورشيد مغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ١٨-٢٠.

٤. راجع: منتخب الأثر، الصافي گلپايگاني، ص ١٨٢-١٨٤؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢، ٥، ١٥، ٣٧، ٣٨.

٥. حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢٧ نقلاً من عقد الدّرر.

٦. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨؛ الإرشاد، ج ٢، ص ٣٨٤.

٧. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٤؛ حياة الإمام المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢٧؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٨-٤٣؛ يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٧٣.

و ثمة وجه لكل لقب؛ مثلاً: لقب بالمهدي؛ لأنه يهدي إلى الحق، و بالقائم لأنه يقوم بالحق، وبالمنتظر لأن المؤمنين ينتظرون قدومه، وبالحجة لأنه حجة الله على خلقه.^١ و كان نقش خاتمه عليه السلام «أنا حجة الله وخاصته» حسب ما أورده الكفعمي.^٢

٤. أمه

وردت روايات كثيرة بشأن اسم أمه، فذهب المسعودي إلى أن أمه جارية تدعى نرجس،^٣ وذكر الشهيد الأول أنها مريم بنت زيد العلوية الفاضلة،^٤ وقال الشيخ الطوسي (وفق إحدى الروايات) إن اسمها ربحانة وأضاف: وقيل نرجس، وصقيل (صقيل)، وسوسن،^٥ وذكر الشيخ المفيد اسم نرجس فحسب،^٦ وقد ورد في رواية أن حكيمة عمّة الإمام العسكري ذكرت ذلك الاسم،^٧ وذهب بعض المحققين إلى أنه من الممكن أن يكون اسمها نرجس، وأمّا سائر الأسماء ما خلا صقيل^٨ فقد اطلقتها عليها حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام؛ إذ كان العرف السائد في ذلك الزمان هو إطلاق أسامي متعددة على الجوّاري ترحيباً بهنّ،^٩ يشار إلى أن نرجس وريحانة وسوسن أسماء أزهار، وقد ورد عن الشيخ الصدوق رواية تعضد هذا الاحتمال، حيث روى بسنده عن

١. راجع: بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٨-٣١؛ حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢٧-٢٨. ٢. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٤. ٣. إثبات الوصية، ص ٢٤٨.

٤. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٨، نقلاً عن الدروس، جدير بالذكر إن الشهيد أورد هذا القول على نحو قيل.

٥. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤١؛ كمال الدين، ص ٤٣١. ٦. الإرشاد، ص ٣٩٠.

٧. كمال الدين، ج ٢، ص ٩٩؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢.

٨. الصقيل بمعنى الجلاء، وحسب ما أفاده السيد محمد الصدر، فإن أسرة الإمام عليه السلام لما شاهدوا أن آثار الحمل لا تظهر على هذه الجارية، اختاروا اسم صقيل لها إلى جانب أسماء الأزهار، كنرجس وسوسن وريحانة (تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٢٤٣)، وورد في رواية أخرى أنه لسبب الحمل قيل صقيل (كمال الدين، ص ٤٣٢)، قال المحقق المجلسي: «إنما سمي صقلاً أو صقلاً لما اعتراه من النور والجلاء بسبب الحمل المنور، يقال: صقل السيف وغيره، أي جلاه فهو صقيل ولا يبعد أن يكون تصحيف الجمال» (بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٥).

٩. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ١١٤.

غياث بن أسيد، قال: ولد الخلف المهدي عليه السلام يوم الجمعة، وأمه ريحانة، ويقال لها نرجس، ويقال: صقيل، ويقال: سوسن، إلا أنه قيل لسبب الحمل صقيل^١ إنما سمي صقلاً أو صقيلاً لما اعتراه من النور والجلاء بسبب الحمل المنور.

وللسيد الشهيد محمد الصدر تحليل جامع وقيم حول سبب تعدد أسمائها في كتابه^٢. وثمة أقوال أخرى حول انتساب أم الإمام الثاني عشر عليه السلام، فقد ذكر الشيخ الصدوق طبقاً لرواية أنها مليكة بنت يشوعا بن قيصر الروم، وأمها من نسل شمعون أحد حواربي المسيح عليه السلام، وقد وقعت أسيرة بيد القوات الإسلامية، وتم استرقاقها حتى اشتراها رسول الإمام الهادي عليه السلام، كجارية من سوق النخاسين في بغداد وأرسلت إلى الإمام في سامراء^٣.

وجاء في الكافي إن أم القائم جارية نوبية والنوبة بلاد واسعة للسودان^٤ وقد روى النعماني والصدوق أخبار أخرى دالة على أن أم القائم جارية سوداء^٥ وقد روى الشيخ الطوسي رواية^٦ رجحها بعض المحققين،^٧ حيث ورد فيها أنه كان لحكيمة جارية، فلما زارها الإمام وقع عليه نظره على تلك الجارية، فقال: «سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل»^٨.

وبغض النظر عن كل ما قيل فإن النقطة البالغة الأهمية هي أنها كانت من العظمة

-
١. كمال الدين، ص ٤٣٢. ٢. راجع: تاريخ الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، ص ٢٤٢.
 ٣. كمال الدين، ص ٤١٧، وراجع بشأن تحليل ونقد هذا الحديث كتاب التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ١١٤، ١١٥.
 ٤. الكافي، ج ١، ص ٣٢٣، نقلاً عن التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص ١١٥.
 ٥. الغيبة، النعماني، ص ٨٤، ٨٥، ١٢٠؛ كمال الدين، ص ٣٢٩.
 ٦. الغيبة، ص ٢٤٤؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٢، نقلاً عن الغيبة للشيخ الطوسي.
 ٧. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١١٥.
 ٨. الارشاد، ص ٣٩٠، وأيضاً راجع: بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢؛ (نقلاً عن كمال الدين، ج ٢، ص ٨٩)؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٤.

والرفعة بمكان، حتى أصبحت أماً لصاحب الزمان عليه السلام، وكانت حكيمة (هي عمّة الإمام العسكري وعقيلة البيت الهاشمي) تخاطبها بقولها «أنت سيدتي وسيدة أهلي»، ويقولها «بل أخدمك على بصري»^١ وقد اعتبرها النبي صلى الله عليه وآله^٢ وأمير المؤمنين عليه السلام^٣ والصادقين عليهم السلام^٤ أنها خيرة الإماء وأفضلهن.

وفي الختام نرى من المناسب أن ننقل رواية على لسان حكيمة عمّة الإمام العسكري تتضمن تقريراً مفصلاً حول ولادة الإمام عليه السلام.

وقد اشتهرت هذه الرواية بالوثاقة منذ زمن المسعودي المتوفى (٣٤٦هـ).^٥

روى الشيخ الصدوق عن حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام أنها قالت:

بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام، فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه، قالت: فقلت له: ومن أمه؟ قال لي: نرجس، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر، فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجئت فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي، وقالت لي: ياسيدي وسيدة أهلي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولتي، وقالت: ما هذا يا عمّة؟ قالت: فقلت لها: يا بنية إنّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيبدأ في الدنيا والآخرة قالت: فخجلت واستحييت، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي، وهي نائمة ليس بها

١. كمال الدين، ص ٤٢٤، ٤٢٧.

٢. الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٢٧٥ - ٢٧٦؛ الكافي، ج ١، ص ٣٢٣؛ اعلام الوری، ص ٣٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢١.

٣. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٦؛ الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٣٨٢؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٤٧٠، ٤٧٨.

٤. كمال الدين والغيبة للنعماني (نقلًا عن: حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، ص ٢٤٠، باقر شريف القرشي، ص ٢٢).

٥. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١١٩.

حادث، ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصَلت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت اتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان، وهي نائمة فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس، فقال: لا تعجلي يا عمّة، فهالك الأمر قد قرب، قالت: فجلست وقرأت الم السجدة، ويس، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها، فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أتُحسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمّة، فقلت لها: أجمعني نفسك وأجمعني قلبك، فهو ما قلت لك، قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة، فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته إليّ، فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي أبو محمد عليه السلام هلمي إليّ ابني يا عمّة، فجئت به إليه فوضع يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه، ثم أحجم. ثم قال أبو محمد عليه السلام: يا عمّة أذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وأتني به، فذهبت به فسلم عليها ورددته فوضعت في المجلس، ثم قال: يا عمّة إذا كان يوم السابع فأتينا، قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد عليه السلام وكشفت الستر لاتفقد سيدي عليه السلام فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمّة استودعناه الذي استودعته أم موسى موسى عليه السلام.

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست، فقال: هلمي إليّ ابني فجئت بسيدي عليه السلام، وهو في الخرقه ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وثني بالصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وعلي أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين حتى وقف على أبيه عليه السلام ثم تلا هذه الآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَنُرِيدُ أَنْ

نُمْنٌ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَعْلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٢٠﴾ وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِزْءُونَ وَهُمْ مِّنْ جُنُودِهِمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٢١﴾

٥. الولادة السرية

شاع قلق عميق في أوساط خلفاء بني العباس في عهد امامة العسكريين عليه السلام منشأه الأخبار والاحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام التي تبشر بولادة ابن للإمام الحسن العسكري عليه السلام سيكون زوال ملك الجبابة والظلمة على يديه وأنه سيملاً الارض قسطاً وعدلاً،^٣ ومن هنا كان الامامان عليه السلام لاسيما الإمام الحسن العسكري عليه السلام تحت المراقبة الشديدة من قبل الجهاز الحاكم للحيلولة دون ولادة نجله.^٤

وللسبب ذاته ظلت ولادة الإمام المهدي عليه السلام في طي الكتمان ومخفية عن أعين الناس، فمن خصائص ذلك الإمام - حسب ما قاله الإمام الرضا عليه السلام أنه «خفي الولادة والمنشأ» كما ورد في عدة من الاحاديث والأخبار ان المهدي عليه السلام يشبه ابراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام إلى حد بعيد.^٥

يذكر أن أحداً لم ير الإمام المهدي عليه السلام بعد ولادته سوى خواص أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، وذلك في فترات متقطعة، وسوف نشير إلى أسماء من رآه في فترة اختفائه من أصحاب الإمام في الفصول اللاحقة إن شاء الله.

١. القصص، ٥، ٦. ٢. كمال الدين، ص ٤٢٤-٤٢٦.

٣. راجع: منتخب الأثر، الصافي الغلبايجاني، الفصل الثاني، الباب ٢٥ و ٣٤.

٤. روى أبو محمد بن شاذان عن أبي عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب عن أبي محمد عليه السلام قال: (قد وضع بني امية وبني العباس سيوفهم علينا لعلتين احدهما.... وثانيهما انهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على ان زوال ملك الجبابة والظلمة على يد القائم منا وكانوا لا يشكون انهم من الجبابة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وابادة نسله، طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولد القائم عليه السلام او قتله..). منتخب الأثر، ص ٢٩١ وسوف نستوفي البحث عن محاولات الحكومة العباسية للعثور على نجل الإمام العسكري عليه السلام في الفصول القادمة ان شاء الله.

٥. المصدر السابق، ص ٢٨٦ (الهامش).

٦. أوصافه وخصوصياته

ذكر المحدثون والمؤرخون في كتبهم أوصاف الإمام المهدي عليه السلام وخصوصياته استناداً إلى روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليه السلام، وإليك بعض تلك الأوصاف: أنه شاب أكحل العينين، أزج الحاجبين، أقنى الأنف، كث اللحية، على خده الأيمن خال، وعلى يده اليمنى خال، أبيض اللون مشرب بالحمرة، مندحق البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان،^١ وأنه شاب مربوع، حسن الوجه، يسيل شعره على منكبيه، يعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه^٢

ومن أوصافه أيضاً أنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام، وتاسع إمام من نسل الإمام الحسين عليه السلام، وخاتم الأوصياء والمنجي الخاتم، وقائد البشر، وله غيبتان: صغرى وكبرى، وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.^٣ هذا هو المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في أوصافه وخصوصياته مع عشرات العلامات التي ستتحقق قبل ظهوره وفي أثناء ذلك وبعده، وكل هذا يكشف عن حقيقة وهي أن المهدي إمام معين ومنصوص، وكل كلام غير هذا فهو وهم وسراب ليس إلا.

والمهدي عليه السلام مازال غائباً عن الأنظار، فهو خليفة الحق، والولي المطلق وخاتم الأولياء ووصي الأوصياء ومنجي البشر وإمامهم، وهو ثوري ومصلح أعظم، ولما يظهر يستند إلى الكعبة ويحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله، يحيي دين الله، ويطبق أحكامه، وسيظهر بالسيف، ويطهر الأرض من الظلم والجور، ويملأها قسطاً وعدلاً.^٤

١. منتخب الأثر، ص ١٨٥؛ أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٤؛ كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٢٦.

٢. لمزيد الإطلاع على صفات وخصوصيات الإمام المهدي عليه السلام راجع: منتخب الأثر، الباب ٤ إلى ٢٥؛

أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٤؛ الغيبة، النعماني، الباب ١٣، ص ٢١٢؛ كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٦٤-٤٧٠.

٣. المصدر السابق. ٤. خورشيد مغرب، محمد رضا حكيمي، ص ٢٩.

وهو صاحب نهضة وجهاد،^١ وعبادة وتهجد،^٢ وخشوع وخضوع،^٣ وزهد و تقشف،^٤ وصبر وحلم،^٥ وعدل وإحسان،^٦ وعلم ومعرفة،^٧ وهو عدل مبارك زكي.^٨ وسوف نتناول بمزيد من التفصيل سيرته ﷺ التربوية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والإدارية في الفصل الثامن إن شاء الله.

٧. أدوار سيرته ﷺ

يمكن تقسيم مراحل حياته إلى ثلاثة أدوار: الاختفاء، والغيبة الصغرى، والغيبة الكبرى، وأما عصر الظهور وما بعد الظهور فيمكن أن نعدّه من مراحل حياته الشريفة ﷺ حيث يتطرق إليه في المباحث العقائدية.

أ) دور الاختفاء

يبدأ هذا الدور منذ ولادته ﷺ (٢٥٥ هـ) حتى وفاة الإمام العسكري ﷺ (٢٦٠ هـ)، وقد عاش خلال هذه السنوات في كنف والده ﷺ.

وكان للإمام العسكري وظيفتان أساسيتان، أحدهما المحافظة على نجله من كيد الجهاز الحاكم، والثاني إثبات وجوده والإعلان عن إمامته، وقد قام باعبائهما على أتم

١. الجحجاح المجاهد (مفاتيح الجنان، دعاء لإمام العصر ﷺ) القائم المؤمل (المفاتيح، دعاء الافتتاح).
٢. بأبي من ليله يرعى النجوم ساجداً وراكعاً (مكيال المكارم، ج ١، ص ١٢٢).
٣. «خانع لله كخشوع النسر بجناحه» (عقد الذرر، ص ١٥٨) «يكون من الله على حذر ولا يغتر بقرابته من النبي ﷺ» (موسوعة الإمام المهدي، قسم الأخبار الواردة عن النبي ﷺ بشأنه).
٤. «ما لباسه إلا الغليظ وما طعامه إلا الجشب» (بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٤).
٥. «عليه صبر أيوب» (كمال الدين، ص ٣١٠).
٦. «العدل المنتظر» (مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح).
٧. «أوسعكم كهفاً وأكثركم علماً» (بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١١٥)، «إن العلم بكتاب الله وسنة نبيه لينبت في قلب مهدينا، كما ينبت الزرع على أحسن نباته» (كمال الدين، ج ٢، ص ٦٥٣).
٨. «إذ بعث الله رجلاً من أطياب عترتي وإبرار ذريتي، عدلاً مباركاً زكياً» (الملاحم والفتن، ص ١٠٨).

وجه؛ إذ حفظ ابنه، وصرّح بإمامته بمرأى ومشهد من بعض أصحابه ما سنحت له الفرص، حيث تمكن في ظل ظروف سادها القمع والإرهاب من الإعلان عن ذلك أمام ثلّة قليلة من خواص أصحابه كانوا قد اطلعوا على نبأ ولادته، نظير: أبي هاشم الجعفري، وأحمد بن اسحاق، وحكيمة، وخديجة، عمّتي الإمام العسكري عليه السلام.^١

روي عن معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري، أنّهم قالوا: «عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلاً، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أمّا أنكم لا ترونه بعد يومكم هذا».^٢

وقد عزم الإمام العسكري عليه السلام على أن يرسل ابنه إلى مكان آمن، وتنقل الوثائق التاريخية إنّ الإمام أخفى ابنه في سامراء، ثم المدينة، وظل الإمام المهدي عليه السلام هناك تحت رعاية جدّته لأبيه،^٣ وحسب نقل الصدوق فإنّ الإمام العسكري عليه السلام أرسل ابنه بعد أربعين يوماً من ولادته إلى جهة مجهولة، ثم أعاده إلى أحضان أمه.^٤

وطبقاً لنقل المسعودي فإنّ الإمام العسكري عليه السلام استدعى من أمه «حديث» الحج عام ٢٥٩ هـ ومنذ ذلك الحين اتجهت «حديث» مع حفيدها صوب مكة لأداء الحج برعاية أحمد بن المطهر أحد حواربي الإمام عليه السلام،^٥ وما أن أنهوا مناسك الحج حتّى قفلوا راجعين إلى المدينة وهناك اختفى الإمام عليه السلام،^٦ وقد وردت بعض الروايات التي تؤيد ذلك، روى أبو هاشم الجعفري، قال: «قلت لأبي محمد عليه السلام جلالتك تمنعني من

١. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١٢٣.

٢. كمال الدين، ص ٤٣٥؛ كشف الغمّة، ج ٢، ٥٢٧؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥؛ لمزيد الاطلاع على الذين تشرفوا برؤية الإمام عليه السلام في هذا الدور، راجع: منتخب الأثر، ص ٣٥٥-٣٥٨.

٣. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١٢٤.

٤. كمال الدين، ص ٤٢٩. ٥. إثبات الوصية، ص ٢٤٧، ٢٥٣.

٦. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١٢٤.

مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل، قلت: يا سيدي، هل لك ولد؟ فقال: نعم، فقلت: فإن بك حدث فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة.^١

وحسب ما أفاد بعض الباحثين فإن الاحتمال السائد هو أن الإمام عليه السلام أمضى معظم طفولته في المدينة، لأن الإمام العسكري عليه السلام قد أحس بالخطر يواجهه حياة أبنه في العراق.^٢

وسوف نتعرض في المباحث الآتية بمزيد من التفصيل إلى الإجراءات التي قام بها الجهاز العباسي لإلقاء القبض على نجل الإمام عليه السلام

ب) الغيبة الصغرى

بدأت الغيبة الصغرى باستشهاد الإمام العسكري عليه السلام (٢٦٠ هـ) ودامت حتى ٣٢٩ هـ أي: نحو ٧٠ عاماً،^٣ وسميت هذه الغيبة بالصغرى نظراً لقصر أمدها، وكان لها دور هام في تمهيد الشيعة لمسألة الغيبة الكبرى.

وبالرغم من أن الإمام كان مختفياً عن الأنظار، إلا أنه عليه السلام لم يقطع خلال الغيبة الصغرى صلته بالشيعة، بل كان على اتصال بهم عن طريق نوابه (سفرائه) الخاصين، وكانت الشيعة تطرح مشاكلها ومسائله على الإمام عليه السلام بواسطة هؤلاء النواب، ويتم

١. الكافي، ج ١، ص ٣٢٨، ومما تجدر الإشارة إليه أن المراد من المدينة هي مدينة النبي عليه السلام، وإليه ذهب معظم المحققين (راجع: مرآة العقول، العلامة المجلسي، ج ٤، ص ٢) إضافة إلى ذلك فثمة روايات عن الإمام الجواد عليه السلام تعضد ذلك (راجع: الغيبة، النعماني، ص ١٨٥ «فقال إلى المدينة، فقلت أي المدن؟ فقال: مدينتنا هذه، وهل مدينة غيرها»).

٢. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١٢٤-١٢٥.

٣. ذهب الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢، ص ٣٤٠ إلى أن مبدأ الغيبة الصغرى هي ولادة الإمام المهدي عليه السلام ويقول: «أما القصرى منهما فمئذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة والوكالة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة» وعلى هذا فتبلغ مدة الغيبة الصغرى ٧٥ عاماً، والذي دعا الشيخ إلى هذا القول هو انه (عجل الله فرجه) لم يكن له حضور طيلة السنوات الخمس من ولادته وكان غائباً عن انظار عامة الناس.

الحصول على الإجابة من قبلهم، وقد يصل الحال أن يتشرف البعض برؤية الإمام عليه السلام عن طريقهم.^١

وكان هؤلاء النواب -الذين عرفوا بالنواب، أو السفراء الأربعة- على جانب كبير من الزهد والتقوى، ومن أعلام الشيعة، وهم على حسب الترتيب:

١. أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري، من سنة ٢٦٠ هـ حتى وفاته قبل عام ٢٦٧ هـ^٢ وقيل: عام ٢٦٥ هـ^٣

٢. أبو جعفر، محمد بن عثمان العمري، منذ وفاة السفير الأول حتى عام ٣٠٥ هـ

٣. أبو القاسم، حسين بن روح النوبختي، من عام ٣٠٥ هـ حتى عام ٣٢٦ هـ

٤. أبو الحسن، علي بن محمد السمری، من عام ٣٢٦ هـ حتى عام ٣٢٩ هـ

وسياتي في الفصول اللاحقة إن شاء الله الحديث عن سيرتهم، ونشاط كل واحد منهم، والدور الذي قاموا به في بلورة تشكيلات السفارة والوكالة السرية، والتمهيد لقبول الشيعة لواقع الغيبة الكبرى.

ج) الغيبة الكبرى

تشكل الغيبة الكبرى ثالث مرحلة من حياة الإمام المهدي عليه السلام حيث ابتدأت بعد انقضاء الغيبة الصغرى، واستمرت إلى يومنا هذا، وستستمر حتى حصول الاقتضاء التام بأمر الله تعالى، أي تمهيد أرضية قبول زعامته وحكومته العالمية عُدةً وعدداً.

هذه المرحلة هي ساحة رحبة لبلاء الإنسان وغربة المؤمن واختبار الإيمان والعمل، في هذه المدة الطويلة سوف يبقى حجة الله يسطع نوره وراء سحاب الغيبة، كاحتجاب الشمس وراء السحب.^٤

وكما أن الغيبة تنقسم إلى مرحلتين، فهكذا السفارة والنيابة، حيث تنقسم إلى نيابة

١. سرد الشيخ الصدوق أسماء بعضهم في كمال الدين، ص ٤٣٤-٤٧٩.

٢. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ١٥٦.

٣. هاشم معروف الحسني، نقلاً عن المصدر السابق، ص ١٥٥. ٤. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٩٣.

خاصة في زمن الغيبة الصغرى، ونيابة عامة في زمن الغيبة الكبرى. وفي النيابة الخاصة عين الإمام عليه السلام أشخاصاً كنواب عنه، وكان كل نائب يُعرَف للناس من يأتي بعده.

أمّا في النيابة العامة فيتم الاختيار على أساس ضابطة كلية طرحها الإمام عليه السلام، وكل من توفرت فيه هذه الضوابط بنحو أفضل وفي مختلف الأبعاد، يعرف بنائب الإمام عليه السلام، ويتولّى أمور المجتمع في أمر الدين والدنيا نيابة عن الإمام عليه السلام. وهذا المقام وهذه النيابة فوّضت إلى العلماء الواصلين للشروط المتلفة عن الإمام المهدي عليه السلام.

فقد نقل الشيخ الطوسي، والشيخ الصدوق، والشيخ الطبرسي، عن اسحاق بن يعقوب، التوقيع الشريف الصادر عن مولانا صاحب الزمان عليه السلام: وهو «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله»^١. كما نقل الطبرسي في كتابه الاحتجاج رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، قال فيها: «وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه»^٢.

وبهذه الصورة حوّلت أمور المسلمين في عصر الغيبة الكبرى إلى الولي الفقيه، حيث يجب الإشراف من قبله عليها على الرغم من أن منصب الافتاء والقضاء والحكم قد جعل من قبل الفقهاء بإرشاد من أئمة أهل البيت عليه السلام، إلا أن إضفاء الطابع الرسمي على مرجعية وزعامة الفقهاء بدأ منذ ذلك التاريخ، وسيستمر حتى ظهوره عليه السلام. وبعد ظهور المهدي عليه السلام وقيام دولته^٣ سيتم تداول الحكم بيد أولياء الله.^٤

١. الاحتجاج، الطبرسي، ص ٢٨.

٢. الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٤٥٩.

٣. إشارة للآية الكريمة ﴿...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾ (آل عمران، ١٤٠).

٤. «ولاداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة» بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٢؛ كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٦.

الخلاصة

أطبق المؤرخون ومحدثو الفريقين على أن الإمام محمد المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر للشيعة، وآخر وصي للنبي صلى الله عليه وآله، ولد في سامراء فجر جمعة الخامس عشر من شعبان عام (٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ)، ووالده الإمام الحسن العسكري، وأمه نرجس، كانت من أورع النساء وأتقاهن.

من أشهر ألقابه المهدي ما نقش على خاتمه «أنا حجة الله وخاصته».

وله صفات وخصوصيات يمتاز بها عن الأدعياء المزيفين.

تنقسم سيرة حياته إلى عدة أدوار:

١. الاختفاء، ودام خمس سنوات، أي منذ ولادته وحتى استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكانت أخباره خلال هذه المدة ظلت تعتبر من الأسرار التي لا ينبغي البوح بها لتربص الأعداء به، وقد ظفر برؤيته عدد محدود من خاصة أصحاب الإمام.

٢. الغيبة الصغرى واستمرت سبعين عاماً، أي منذ استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وحتى عام (٣٢٩ هـ)، وهي سنة وفاة آخر نائب من نوابه الأربعة.

وتم في هذا الدور طرح مشاكل الشيعة ومساائلهم على الإمام عليه السلام عن طريق نوابه الأربعة، الذين كانوا على جانب كبير من الزهد والتقوى والعلم بين الشيعة، وهم:

(أ) عثمان بن سعيد (من ٢٦٠ هـ حتى ٢٦٥ هـ)

(ب) محمد بن عثمان (من ٢٦٥ هـ حتى ٣٠٥ هـ)

(ج) الحسين بن روح النوبختي (من ٣٠٥ هـ حتى ٣٢٦ هـ)

(د) علي بن محمد السمری (من ٣٢٦ هـ حتى ٣٢٩ هـ)

٣. الغيبة الكبرى، ابتدأت من عام (٣٢٩ هـ) إلى الآن، وستستمر حتى تنهياً مقدمات زعامته للأرض.

في هذا الدور جعل الإمام عليه السلام لنائبه شروطاً وضوابط عامة، وكل من توفرت فيه تلك الضوابط من كل الجهات وفي كافة الأبعاد يعتبر نائباً عنه في إمامة الأمة في أمور الدين والدنيا.

هذا المنصب فوض من قبل الإمام المهدي عليه السلام وسائر الأئمة لذلك العالم الحائز لتلك الشروط.

الأسئلة

١. متى ولد الإمام المهدي عليه السلام وأين؟
٢. كيف تفسر الاختلاف الحاصل في عام ولادة الإمام المهدي عليه السلام؟
٣. إذكر اسم وأشهر ألقاب الإمام الثاني عشر عليه السلام؟
٤. ذكر أنه في أحد الأدوار تشرف أربعين نفرًا من الشيعة برؤية الإمام عليه السلام، أذكر اسم هذا الدور وأهم مميزاته؟
٥. متى وقعت الغيبة الصغرى؟ عين مبدأها ومنتهاها؟
٦. إذكر أسماء النواب الأربعة ومدة سفارتهم.

للبحث والتحقيق

١. ذكر السيد الشهيد محمد الصدر في كتابه تاريخ الغيبة الصغرى تحليلاً جامعاً عن سبب تعدد أسماء أم الإمام الثاني عشر عليه السلام، أكتب هذا التحليل
٢. أورد كل من السيد محمد الصدر في كتابه تاريخ الغيبة الصغرى، والدكتور جاسم حسين في «التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام» تحليلاً بشأن أم الإمام المهدي عليه السلام وأنها من أحفاد قيصر الروم، اكتب هذين التحليلين، وقارن بينهما.

مصادر للبحث

١. بحار الأنوار، ٥١ / ٢ - ٣١.
٢. كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق، ٤١٧ - ٤٧٩.
٣. منتخب الأثر، الصافي الغلباينگاني، الفصل ٣ و ٤، ص ٣٢٠ - ٤٠١.
٤. حياة الإمام المهدي عليه السلام باقر شريف القرشي، ص ٢٠ - ٣٧.
٥. أعيان الشيعة، ٢ / ٤٤ - ٤٩.
٦. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام الدكتور جاسم حسين، ص ١١٣ - ١٢٧.
٧. خورشيد مغرب، محمد رضا حكيمي، ص ١٨ - ٥٠.

استعراض الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في العصر العباسي على مشارف الغيبة الصغرى

١. ضرورة البحث

إنَّ البحث عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية لهذا العصر إبران الغيبة الصغرى ضروري من أجل الوقوف بشكل أفضل على التاريخ السياسي لعصر الغيبة الصغرى، والوصول إلى تحليل موضوعي جامع بشأن هذا الدور، والوقوف على أسباب وخلفيات غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، وبالتالي الوصول إلى عمق مواقف الإمام عليه السلام.

٢. عصر العباسيين

دامت خلافة بني العباس أكثر من خمسة قرون من عام (١٣٢هـ / ٧٤٩م) حتى عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)^١، وقد قام المؤرخون بتقسيم الخلافة العباسية إلى أربعة أدوار^٢ هي:

١. منذ خلافة أبي العباس السفاح وحتى زوال ملكهم على أيدي التتار في بغداد.

٢. التاريخ العباسي، الدكتور إبراهيم أيوب، ص ٢٦-٢٧، وقد قسم بعض المؤرخين العصر العباسي إلى عصرين: العصر العباسي الأول والعصر العباسي الثاني، والعصر الثاني يضم ثلاثة أدوار هي نفوذ الاتراك وآل بويه والسلجوقيين. راجع في هذا الصدد: مطلع العصر العباسي الثاني، تأليف: الدكتورة نادية حسني صقر، ص ٤٦-٤٧.

١. العصر العباسي الأول،^١ أو دور نفوذ الفرس (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م - ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م).
 ٢. العصر العباسي الثاني،^٢ أو دور نفوذ الاتراك (٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م - ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م).
 ٣. العصر العباسي الثالث، أو دور آل بويه من الفرس (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م - ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م).
 ٤. العصر العباسي الرابع، أو دور نفوذ السلاجقة الاتراك (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م).
- وسوف نكرس البحث لدراسة العصر العباسي الثاني، أي من خلافة المتوكل (٢٣٢ هـ)، أو عصر نفوذ الاتراك، وقبل ذلك العصر بقليل أي بدايات نفوذهم إلى جهاز الخلافة في عهد المعتصم (٢١٨ هـ) وتغير مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء، حتى بداية الغيبة الصغرى (٢٦٠ هـ).

٣. الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في هذا الدور

ويمكن تقسيم خصوصيات ومزايا هذا الدور إلى ثلاثة أقسام، هي:
(أ) الوضع السياسي؛ (ب) الوضع الاجتماعي؛ (ج) الوضع الفكري

أ) الوضع السياسي

١. انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء

اختيرت مدينة سامراء،^٣ أو سر من رأى عام (٢٢٠ هـ) من قبل المعتصم العباسي لتكون

١. خلفاء هذا العصر هم: (١) السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ)؛ (٢) المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ)؛ (٣) المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ)؛ (٤) الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ)؛ (٥) الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ)؛ (٦) الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ)؛ (٧) المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ)؛ (٨) المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ)؛ (٩) الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ)؛ راجع: تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ٢٠؛ التاريخ العباسي، الدكتور إبراهيم أيوب، ص ١٠٠.
٢. راجع: تاريخ الإسلام، ص ٢؛ التاريخ العباسي، ص ١٤١، وخلفاء هذا العصر هم: (١) المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ)؛ (٢) المتنصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ)؛ (٣) المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ)؛ (٤) المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ)؛ (٥) المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ)؛ (٦) المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ)؛ (٧) المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٥ هـ)؛ (٨) المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ)؛ (٩) المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ)؛ (١٠) القاهر (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ)؛ (١١) الراضي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ)؛ (١٢) المتقي (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ).

٣. ثمة أقوال في وجه تسمية هذه المدينة بسامراء، راجع: تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ٣٨١-٣٨٢؛ معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٣.

مركز الخلافة الجديد،^١ وقد انشأت بأمره عام (٢٢١هـ / ٣٨٧م)،^٢ وفي السنة ذاتها انتقل إليها وجعلها مقراً لخلافته.

وذهب ابن الأثير إلى أن السبب وراء ذلك هو رغبة المعتصم بعسكره، وكتب يقول: وفي عام (٢٢٠هـ) توجه المعتصم إلى سامراء وبنائها، ويعود سبب ذلك إلى قول المعتصم: «إني اتخوف أن يصبح هؤلاء الحرية ضحية، فيقتلوا غلماني فإذا ابتعت لي هذا الموضع كنت فوقهم، فإن رابني رائب اتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم»^٣ ومنذ عام (٢٢٠هـ) حلت سامراء محل بغداد، كمركز للخلافة العباسية، وبقيت عاصمة للخلافة مدة (٥٩) عاماً، أي إلى عام (٢٩٧هـ)، وقد شهدت هذه المدينة طيلة هذه المدة ازدهاراً ملحوظاً، حتى نقل في كتاب «تاريخ سامراء» إن البناء والعمران فيها امتد إلى ثمانية فراسخ،^٤ إلا أنه بمجرد انتقال الخلافة العباسية إلى بغداد بعد انتهاء خلافة المعتمد عام ٢٧٩هـ أسرع الخراب إليها، وتحولت إلى أطلال إلا ضريحي الإمامين الهادي والعسكري (عليه السلام)، ومكان غيبة الإمام المهدي (عليه السلام).

وقد وصف ياقوت الحموي المتوفى في مطلع القرن السابع الهجري خرائب سامراء التي شاهدها بالنحو التالي:

«وخربت حتى لم يبق منها إلا موضع المشهد، الذي تزعم الشيعة أن به سرداب القائم المهدي، ومحلة أخرى بعيدة منها، يقال كرخ سامراء، وسائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر إليها، بعد أن لم يكن في الأرض كلها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم ولا أنس ولا أوسع ملكاً منها»^٥

١. تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٥؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ٥٤.

٢. الكامل، ابن الأثير، ج ٦، ص ٤٥٢؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ٥٥؛ معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٣.

٣. الكامل، ج ٦، ص ٤٥١.

٤. تاريخ سامراء، ص ٥٦؛ معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٦. هذا الاتساع وإن كان فيه مبالغة إلا أنه يحكي عن ازدهار العمران فيها.

٥. معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٣؛ تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ٣٨٢.

وكانت سامراء قد احتضنت ثمانية خلفاء خلال تلك المدة (٢٢٠ - ٢٧٩هـ)، وهم:

(١) المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ)؛ (٢) الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ)؛ (٣) المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ)؛

(٤) المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨هـ)؛ (٥) المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ)؛ (٦) المعز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ)؛

(٧) المهدي (٢٥٥ - ٢٥٦هـ)؛ (٨) المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ).

وفي عام (٢٧٩هـ) خلف المعتضد المعتمد على سدة الحكم، فنقل مركز الخلافة إلى بغداد مرة أخرى، ولم تعد إلى سامراء أبدًا.

٢. نفوذ الاتراك وتسلطهم

إن من أهم خصوصيات هذا الدور هو نفوذ الاتراك في كافة شؤون الحكم والمراكز الحساسة لاسيما العسكرية، الأمر الذي حدا إلى إطلاق عنوان عصر نفوذ الاتراك على العصر العباسي الثاني، ويعود سبب ذلك إلى ان «ماردة» أم المعتصم كانت من الجواري الترك، وقد لعبت دوراً هاماً في مجيئهم إلى سدة الحكم، وكان لها ميل شديد نحوهم لأجل عدم ثققتها بالعسكر،^١ ورغبة في التخلص من نفوذ الفرس المتفاقم حسب ما ذهب إليه بعض المحققين.^٢

وكانت الشجاعة والبسالة من أبرز خصوصيات الاتراك، وكانت تعوزهم الخبرة في إدارة دفة الحكم والسياسة،^٣ ومما زاد الطين بلة، انعدام الكفاءة لدى الخلفاء وتكالبهم على الدنيا، حتى قبضوا على مقاليد الحكم بيد من حديد،^٤ يقول ابن طباطبا:

١. التاريخ العباسي، الدكتور إبراهيم ايوب، ص ٩٣.

٢. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ١٠.

٣. العصر العباسي الثاني، ص ٥، ١٠؛ تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص ١٠١.

٤. منهم بغا الكبير وابنه موسى بن بغا وأخوه موسى «محمد بن بغا» و«كيغلف» و«باي كيال» و«أسارتكين» و«سيما الطويل» و«ماركوج» و«طباغو» و«اذكوتكين» و«بغا شرابي الصغير» و«وصيف بن باغر التركي».

«لقد استولئ الاتراك بعد قتل المتوكل، وأخذ نفوذهم يتزايد حتى أصبح الخليفة العباسي أسيراً بين أيديهم، يعزلونه و ينصبون غيره، أو يقتلونه متى شاءوا»^١.

٣ و ٤. العزل والنصب المتكرر ونفوذ النساء

إن من معالم ضعف النظام السياسي وتدهوره، هو العزل والنصب المتكرر للخلفاء والمسؤولين دون مبرر، وبالطبع لا ينبغي التغافل عن دور النساء وأمهات الخلفاء المستبدات وتدخلهن في أمور العزل والنصب حيث لا يخفى على أحد الدور الذي لعبته زوجة المتوكل وأم المعتز في عزل «المستعين» وجلوس نجلها «المعتز» على سدة الحكم^٢، وقد ذكر الدكتور «إبراهيم حسن» في كتابه نماذج كثيرة على نفوذ نساء الخلفاء، ودورهن في أمور العزل والنصب^٣.

٥. طغيان الوزراء والأمراء

وكان أكثر الوزراء والأمراء العباسيين يفتقدون الكفاءة، ويتمادون في ظلم الرعية واهانتهم وقمعهم، وهضم حقوقهم، ونهب أموالهم ولم يكونوا يتورعون عن ارتكاب أي عمل، ففي زمن «المتنصر» العباسي المتوفى عام (٢٤٧هـ أو ٢٤٨هـ) خرج وزيره «أحمد بن الخصيب» من داره راكباً فرسه فاتجه إليه شخص يتظلم إليه، فما كان من الوزير إلا أن أخرج رجله من ركابه وركله في صدره فمات في الحال^٤.

وفي زمن الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) صنع وزيره «محمد بن عبد الملك الزيات» تنوراً

١. الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٨١.

٢. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٤٧.

٣. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣٤ وج ٣، ص ٤٤٦، ٤٥١.

٤. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص ٢٧٠، نقلاً عن سيرة الإمام الهادي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢٢٣.

حديدياً تحيط به مسامير أطرافها المدببة إلى داخله ليعذب فيه المخالفين لأوامره، ومن المفارقة أنه هو نفسه قد عذب فيه أربعين يوماً حتى مات.^١

٦. الفتن والاضطرابات الداخلية

عمّت الفتن والاضطرابات في هذا الدور معظم أرجاء الدولة، وسوف نشير بنحو الإيجاز إلى عدد منها:

أ) اضطرابات بغداد

وعلى الرغم من أن بغداد لم تكن مركز الخلافة في تلك الفترة إلا أنها شهدت فتناً واضطرابات عديدة.

الأولى: عام ٢٤٩ هـ

في هذا العام رفع العسكر والشاكرية^٢ في بغداد لواء العصيان، والتف حولهم جمع من الناس مما ساعد على إذكاء الفتنة، أعقبها هجوم المسلحين على الزنانات وإطلاق سراح السجناء، وقد انهدمت قنطرة من قنطرتين معروفتين في بغداد، والتهمت النيران الأخرى، وكان أحد دواعي هذا العصيان هو مواجهة الأتراك الذين قتلوا المتوكل وتسلطوا على مقاليد الحكم.^٣

١. مروج الذهب، ج ٤، ص ٨٨؛ الكامل، ج ٧، ص ٣٧؛ تاريخ الطبري، ج ١١، ص ٢٨، ٦٧، وللمزيد من الاطلاع على ظلم وحيف الوزراء في العصر العباسي، راجع: الفخري لابن طباطبا؛ الوزراء والكتاب للجيشياري؛ مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي؛ تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٢٥٥-٢٦٠؛ مطلع العصر العباسي الثاني للدكتورة نادية حسني صقر، ص ٩٣-١٠٥.

٢. الشاكرية هو اسم العسكر الذي انشأه المتوكل، وقد اختار أفراد من الأمصار المعروفة بعداؤها للعلويين نظير سورية والجزيرة والجل والحجاز وعبنا (التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٨٢).
٣. الكامل، ج ٧، ص ١٢٢.

الثانية: عام ٢٥٢ هـ

قاد هذا العصيان العسكر في بغداد، مطالبين بدفع أجورهم، وقد سيطروا على جسر بغداد ونهبوا الحوانيت المحيطة به، وأشعلوا النار في بعضها.^١

ب) اضطرابات سامراء

وقد وقع في سامراء عصيانان، الأول عام (٢٤٩ هـ)، والثاني عام (٢٥١ هـ)، حيث هجم جماعة لم تُعرف هويتهم على الزنانات عام (٢٤٩ هـ)، وأطلقوا سراح السجناء، وقد هاجمهم عدد من الموالي^٢ والغلمان إلا أن الناس هرعوا إلى مساعدة المتمردين ففرقوا شملهم،^٣ وفي عام (٢٥١ هـ)، رفع الناس لواء العصيان في سامراء ونهبوا سوق صاغة الذهب، دون أن يتمكن حاكم المدينة من إخماد تمردهم.^٤

ج) فتنة الخوارج

بدأ نشاط الخوارج في هذا الدور عام (٢٥٢ هـ) بزعامة «مساور بن عبد الحميد بن مساور شادي البجلي الموصلي»، ودام تمردهم أكثر من (١١) عاماً، أي (من ٢٥٢ حتى ٢٦٣ هـ).^٥

٧. تمرد صاحب الزنج

لا شك أن عصيان صاحب الزنج كان من أخطر الحوادث التي رافقت هذا الدور (عصر الخلافة في سامراء)، وتم القضاء عليه في عهد المهدي والمعتمد،^٦ حتى قيل بان الخطر الذي يهدد الخلافة العباسية من جانبهم أعظم من خطر الانتراك.^٧

١. الكامل، ج ٦، ص ١٦٩-١٧١.

٢. الموالي هم العبيد الذين يشترون من مناطق مختلفة، ويظهرون كفاءة يتقلدون على أثرها مناصب عسكرية ووزارية. ٣. الكامل، ج ٧، ص ١٢٢. ٤. المصدر السابق، ص ١٤٩.

٥. المصدر السابق، ص ١٨٨، ٣٠٩.

٦. تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٣٥٠.

٧. تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص ١٢١.

بدأ هذا التمرد في البصرة واتسعت رقعته حتى وصلت إلى بوابات بغداد، وهيمن على مساحة شاسعة من العراق،^١ وطيلة هذه المدة كانت الخلافة العباسية تعاني من ضعف وفوضى.^٢

في هذه الفتنة لقي العشرات مصرعهم، وهتكت أعراض ونواميس كثيرة، وأضرمت النيران في العديد من المدن.^٣

وقد تزعم هذا التمرد صاحب الزنج في البصرة عام (٢٥٥هـ)، واسمه «علي بن محمد» من بني عبد القيس، وذهب بعضهم إلى أنه فارسي اسمه الأصلي «بهبود»، ولد في قرية «ورزين» من قرى الري،^٤ وادعى كذباً أنه من أحفاد شهيد الإسلام الخالد زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام)؛ لكي يستقطب بذلك الرأي العام إلى جانبه، إذ إن الانتماء إلى أهل البيت كان منطلقاً لحوادث مصيرية في العالم الإسلامي، ورصيلاً لضمان الانتصار، ورمزاً للثورة ضد الظلم والباطل.

وقد ردّ الإمام العسكري (عليه السلام) مقولة صاحب الزنج بقوله: «صاحب الزنج ليس منا أهل البيت».^٥

وقد نشر صاحب الزنج العيث والفساد بين الناس طيلة (١٥) عاماً (١٤) سنة وأربعة

١. المصدر السابق، ص ١٢١.

٢. ثورة الزنج وقاندها علي بن محمد؟؟؟، أحمد العلبي، ص ٦٠ (نقلًا عن كتاب: في التاريخ العباسي والفاطمي، الدكتور أحمد مختار العبادي، ص ١٢٥).

٣. يقال: أنه خلف سقوط البصرة بيد عسكر صاحب الزنج أكثر من ٣٠٠٠٠٠ قتيل، وتم أسر جمع غفير من النساء والأطفال، بنحو أن كل عشر نساء وقعن في سبي فرد من ذلك العسكر (تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص ١٢٧؛ العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٣٠)، كما يقال: أنه ذهب ضحيتها نحو مليون ونصف (العصر العباسي الثاني، ص ٣٣).

٤. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٢٧؛ تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص ١٢٢.

٥. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٢٨؛ سفينة البحار، ج ١، ص ٥٥٩، الدكتور شوقي ضيف، وقد ذكر أدلة جيدة على عدم انتسابه للعلويين، راجع: العصر العباسي الثاني، ص ٢٨.

أشهر)، حتى قتل عام (٢٧٠هـ)، وهو إضافة إلى ادعائه الإنتساب إلى البيت العلوي، كان يدعي أنه قائد الزوج العبيد، وأنه جاء ليحررهم من ظلم وحيف وتعذيب أسيادهم، ومن ضغوط الحكومة عليهم، وقد أطلق على نفسه صاحب الزنج، بغية كسبهم وجذبهم إلى حركته، وهو إضافة إلى رفعه شعار حرية الزوج جعل من أولويات أهدافه إقامة حكومة تضمن حق تملك الأموال والجواري والعبيد،^١ كما واعتقد بعض المؤرخين أن عقائد صاحب الزنج وأفكاره لها جذور في أفكار فرقة الأزارقة والخوارج، ويدعمون هذا النظر بشواهد.^٢

وقد بدأ دعوته بين زوج البصرة ودعاهم إلى نفسه؛ لكي يحررهم من قيود العبودية، ومن هنا التف حول جمع غفير منهم، ثم تلا عليهم خطبة ووعدهم بالحرية والثراء، وأقسم أمامهم على ذلك؛ لكي ينفي عن نفسه تهمة اللجوء إلى الخدعة.^٣ والتحق به جماعات جماعات يتراوح عدد كل منها بين (٥٠ إلى ٥٠٠) شخص، دون أن يقتصر الأمر عليهم، بل التف حوله الفلاحون وأهل القرى وخصوم بني العباس أيضاً.^٤ وكان أسياذ الزوج على استعداد لدفع خمسة دنانير إليه مقابل إرجاع العبيد إليهم، ولما سمع بمطالبهم تلك، أمر كل عبد وزنجي كان حاضراً لديه أن يجلد سيده (٥٠٠) جلدة.

-
١. تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص ١٢٢، ١٢٣، خلافاً لما يتصوره البعض فإن دعوته كانت تخلو من أي فكر اشتراكي، فالأموال كانت لا تقسم بصورة اشتراكية، بل كل أحد يملك ما قبض عليه، ومن العجيب حقاً إن هذه الدعوة لم تحظر العبودية، حتى أن الزنجي كان يسبي عشر نساء، أو أكثر من العرب ملكاً له (راجع: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص ١٢٣).
 ٢. راجع: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٠٨، ١٠٩؛ العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٢٨، ٢٩؛ تاريخ عصر الخلافة، ص ١٢٣، ولمزيد من الإطلاع على فرقة الأزارقة من الخوارج، راجع: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين «الخوارج والشيعه»؟؟؟ للدكتور أحمد محمد أحمد جلي، ص ٦٦. ٣. تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص ١٢٣، ١٢٤.
 ٤. المصدر السابق.

وكانت هذه بداية الفتنة، وقد زاد هذا الإجراء من دوافع العبيد وشغفهم، ممّا دفعهم إلى التفكير بالسيطرة على البصرة، وقد قاوم سكان البصرة تمرد العبيد ثلاثة أيام وقاتلوهم، ولكن العبيد أعطوهم الأمان مكرراً وحيلة، فلما ظفروا بهم قتلوهم عن بكرة أبيهم، ولم ينج من هذه المذبحة إلا القليل، ثم أضرموا النيران في المسجد الجامع، ونقاط أخرى من المدينة، وكانوا إذا ظفروا بالثري نهبوا أمواله وقتلوه، أمّا إذا ظفروا بالفقير فكانوا يقتلوه على الفور، وقد كرروا أعمالهم الشنيعة تلك في مدن عبادان والأهواز وآبله وأبي الخصيب.

وقد اتسع نطاق الفتنة لتشمل عبادان والأهواز ودشت ميشان وواسط ورامهرمز والقرى الواقعة بينها

أرسلت الحكومة على أثرها عدّة قواد منهم «موسى بن بغا» على رأس جيش جرار لمحاربتهم، إلا أنّهم جميعاً أخفقوا في تلك المهمة، ولم يكن بوسع أحد دحر صاحب الزنج، إلا «أبا أحمد الموفق طلحة بن المتوكل» بمعونة نجل «المعتضد»، و«لؤلؤ» مولى «أحمد بن طولون»، الذي ترك سيده والتجأ إلى الموفق.

هذا الانتصار عزز من مكانة «الموفق» ونفوذه حتى أنّه لم يبق لأخيه «المعتضد» الذي كان خليفة سوى الاسم، وظل الموفق على تلك القدرة حتى توفي عام (٢٧٨هـ)، فبايع قواد العسكر نجله «أبا العباس» ولياً للعهد ولقب بـ«المعتضد بالله»، ولا يخفى أنّ قدرة المعتضد وسطوته قد اكتسبها خلال معاركه مع صاحب الزنج، وهو الذي نقل مركز الخلافة إلى بغداد، وأصبح أول خليفة فيها.^١

١. لمزيد من الإطلاع على ثورة صاحب الزنج، راجع: الكامل، ج ٧، ص ٢٠٥-٢٠٦ (وقائع السنوات ٢٥٥ - ٢٧٠ هـ)؛ تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٢٠٩-٢١٣؛ تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٧١؛ حياة الإمام العسكري، محمد جواد طيبي، ص ٢٢٧-٢٨٣؛ العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٢٦-٣٣؛ تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش،

٨. ثورة العلويين

نشبت في هذا الدور عدّة ثورات عمّت أرجاء العالم الإسلامي، قادها العلويون ورفعوا شعار الرضا من آل محمد، وكانت في الواقع نداء اعتراض على الظلم والجور، الذي مارسه الخلفاء ضد الرعية عامة والعلويين خاصّة.

وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب غليظاً على جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، تحمل آل أبي طالب في زمانه مصائب لم يعهدوها من أي خليفة ظالم آخر قبله، فقد ضيق الخناق عليهم، وحاصرهم اقتصادياً، وحظر الإحسان إليهم، وكان يعاقب من تخطى ذلك أشدّ عقاب،^١ وكان الناس يجتنبون عن مدّ العون إليهم؛ خشية بطش المتوكل، وقد وصل الفقر والفاقة بهم حدّاً أنّ القميص يكون في جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهنّ عواري حواسر.^٢

وفي الوقت نفسه كان المتوكل يصرف الملايين من الدنانير على مجالسه التي كانت تضم الغلمان والجواري الغانيات

وقد أمر المتوكل عامله على مصر بأن يعامل العلويين وفقاً للبند التالية:

(أ) لايسمح لأي علوي بامتلاك العقارات وركوب الخيل والسفر من الفسطاط إلى مدن أخرى.

(ب) لايسمح لأي علوي بامتلاك أكثر من عبد.

→ ص ١٢١-١٣٠ (ورد في هذا الكتاب سيرة صاحب الزنج وأسباب خروجه وحروبه ونتائجها وأثارها)، عشر ثورات في الإسلام، الدكتور علي حسني الخربوطلي، ص ١٧٢-١٩٠ (أشار في هذا الكتاب إلى علل هذه الثورة وذكر منها ست علل)؛ الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية؟؟؟ (٢٤٧ / ٣٣٤ هـ - ٩٤٦ / ٨٦١ م)، الدكتور فاروق عمر، ص ١٤٣ - ١٦١؛ حركة صاحب الزنج، الدكتور حسين علي ممتحن.

٢. المصدر السابق، ص ٤٧٩.

١. مقاتل الطالبين، ص ٤٧٨-٤٧٩.

ج) لورفعت شكوى ما بين علوي وغير علوي، فينبغي على القاضي أن يبادر إلى سماع دعوى غير العلوي أولاً، ومن ثم يوافق عليها دون إعلام العلوي بذلك.^١

كما منع المتوكل العلويين من زيارة قبر الحسين عليه السلام، والإقتراب من الكوفة، ولم يكتف بذلك، بل أمر بمحو قبر الإمام الحسين عليه السلام، وطمس معالمه عبر حرثه والزرع فيه،^٢ كما فتح المياه على قبر الحسين عليه السلام، ولكن المياه أحاطت بالقبر الشريف ولم تغرقه ومنذ ذاك الوقت سمي بالحائر.^٣

وكان يأخذ كل من اتهم بولائه لعلي بن أبي طالب عليه السلام بالقتل والتنكيل ومصادرة أمواله.^٤ وقد بلغ من حقه وتحامله على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ان عبادة المخنث - وهو من جملة ندمائه - كان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين - يحكي بذلك علياً عليه السلام، - والمتوكل يشرب ويضحك.^٥

وإذا تجاوزنا المتوكل فإن سائر الخلفاء العباسيين قد مارسوا بحق العلويين ظلماً وجوراً، ولم يهدأ لهم بال حتى سفكوا دماء أئمة الشيعة عليهم السلام.

وعلى أية حال فسوف لا نتعرض - في هذا الموجز - إلى دور الأئمة عليهم السلام في بعض

١. آل بويه، ص ٤١٥؛ التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٨٤، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ١، ص ٢٢٨.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٤٧٩؛ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ١، ص ٢٣١؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ١٣٥؛ تاريخ الطبري، ج ١١، ص ٤٤؛ الكامل، ج ٧، ص ٥٥ (كتب عباس القمي في كتاب تنمة المنتهى في تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٧ يقول: قام المتوكل بتخريب الضريح الشريف ١٧ مرة وفي كل مرة يعود الضريح أكثر شموخاً).

٣. حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٢٤٥.

٤. مقاتل الطالبين، ص ٢٢٤.

٥. الكامل، ج ٧، ص ٥٦-٥٥؛ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ١، ص ٢٣٠-٢١٣، لا يخفى أن هذا الفعل الشنيع كان مبعثاً لقتله على يد ابنه المنتصر، راجع: الفخري، ص ٢١٥ (ولاريد أنه كان شديد الانحراف عن هذه الطائفة - آل علي وأهل البيت عليهم السلام - ولذلك قتله ابنه غير وحمية).

الثورات، التي اندلعت لرعاية دعائم الجهاز العباسي، أو للحد من كبت وظلم العلويين وسائر شرائح الناس، وعن إنجازاتها ونتائجها وسائر المسائل المتعلقة بها،^١ ونكتفي بسرد تلك الثورات وأسماء زعمائها منذ بداية خلافة المعتصم حتى نهاية خلافة المعتمد، والتي دامت أزيد من نصف قرن.

١. ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كنيته أبو جعفر واشتهر بلقب «الصوفي»؛ ذلك أنه كان يلبس الصوف، وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد والأخلاق المحمودة، وكان يراعي في قوله جانب العدل والتوحيد ويميل إلى الزيدية الجارودية.^٢

قام في طالقان في عهد خلافة المعتصم، وبعد الحوادث التي وقعت بينه وبين عبد الله بن طاهر،^٣ ألقى القبض عليه عام (٢١٩ هـ) وأرسله إلى المعتصم، وكان قد دعا إلى الرضا من آل محمد،^٤ وذهب جمع من أتباعه إلى أنه مات بالسسم، وذهب جمع آخر إلى إمامته وأنه لم يموت، بل ما يزال حياً، وسيظهر ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه مهدي هذه الأمة.^٥

٢. ثورة محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن

١. راجع: تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٨٨.

٢. الجارودية أتباع أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي، وتعتقد بأن النبي صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة علي عليه السلام وصفاً لأسماء، كما تعتقد بأن الصحابة خرجوا من رتبة الإيمان لعدم بيعتهم للإمام عليه السلام، ويطلق عليها الزيدية أيضاً لذهابها إلى إمامة زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (الفرق بين الفرق، ص ٢٢، الملل والنحل، ج ١، ص ٢١٢).

٣. عبد الله بن طاهر كان والياً وقائداً لعسكر المعتصم في خراسان، التي كانت تضم العراق والري وطبرستان وكرمان، وبلغ خراجها حين موته (٤٨) مليون درهم، توفي عام (٢٣٠ هـ) وله من العمر (٤٨) عاماً (الكامل، ١٣/٧ و ١٤).

٤. مقاتل الطالبين، ص ٤٦٤، ٤٦٥؛ الكامل، ج ٦، ص ٤٤٢.

٥. مروج الذهب، ج ٤، ص ٥٢؛ مقاتل الطالبين، ص ٤٦٤-٤٧٣.

علي بن أبي طالب عليه السلام كنيته أبو عبد الله، وكان فارساً شجاعاً مقداماً وشاعراً، ولد في محلة السويقة بالقرب من المدينة، وكانت دار علي بن أبي طالب عليه السلام، خرج على المتوكل، فأرسل إليه المتوكل أبا الساج على رأس جيش، فتغلب عليه وهدم السويقة وقتل العديد من أهلها وأسر الباقي مع محمد بن صالح وبعثهم إلى سامراء، فأمر المتوكل بسجنه.^١

٣. ثورة يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كنيته أبو الحسين، قام في الكوفة أيام خلافة المستعين عام (٢٥٠هـ)، وكان زاهداً، متقياً، عابداً، عالماً،^٢ شجاعاً، مقداماً.^٣ بادر إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام قبل أن يقوم، وهناك كشف النقاب عن أهدافه، ثم دخل الكوفة وأعلن عن ثورته.^٤ يعتقد بعض المؤرخين أن سبب قيامه هو ما عاناه من شدة الضيق والفقر من قبل المتوكل والأتراك،^٥ بينما نقل أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين خبراً عنه يدل بوضوح على أن هدفه هو رضا الله سبحانه لا غير،^٦ حيث دعا أهل الكوفة إلى الرضا من آل محمد، وقد انضوى تحت لواءه العديد من الناس وشغفوا به حتى أن جمهور بغداد اختاروه ولياً، ولم ينقل لنا التاريخ قط أنهم فعلوا ذلك مع غيره، كما بايعه أعيان الكوفة. حاربه الحسين بن إسماعيل، وتمكن من إلحاق الهزيمة به، وأرسل برأسه إلى «المستعين» في سامراء، ثم أشخص الرأس إلى بغداد ليُنصب هناك ويُشاهد، إلا أنه لم يحدث ذلك قط خشية الناس.^٧

١. معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦، ذيل كلمة سويقة؛ مقاتل الطالبين، ص ٤٨٠، وذهب صاحب معجم البلدان إلى أنه توفي في سجن المتوكل بينما ذهب صاحب مقاتل الطالبين إلى أنه أفرج عنه قبل عامين على وفاته.

٢. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٤٨، وقد ذكر المسعودي أنه قام عام (٢٤٨هـ).

٣. مقاتل الطالبين، ص ٥٠٦. ٤. المصدر السابق، ص ٥٠٦، ٥٠٧.

٥. الكامل، ج ٧، ص ١٢٦. ٦. مقاتل الطالبين، ص ٥٢١. ٧. الكامل، ج ٧، ص ١٢٧-١٢٨.

وبسبب حب الرعية له وشغفهم به، ضجوا بالبكاء عند مقتله، وبكى عليه الكبير والصغير، وأنشدوا فيه أشعاراً،^١ وقد كتب أبو الفرج الأصفهاني، يقول: «وما بلغني أن أحداً ممن قتل في الدولة العباسية من آل أبي طالب رثي بأكثر مما رثي به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه»^٢

٤. ثورة الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قام في طبرستان عام (٢٥٠ هـ)، فخضعت له، ثم استولى على أمل و الري، وقد سعى للاستيلاء على جرجان عام (٢٥٧ هـ)، فنشبت هناك حروب، قُتل فيها خلق كثير، وأخيراً وقعت جرجان في قبضته حتى وفاته عام (٢٧٠ هـ)، فخلفه أخوه محمد بن زيد، فاستولى على الديلم عام (٢٧٧ هـ)، وكانا قد دعوا الناس إلى الرضا من آل محمد عليه السلام، وكان الحسن بن زيد فقيهاً، أديباً، كريماً، كثير الجود.^٣

٥. ثورة الحسن بن علي الحسيني المعروف بالأطروش، خلف محمد بن زيد في حكومة طبرستان، ثم خلفه ابنه الحسن بن القاسم، الذي قُتل في طبرستان على يد «أسفار»، وقد دعا هؤلاء الثلاثة إلى الرضا من آل محمد عليه السلام.^٤

٦. ثورة محمد بن جعفر بن الحسن، قام في الري عام (٢٥٠ هـ)، ودعا الناس إلى الحسن بن زيد حاكم طبرستان، وقد وقع أسيراً لما قاتل أهل خراسان، فأرسلوه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في نيشابور، فأودعه السجن إلى أن مات فيه.^٥

١. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٤٩.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٥١١، واشهر هذه القصائد هي قصيدة علي بن عباس الرومي التي مطلعها:

أمامك فانظر نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج

وذكر أبو الفرج الأصفهاني أن هذه القصيدة طويلة كما نقل في كتابه ما قيل في رثائه من الشعر (انظر:

مقاتل الطالبين، ص ٥١١-٥٢٠؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ١٤٩-١٥١؛ الكامل، ج ٧، ص ١٢٩-١٣٠).

٣. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٥٣؛ الكامل، ج ٧، ص ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ٢٤٨، ٤٠٧؛ مقاتل الطالبين،

ص ٤٩٠. ٤. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٥٣.

٥. المصدر السابق؛ الكامل، ج ٧، ص ١٣٣؛ مقاتل الطالبين، ص ٤٩٠.

٧. ثورة أحمد بن عيسى بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، مع أحد العلويين ويدعى إدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قام في الري في يوم عرفة عام (٢٥٠هـ)، بعد محمد بن جعفر السابق الذكر، ودعا الناس إلى الرضا من آل محمد، ثم قاتل عسكر محمد بن طاهر فحرره واستولى عليه.^١

٨. ثورة الحسن بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بالكركي، أو الكوكبي، قام بقزوین وزنجان عام (٢٥٠هـ)، وطرده عمال الحكومة فيها،^٢ وفي عام (٢٥٢هـ) استولى على الري برفقة صاحب الديلم وعيسى بن أحمد بن علوي، فصالحه أهل الري على دفع مليوني درهم مقابل الانصراف عنها، فوافق،^٣ وأخيراً في عام (٢٥٣هـ) تغلب عليه موسى بن بغا في قزوین فهرب إلى الديلم.^٤

٩. ثورة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قام في الكوفة عام (٢٥١هـ) وطرده منها عامل الخليفة، فأرسل إليه المستعين «مزاحم بن خاقان»، فاستولى على الكوفة وأضرم النيران فيها. يقول المسعودي: «اختفى لما تفرق عنه أتباعه».^٥

١٠. ثورة محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد خلف الحسين بن محمد السابق الذكر، وقام في الكوفة، فاحتال عليه محمد بن طاهر وجعله والياً على الكوفة، وما أن قويت شوكته حتى ألقى خليفة أبي

١. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٥٤؛ الكامل، ج ٧، ص ١٣٤؛ مقاتل الطالبين، ص ٤٩٠.

٢. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٥٤؛ مقاتل الطالبين، ص ٤٩٠؛ الكامل، ج ٧، ص ١٦٥ (وجاء في الكامل إن اسمه حسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، ونقل المسعودي كلا الصورتين).
٣. الكامل، ج ٧، ص ١٧٧.

٤. المصدر السابق، ص ١٨٤. ٥. المصدر السابق، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ مقاتل الطالبين، ص ٥٢١.

الساج القبض عليه، وأرسله إلى سامراء، فتوفي في السجن.^١

١١. ثورة علوي مجهول الاسم في نينوى من أرض العراق عام (٢٥١هـ) وقد قاتله

هشام بن أبي دلف في شهر رمضان، فقتل جماعة من أصحابه وفر إلى الكوفة.^٢

١٢. ثورة اسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي

بن أبي طالب عليه السلام، قام في مكة عام (٢٥١هـ)، ومات في نفس السنة، فخلفه أخوه الذي

يكبره عشرون عاماً، وقد لاقى منه أهل مكة أنواع المحن والمشاق، فأرسل المعتز أبا

الساج لمحاربته، فقتل خلق كثير من جند محمد بن يوسف، فهرب من مكة إلى اليمامة

والبحرين واستولى عليها،^٣ وقد قُتل فيمن قُتل أخوه الحسن بن يوسف، وجعفر بن

عيسى بن اسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي

طالب عليه السلام.^٤

١٣. ثورة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

طالب عليه السلام حيث قام في المدينة بعد اسماعيل بن يوسف^٥

١٤. ثورة علي بن عبد الله الطالبي المعروف بالمرعشي. قام في آمل عام (٢٥١هـ)،

حاربه أسد بن جندان وتغلب عليه، ودخل مدينة آمل.^٦

١٥. ثورة أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا. قام في محلة بين برقة

والإسكندرية عام (٢٥٥هـ)، وادعى الخلافة، أرسل أحمد بن طولون أمير مصر جيشاً

لمحاربته، ولما اشتد وطيس الحرب انهزم أتباع ابن طباطبا وبقي هو وحده يقاتل،

فثبت وقاوم حتى قُتل، فُبعث برأسه إلى ابن طولون،^٧ الذي أرسله بدوره إلى المعتمد.^٨

١. مقاتل الطالبيين، ص ٥٢٢. ٢. الكامل، ج ٧، ص ١٦٥.

٣. المصدر السابق، ص ١٦٥، ١٧٧؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠ (وقد ذكر المسعودي أنه

قام عام ٢٥٢هـ)؛ مقاتل الطالبيين، ص ٥٢٤.

٤. مقاتل الطالبيين، ص ٥٢٤، ٥٢٥. ٥. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٨٠.

٦. الكامل، ج ٧، ص ١٦٣. ٧. المصدر السابق، ص ٢١٧. ٨. مقاتل الطالبيين، ص ٥٣٦.

١٦. ثورة علي بن زيد، وعيسى بن جعفر العلوي. قاما في الكوفة عام (٢٥٥هـ)، فأرسل إليهما المعتز جيشاً، فانهزما بعد تفرق أصحابهما.^١

١٧. ثورة علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قام في الكوفة عام (٢٥٦هـ) واستولى عليها وطرده عامل الخليفة عليها، أرسل «المعتز» إليه عسكرياً إلا أنه مُني بالفشل، فأرسل آخر، وفي هذه المرة قُتل ذلك العلوي وجماعة من أصحابه، ووقع من نجا منهم في الأسر.^٢

١٨. ثورة إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بابن الصوفي، قام في مصر عام (٢٥٦هـ)، فاستولى على «اسنا»، ثم انتشرت ثورته إلى سائر المدن، فأرسل إليه أحمد بن طولون حاكم مصر جيشاً إلا أنه هُزم، ثم أرسل جيشاً آخر فنشبت بينهما معركة ضارية، قُتل فيها جمع غفير من أتباع ابن الصوفي، الذي فر مختفياً في الأدغال والغابات،^٣ ومكث فيها حتى عام (٢٥٩هـ). فقام بمصر تارة أخرى ودعا إليه الناس، فأرسل ابن طولون إليه عسكرياً فتمكن من اخماد ثورته، وفر ذلك العلوي إلى مكة، فألقى والي مكة القبض عليه، وبعثه إلى ابن طولون الذي جال به في المدينة، وسجنه ومكث فيه حتى أطلق سراحه، واستقر في المدينة وتوفي فيها.^٤

٩. الاستقلال الذاتي لبعض المناطق الخاضعة للدولة العباسية

إنَّ ما نقل عن الوضع السياسي للعباسيين كان يمتدُّ إلى أوضاعهم الداخلية، وأمَّا الوضع السياسي للبلدان والمناطق الخاضعة لنفوذهم، فيمكن القول بأنَّ أغلبها نال استقلالاً ذاتياً بنحو أن كثيراً من عمالهم في الأمصار الإسلامية الواسعة لم يكونوا يدينون بالولاء

١. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٨٠؛ البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٦.

٢. الكامل، ج ٧، ص ٢٣٩، ٢٤٠؛ مقاتل الطالبين، ص ٥٢٨. ٣. الكامل، ج ٧، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

٤. المصدر السابق، ص ٢٦٣-٢٦٤.

للحكومة المركزية، فإن أبدوا الرغبة اظهروا الطاعة والا فلا، وكانوا يشنون الحروب متى ما شاؤوا ودون اذن الخليفة، وهذا يعتمد إلى حد كبير على رغبتهم وميلهم في فتح البلدان واتساع رقعة نفوذهم.^١

ونذكر هنا - بغية الاحتراز عن التطويل - نذكر فقط أسماء المناطق التي تمتعت بالحكم الذاتي، وهي: الاندلس و شمال افريقيا و إيران و مصر و سورية و الموصل.

١٠. تبدل حقيقة الفتوحات واهدافها

لاشك في ان الهدف من الفتوحات في الإسلام كان يقوم على تحرير الناس من قيود العبودية والظلم وبسط الحكم الاسلامي في المناطق المفتوحة، ولم يرقم على القتل والانتقام وكسب الغنائم، ومن هنا فالواجب يحتم على الفاتحين دعوة الناس إلى الإسلام وبيان رسالته قبل محاربتهم، إذ أن الجهاد في الإسلام له أهداف وأداب خاصة مسطورة في الكتب،^٢ ولكن هذه الأهداف والآداب غابت عن أنظار الفاتحين في ذلك العصر. وابتعدت هذه الفتوحات عن الأهداف الأصلية التي رسمها الإسلام، فلا دعوة للإسلام لا قبل الحرب ولا بعدها، مع أن وجوب الدعوة من الوضوح بمكان في الشريعة، فقد كان الأسراء يُقتلون خلافاً للموازين الإسلامية، وتُقطع الأشجار وتُضرع النيران في المدن.

وقد ذكر ابن الأثير نموذجاً لذلك، حيث يقول:

«في عام (٢٤٨ هـ) أغزى المنتصر وصيفاً التركي إلى بلاد الروم، وكان سبب ذلك أنه كان بينه وبين أحمد بن الخصيب شحنة وتباغض، فحرّض أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف وأشار عليه بإخراجه من عسكره للغزاة، فأمر المنتصر بإحضار وصيف.... فكان معه اثنا عشر ألف رجل.... ولما سار وصيف كتب إليه المنتصر يأمره

١. تاريخ الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، ص ٣٤٨. ٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ١١.

بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو في أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأيه»^١
وحاصل الكلام إن أهداف هذه الغزوات والحروب لم تكن إسلامية، بل كانت تدور
حول محاور أخرى، نظير: المشاجرات السياسية، والبغض والعداء الشخصي وغيرها.

(ب) الوضع الاجتماعي

المراد بالوضع الاجتماعي هو بيان وضع الشرائح المختلفة للمجتمع بلحاظ الدين
والعرق والمنزلة الاجتماعية، والقدرة والشوكة والنفوذ، وصلة هذه الشرائح بعضها مع
بعض، وبيان العادات والتقاليد والأعياد والاحتفالات والأساطير والمنازل والملابس
والمأكولات والمشروبات، وغير ذلك من مظاهر المجتمع المنفتح^٢
ولا تتلخص المزايا الاجتماعية في هذا الدور فيما سردناه^٣ والتي أدت بدورها إلى
تعميق الفواصل الطبقيّة في المجتمع، بل ثمة مزايا أخرى سوف نشير إليها في هذا
الموجز.

لقد أدى عدم كفاءة الخلفاء - في هذا الدور - وانغماسهم في اللهو والفسق وليالي
السمر والإسراف، الذي لا يقف عند حد، إلى تقسيم المجتمع إلى طبقتين: طبقة ثرية
للمغاية، وأخرى فقيرة معدمة، تشكل غالبية الناس^٤ وبلغ التفاوت الطبقي ذروته بين
الخلفاء وعمّالهم من جهة، وبين الرعية من جهة أخرى.

١. الكامل، ج ٧، ص ١١١-١١٢؛ تاريخ الطبري، ج ١١، ص ٧٤.

٢. راجع: تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ٣٩٥.

٣. للمزيد من الإطلاع على الأوضاع الاجتماعية لهذا الدور، راجع: العصر العباسي الثاني، الدكتور
شوقي ضيف، ص ٥٣ - ١١٤؛ وتاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٢٢-٤٦٢.

٤. على الرغم من أن الدكتور شوقي ضيف يذهب إلى طبقة أخرى متوسطة إضافة إلى هذين
الطبقتين (العصر العباسي الثاني، ص ٥٣، ٦٢ - ٦٤) إلا أنه يعترف أن المجتمع من الناحية
الاقتصادية ينقسم إلى طبقة غنية وأخرى فقيرة (المصدر السابق، ص ٦٩) وسوف نمضي على هذا
التقسيم دون أن نأخذ بالحسبان الطبقة المتوسطة نظراً لقلتها.

ولا بأس هنا من الإشارة إلى قصور الخلفاء ولهوهم وإسرافهم والأعياد والاحتفالات التي أقاموها، وهباتهم التي يغدقونها دون حساب لذويهم، أو نسائهم، أو لحفلات السمر من مغنين، وجوارٍ راقصات، ومغنيات، ومهرّجين، إضافة إلى الملابس الفاخرة والمطرزة بالذهب، والموائد المملوءة بأنصاف الطعام، كما سوف نشير أيضاً إلى وضع الوزراء وعمالهم وما اختلسوه من ثروة، ولاريب إنّ الإشارة إلى كل هذا لايسعه هذا المختصر، فلنكتف ببعض الشواهد.

١. اللهو

اللهو قاسم مشترك بين الخلفاء العباسيين قاطبة،^١ فالحكايات التي تنقل عنهم في اللهو والمجون وحفلات السمر ومجالس الأنس أوضح من أن تحتاج إلى شاهد أو مثال، وكتب التاريخ والأدب^٢ مترعة بها،^٣ فقد قضى خلفاء بني العباس معظم حياتهم المخزية بين أقذاح الخمر وأحضان الغانيات والنديمات، وكانوا يفضلون أن تهدى إليهم خمر معتقة وجوارٍ غوان^٤

١. يمكن أن نستثني منهم المهتدي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) الذي كان يقول لمن جاء يعاتبه على تزهده: «كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز، وكان من التقلل والتقصيف على مابلغك، فغرت على بني هاشم فأخذت لنفسي بما رأيت» تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص ٣٦١.

وقد نقل عنه المسعودي في مروج الذهب، ج ٤، ص ١٨٩، قوله: «يا بني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز، فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية»، يقول الدكتور شوقي ضيف: لعل سيرته الحسنة تلك أدت إلى حنق الأتراك عليه، فخلعوه ونصبوا أخيه المعتمد (العصر العباسي الثاني، ص ١٧).

٢. راجع الأغاني، في سيرة شعراء هذا الدور كأبي نواس (١٤٥ - ١٩٨ هـ)؛ تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) الدكتور شوقي ضيف، ص ٤٤٣-٤٧٢؛ تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص ٢٩٦ - ٣١٥ وأيضاً ص ٣٢٧ عند ترجمة الحسين بن الضحاك (١٦٢ - ٢٥٠ هـ).

٣. راجع: الكامل، ج ٦ و ٧؛ تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢ و ٣؛ تاريخ الخلفاء، السيوطي.

٤. راجع: حياة الإمام المهادي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٤٧٧، ٤٧٨.

فالمتموكل مثلاً قد بلغت الوقاحة به حداً أنه ناول الإمام الهادي عليه السلام كأس الخمر التي كانت بيده لما جيء بالإمام عليه السلام إليه، فقال عليه السلام: والله ما خامر لحمي ودمي فاعفني منه فعفاه، ثم قال له: أنشدني شعراً أستحسنه فاعتذر الإمام عليه السلام، وقال: إنني لقليل الرواية للشعر فألح عليه ولم يقبل له عذراً، فأنشده شعراً، فأخذ المتموكل يبكي بكاءً عالياً حتى بليت دموعه لحيته وبكى الحاضرون لبكائه، وتحول مجلس أنسه إلى عزاء.^١

٢. القصور

لقد أولع خلفاء بني العباس ووزرائهم وعمالهم بتشييد القصور الفاخرة،^٢ وكانت تلك القصور أشبه بمدن كبيرة فيها روضات غناء، وأنهار وأبنية عديدة وفارحة،^٣ وكان للمتموكل أكثر من قصر، ذلك أنه كلما فرغ من بناء قصر أمر بتشييد آخر، حتى بلغ مجموع ما أنفق عليها ٢٧٤٠٠٠٠٠٠ درهم.^٤

٣. الاحتفالات

لقد استأثرت الاحتفالات ومجالس الأنس والطرب باهتمام كبير لدى الخلفاء العباسيين، سواء في العصر الأول، أو العصر الثاني،^٥ ولم تكن للأموال التي تنفق على هذه المجالس حد ولا حصر، وإليك هذه الشواهد من كلا العصرين:

- أنفق المهدي العباسي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) في حفل زواج ابنه هارون من زبيدة ما يقرب عن ٥٠٠٠٠٠٠٠ درهم، وقد ارتدت زبيدة في ليلة زفافها قميصاً مرصعاً بجواهر

١. مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٤؛ مرآة الجنان، ج ٢، ص ١٥٩؛ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ١، ص ٢٣١؛ تاريخ ابن خلكان، ج ٢، ص ٤٣٤.

٢. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٠٧.

٣. المصدر السابق، ص ٤٣٥؛ العصر العباسي الثاني، ص ٥٦.

٤. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٥٥؛ الديارات، الشابستي، ص ١٥٩.

٥. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧.

ملوكية لم تر العين مثلها من ذي قبل، حتى عجز أهل الخبرة عن تقييمها نظراً لثمنها الباهظ.

ولم يقف إسراف المهدي العباسي وتبذيره لبيت المال عند هذا الحد، بل أنه اشترى ياقوتة حمراء بمبلغ ٣٠٠٠٠ دينار، وهو ثمن غال جداً في ذاك العصر، ثم أضاف عليها الكيس تلو الكيس من الذهب وأهداها إلى ابنه الهادي حينما قبل يديه.^١ - أنفق المتوكل في حفلة ختان أقامها على شرف ابنه عبد الله المعترز، أموالاً طائلة، وقد ذكر المؤرخون إن ما أنفق في تلك الحفلة بلغ ٨٦٠٠٠٠٠٠ درهم.^٢

وقد علق الدكتور شوقي ضيف على ذلك بقوله:

«وعلى هذا النحو كانت ملايين الدنانير والدرهم تنفق بدون حساب، وبدون أي رقابة في حفلات القصر، وهي حفلات أمدت القصص في كتاب ألف ليلة وليلة بكل ما يقع في الخيال الواهم من بذخ وترف لا ضفاف له، وبدلاً من أن توجه هذه الملايين إلى مرافق الشعب وحاجاته، أو إلى إعداد الجيوش في حروب الترك والبيزنطيين، كانت تبدد هذا التبدد الأحق، والشعب يكدح ويشقى ويسيل عرقه مدراراً، ويتجرع غصص البؤس والحرمان ليعبث المتوكل وغير المتوكل بأمواله، فإذا القصور شماء تبنى وينفق فيها الملايين تلو الملايين، وإذا هي تستحيل إلى مقاصف يدور فيها الكأس والطاس وتنثر حمول الذهب والفضة».^٣

يقول المسعودي: «أنه لم تكن النفقات في عصر من الأعصار ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل».^٤

١. الداريات، الشابشتي، ص ١٠٠.

٢. بين الخلفاء والخلعاء، الدكتور منجد صلاح الدين، ص ٣٣ - ٣٥؛ العصر العباسي الثاني، الدكتور

شوقي ضيف، ص ٦٧-٦٨. ٣. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٦٨.

٤. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٢٢، لمزيد من الإطلاع على الإسراف والتبذير الذي لاحد له ولا حصر

٤. مجالس الأُنس والطرب

المجالس الليلية التي كان يعقدها العباسيون، والصلوات التي كانوا يبذلونها دون حساب إلى الغلمان والجواري الغانيات والمطربات، ومجالس اللهو والشرب بلغت من الشهرة بحيث إنّها أصبحت تمتد قصص ألف ليلة وليلة، هذه المجالس تعج باللهو والفجور،^١ وكانت قصور الخلفاء محطاً للأُنس، ومجالس شرب الخمر^٢ حيث يقضي فيها الخلفاء معظم أوقاتهم في السكر والطرب،^٣ ولم تقتصر هذه الحالة على قصور الخلفاء، بل عمّت أيضاً قصور وزرائهم وأمرائهم التي أمتت مكاناً لشرب الخمر والرقص والغناء،^٤ وقد قيل: الناس على دين ملوكهم.

ونقل الطبري بأن المتوكل لما فرغ من بناء قصر الجعفري، دعا المطربين والمهزّجين إلى مجلسه وأغدق عليهم ٢٠٠٠٠٠٠ درهم^٥

٥. العطايا

كانت عطايا الخلفاء التي لاحدود لها من بيت المال لا تنحصر بالمطربات والراقصات في مجالس الطرب والشرب، بل شملت أيضاً أمهاتهم وأزواجهن، وكل من يمتّ إليهم بصلة، فقد منح المتوكل لأمه شجاع ٦٠٠٠٠٠٠ دينار سنوياً، وقد خلفت حين موتها ٥٠٠٠٠٠٠٠ دينار ومجوهرات بقيمة ١٠٠٠٠٠٠٠ دينار، وبلغ ريع المحاصيل الزراعية ٤٠٠٠٠٠٠ دينار^٦

→ راجع: العصر العباسي الثاني، ص ٦٧-٧٩؛ وتاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٩.

١. مروج الذهب، ج ٤، ص ٤، (نقلاً عن العصر العباسي الثاني، ص ٦٩).

٢. العصر العباسي الثاني، ص ٩٢. ٣. المصدر السابق.

٤. المصدر السابق، وأيضاً راجع: تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٣٠.

٥. تاريخ الطبري، ج ٩، ص ٢١٢، (نقلاً عن العصر العباسي الثاني، ص ٦٩).

٦. النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، ص ١٦٤.

وقد جمعت أم قبيحة^١ زوجة المتوكل وأم المعتز من وراء زوجها وابنها ثروة طائلة، وقد وجد عندها - بعد مقتل ابنها المعتز لعجزه عن دفع ٥٠٠٠٠ دينار لرواتب العسكر - ١٨٠٠٠٠٠ دينار وثلاثة صناديق مليئة بالجواهر من زمرد وياقوت، وجواهر ثمينة عزّ نظيرها،^٢ تقدّر بـ ٢٠٠٠٠٠٠٠ دينار.^٣

وبغض النظر عن كل ما قيل، فقد شملت صلات الخلفاء وهباتهم شعراء البلاط، أو من أطراهم بشعر وأثنى على خلافتهم وجعلهم أئمة رسول الله ﷺ، أو من نال من العلويين وتحامل عليهم.

وقد نقل ابن الأثير عن أبي الشمط أنه قال: «أنشدت المتوكل شعراً ذكرت فيه الرافضة فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع عليّ أربع خلع، وخلع عليّ المنتصر وأمر لي المتوكل بثلاثة آلاف دينار، فثرت عليّ وأمر ابنه وسعداً الايتاخي أن يلقطها لي ففعلاً».^٤

١. أطلق المتوكل عليها هذا الاسم لجمالها من باب التشبيه المعكوس، كما كان يطلق الكافور على السواد (الكامل، ج ٧، ص ٢٠٠).

٢. الكامل، ج ٧، ص ٢٠٠؛ النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، ص ١٦٥؛ تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٤٧.

٣. نساء الخلفاء، ابن الساعي، ص ١٠٦ (نقلاً عن العصر العباسي الثاني، ص ٧٣).

٤. الكامل، ج ٧، ص ١٠١، هذه الأشعار هي:

للكم تراث جعفر	للدين والدنيا سلامه
لكن تراث محمد	وبعد لكم تنفى الظلامه
يرجو التراث بنو البنا	ت ومالهم فيها قلامه
والصهر ليس بوارث	والبنت لا تراث الامامه
ما للذين تنحلوا	ميراثكم إلا الندامه
أخذ الوراثه أهلها	فعلام لومكم علامه
لو كان حقكم لما	قامت على الناس القيامه
ليس التراث لغيركم	لا والإله ولا كرامه

«ثم نثر عليّ بعد ذلك لشعر قلّته في هذا المعنى عشرة آلاف درهم»^١.
هذا وقد أغدق المتوكل على المخنثين والمهزّجين أيضاً، وخصّهم بجوائز ثمينة.

٦. الأطعمة

من خصوصيات الخلفاء العباسيين وبتبعهم الوزراء والأمراء، الحرص والولع بأنواع الأطعمة والأشربة والحلويات، و ملء الموائد بأصناف الأواني الذهبية والفضية^٢.
وقدّر النفقة اليومية للمامون بـ ٦٠٠٠ دينار يذهب معظمها إلى مطبخه^٣.
وكان يُقدّم لهارون الرشيد ثلاثون صنفاً من الطعام، كل يوم بتكلفة تبلغ ١٠٠٠٠ درهم^٤.
وراح بعض الخلفاء يحثّون شعراءهم على إنشادهم شعراً حول تلك الموائد الحافلة بأصناف الطعام^٥.

وقد ذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن في «تاريخ الإسلام» والدكتور شوقي ضيف في «العصر العباسي الثاني» شواهد طريفة على إسراف الخلفاء وبطنتهم^٦.

→ أصبحت بين محبكم والمبغضين لكم علامه

جدير بالذكر إنّ ثمة شعراء في هذا الدور لم يرضخوا لهذا الذل والهوان، نظير دعل الخزاعي (١٤٨- ٢٤٦ هـ) وكان شاعراً موالياً لأهل البيت عليه السلام ومن جراء ذلك قتل في زمن المتوكل، وكان كثيراً ما يردد: إنّي أحمل خشيتي على كتفي منذ خمسين سنة ولا أجد من يصلبني عليها، ومن شعره في هجاء المعتصم:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
وإنّي لأعطي كلّهم عنك رتبة
ولم تأتينا عن ثامن لهم كتب
خيار إذا عُدوا وثامنهم كلب
لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

راجع تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص ٣٧٣

١. الكامل، ج ٧، ص ١٠١.
٢. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٧٤.
٣. الفخري، ص ٢٠٧.
٤. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ٤٢٤.
٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣٩.
٦. راجع تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٢٤-٤٢٧ و ج ٣، ص ٤٣٩-٤٤٠؛ العصر العباسي الثاني، ص ٧٤-٧٥.

كما أحصى الدكتور الزهراني في كتابه «النفقات وإدارتها في الدولة العباسية» نفقات الأطعمة اليومية والمطابخ لكل الخلفاء العباسيين، ودلّ على جوانب من إسرافهم^١ وإذا تجاوزنا ذلك فإنّ المبالغ الضخمة التي كانت تنفق على زوجات الخلفاء وابنائهم والجواري والرقيق والملابس الفاخرة، وأهم من كل ذلك الرشاوى الكثيرة التي تدفع لشراء الذمم والحصول على البيعة حين تولي الخلافة، كل هذه الأرقام تكشف لنا عن العبء الثقيل الذي يقع على عاتق الناس عامة.^٢

وذلك في وقت لا يبلغ معدل الإنفاق الشهري لكل أسرة متوسطة الحال في ذلك العصر سوى (٢٥) درهماً، أي بمعدل درهم لكل يوم،^٣ بينما بلغ إنفاق المتوكل ومصارفه الشخصية في السنة نحو (٧٦٥٠٢٥٠٠) درهم^٤

ونرى من المناسب الإشارة إلى الفقر والحرمان الذي كانت تعانيه طبقات المجتمع لا سيّما الفلاحين والعمال والمثقفين وأصحاب المهن والحرف، فكل ما تملك الطبقة المرفهة كان - في الواقع - من كد يمينهم وعرق جبينهم؛ إذ لولاهم لما بلغت تلك الطبقة ما بلغت إليه من الرفاه،^٥ كما أنّ الحركات والثورات التي تقدّم الإشارة إليها تدلّ بوضوح على الوضع المزري الذي بلغه معظم الناس، لا سيّما ثورة صاحب الزنج والقرامطة التي كانت - في الواقع - انعكاساً لظلم وحيف الطبقة الحاكمة، والفقر المدقع والبؤس والحرمان الذي كان يعانيه الناس^٦

١. النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، الدكتور ضيف الله يحيى الزهراني.

٢. المصدر السابق، ص ١٦٢ - ١٧١ (وحول الثياب الفاخرة راجع: العصر العباسي الثاني، ص ٧٢ - ٧٣).

٣. مصارع العشاق، ص ١٥٩ (نقلًا عن العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص ٦٢) جدير بالذكر أنّ الدرهم في تلك الأزمنة كان ذا قيمة بحيث يمكن به شراء شاة مع جرة غسل أو جرة زيت (حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ١٨٢).

٤. النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، الدكتور ضيف الله يحيى الزهراني، ص ١٥٠ (ولمزيد من الإطلاع على الإنفاق اليومي لكل من الخلفاء، راجع: الكتاب ذاته، الفصل الثالث، نفقات دار الخلافة، ص ١٤١ - ٢٤٧). ٥. راجع: العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٦٢.

٦. راجع: المصدر السابق، ص ٢٦، ٦٢.

وكانت ثروات العالم الإسلامي الطائلة تذهب إلى جيوب الغلمان والجواري
الغانيات والراقصات والمطربات والمهرّجين والمخثنين، وتنفق في مجالس الطرب
والشرب الليلية المليئة بالفسق والفجور^١

ج) الوضع الفكري

إنّ ما هو جدير بالتأمل والاهتمام بلحاظ الوضع الفكري^٢ في هذا الدور هو تحول
الاتجاه الفكري للمتوكل من الاعتزال^٣ المذهب الرسمي للدولة إلى مذهب أهل
الحديث، وما رافق ذلك من قمع المعتزلة والشيعة، واحتضان أهل الحديث المتمثل
بأهل السنة^٤

وثمة أقوال عديدة في الاعتزال ومنشأه،^٥ حيث يعتقد بعض المحققين أنّه ظهر في
أواخر القرن الأول الهجري (العهد الأموي)؛ وذلك بعد انفصال واصل بن عطاء عن

١. راجع: حياة الإمام علي الهادي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ٣٧٢، ولمزيد من الاطلاع على
أشعار في هذا الباب عكست الأوضاع المزرية التي آل إليه المجتمع، راجع: حياة الإمام الحسن
العسكري عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ١٩٧-٢٠٧.

٢. لمزيد من الإطلاع على الوضع الفكري لذلك الدور، راجع: العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي
ضيف، ص ١١٥-١٧٩، تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٠٦-٣٣٢؛ ومطلع
العصر العباسي الثاني، الدكتورة نادية حسني صقر، ص ١٩٢-٢٢٤؛ ودولة بني العباس، الدكتور
شاكر مصطفى، ج ٢.

٣. راجع: حول نشأة المعتزلة وعقائدها ودورها في الخلافة العباسية: تاريخ الإسلام، الدكتور حسن
إبراهيم حسن، ج ١، ص ٤٢٦-٤١٨ و ج ٢، ص ١٥٥-١٦٢ و ج ٣، ص ٢١٣-٢١٨؛ العصر العباسي
الأول والعصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ١٧٠-١٧٩.

٤. ثمة اختلاف بين أهل الحديث وأهل السنة، فأهل الحديث يتمسكون بأقوال رسول الله ﷺ بينما
أهل السنة يعتمدون إلى جانب ذلك على أفعال الرسول ﷺ وتقديره (تاريخ الإسلام، الدكتور حسن
إبراهيم حسن، ج ٢، ص ١٦٢) ولمزيد من الإطلاع على اصطلاح أهل السنة وتاريخ ظهورها في
العهد العباسي وفرقها، راجع: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٢-١٦٣ و ص ٤٦٨-٤٧٠ و ج ٣،
ص ٢١٨-٢١٩.

٥. راجع: بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني، ج ٣، ص ١٧٤-١٨٣.

إستاذة الحسن البصري (١١٠ - ١٢١ هـ)،^١ وكان العراق - حسب إدعائهم - مهد ظهوره وتكامله، وكان الاعتزال يتألف من خمسة أصول^٢

وقد أفرط هذا المذهب في الاعتماد على العقل، فهو يشبه إلى حد بعيد المذهب العقلي الذي انبعث من أوروبا في عصر النهضة.^٣

وكان هذا المذهب حتى عصر المأمون في منأى عن الجدل والنقاش في المسائل السياسية،^٤ ثم بلغ أوج إزدهاره في عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) الذي احتضنه وجعله المذهب الرسمي للبلاد، ويرى بعض المحققين - استناداً إلى بعض الشواهد التاريخية - إن هدف المأمون من وراء ذلك هو مواجهة الإمامة لدئ الشيعة (المتتمثلة آنذاك بالإمام الرضا^{عليه السلام})، ودحض حججها؛ لكي يزيل بذلك أكبر خطر يواجهه الخلافة العباسية.^٥

كما أنه سعى إلى تحقيق ما يصبو إليه عبر إجبار الإمام على قبول ولاية العهد من جهة، وترجمة الكتب اليونانية في الفلسفة والمنطق من جهة أخرى.

وكان يهدف من إجبار الإمام على قبول ولاية العهد، إظهار الإمام^{عليه السلام} بمظهر المكب على المناصب الدنيوية والراغب عن الزهد،^٦ بينما كان يرمي من الاهتمام بحركة الترجمة^٧

١. تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ج ١، ص ٤١٨؛ وراجع أيضاً: بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني، ج ٣، ص ١٦٥-٤٧٠.

٢. المصدر السابق، ص ٤١٩، ٤٢٠؛ هذه الأصول هي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، الوساطة بين الإيمان والكفر وهو ما يعرف بالفسق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. المصدر السابق، ص ٤٢١. ٤. المصدر السابق.

٥. راجع: الحياة السياسية للإمام الرضا^{عليه السلام}، جعفر مرتضى العاملي، ص ٣٥٧-٣٦٠؛ الحياة السياسية للإمام الجواد^{عليه السلام}، جعفر مرتضى العاملي، ص ٦٣-٦٥.

٦. الحياة السياسية للإمام الرضا^{عليه السلام}، ص ٢٣٣ - ٢٣٤؛ والحياة السياسية للإمام الجواد^{عليه السلام}، ص ٦٥. جدير بالذكر إن المؤلف في كتاب الحياة السياسية للإمام الرضا^{عليه السلام} سرد أحد عشر هدفاً للمأمون من وراء إعطاء ولاية العهد للإمام الرضا^{عليه السلام}.

٧. راجع: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ٣٤٤-٣٤٧ و ج ٣، ص ٣٨٠.

إلى الحط من المقام الشامخ للإمام وإيصاد باب أهل البيت عليه السلام ^١ إلا أن الإمام عليه السلام بمواقفه الحكيمة، وما تمتع به من عصمة وعلم إلهي، أفضل كافة المؤامرات التي استهدفته، فلم ير المأمون بدءاً من قتله عليه السلام.

يقول أبو الصلت الهروي: «إن المأمون إنما كان يكرمه ويحبّه لمعرفته بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده ليري الناس أنه راغب في الدنيا؛ فيسقط محله في نفوسهم، فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم، فيسقط محله عند العلماء وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والملحدين والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين له إلا قطعه وألزمه الحجة...»

إلى أن قال: فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسّم» ^٢
وبعد أن اعتنق المأمون هذا المذهب، أجبر الناس على القول بخلق القرآن الذي نادى به المعتزلة.

وفي عام (٢١٨ هـ) طلب من عامله على بغداد اختبار القضاة والمحدثين في هذه المسألة، وعزل كل من خالفها، وأمر القضاة بأن لا يقبلوا شهادة كل من لم يعتقد بخلق القرآن ومعاقبته، ^٣ وكان هذا أشبه - في الواقع - بتفتيش العقائد، ويعرف في التاريخ بمحنة القرآن. ^٤

١. للاطلاع على أهداف المأمون من ترجمة الكتب الفلسفية والمنطقية راجع: سيرة الأئمة، لمهدي پيشواي، ص ٤٩٨-٥٠٨.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٣٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٢٩٠؛ شرح ميمية أبي فراس، ص ٢٠٤ (نقلاً عن كتاب الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي، ص ٦٥).

٣. تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ١٦٠؛ الكامل، ج ٦، ص ٤٢٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٨.

٤. المحنة بمعنى الامتحان، يقول صاحب لسان العرب: المحنة: الخبرة، وما يمتحن به الإنسان من بلية.

ومن جملة وصاياه لولي عهده «المعتصم» إجبار الناس على قبول تلك المسألة، وبالفعل فقد ضيق المعتصم الخناق على العلماء المخالفين لها، رغم أنه لم يُصب حظاً من العلم، فكل عالم وقاض لا يتفق مع رأي المعتزلة، كان معرضاً للحبس والتعذيب.^١ وقد نهج الوراق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) سياسة المعتصم في الدفاع عن المعتزلة، وشدّد على ضرورة اعتناق عقائد المعتزلة، الأمر الذي أدّى إلى تفاقم معاناة الناس لاسيّما أهل بغداد،^٢ وبلغ به الإفراط حداً أنه جعل معيار المسلم هو قبوله لخلق القرآن، وقد جعل هذا المعيار شرطاً لمبادلة أسراء المسلمين بالروم، فمن لم يدعن بخلق القرآن فليس بمسلم، وبالتالي لا يدخل في نطاق المبادلة^٣

وعلى أية حال فقد بلغ الكبت والتشدّد في هذه المسألة مبلغاً أن كثيراً من العلماء رُجّ بهم في زرنات امتلأت بهم،^٤ وهذا «أحمد بن حنبل» قد تعرض للسجن والتعذيب جراء ذلك،^٥ واضطرب الوضع غاية الاضطراب حتى قام أهل بغداد بثورة عارمة بزعامه «أحمد بن نصر الخزازي» مطالبين بعزل الوراق، إلا أنه سرعان ما أخمد الوراق هذه الثورة وقتل زعيمها بيديه،^٦ كما تعرض «يوسف بن يحيى البويطي» وهو من تلاميذ «الشافعي» للتعذيب أيضاً أدّى إلى وفاته في السجن،^٧ ولاشك أن مثل هذه الإجراءات التعسفية وأمثالها جلبت المزيد من النفرة حيال المعتزلة.^٨

١. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ١٦١.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٠، ١٦١.

٣. المصدر السابق، ص ١٦٢ و ج ٣، ص ٢١٣؛ تاريخ يعقوبي، ج ٣، ص ٢١٥، ومن أجل الإطلاع على مواقف الأئمة عليهم السلام لاسيّما الإمام الهادي عليه السلام حيال مسألة خلق القرآن، راجع: سيرة الأئمة، ص ٦٠٩-٦١٠؛ توحيد الصدوق، ص ٢٢٤.

٤. الولاة والقضاة، ص ٤٥١ (نقلًا عن مطلع العصر العباسي الثاني، الدكتور نادية حسني صقر، ص ١٩٩).

٥. مطلع العصر العباسي الثاني، الدكتور نادية حسني صقر، ص ٢٠٦.

٦. مروج الذهب، ج ٤، ص ٧٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٠؛ الكامل، ج ٧، ص ٢٢؛ تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٢٩.

٧. الكامل، ج ٧، ص ٢٦.

٨. تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٢٩ (نقلًا عن مطلع العصر العباسي الثاني، ص ٢٠٠).

وبموت الواثق واعتلاء المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) منصة الخلافة، انتهج سياسة مغايرة تماماً لسياسة سلفه في الاتجاه، مماثلة لها في التشدد والتطرف^١ وتقوم على دعم أهل الحديث، وقمع المعتزلة والشيعة،^٢ وبهذا النحو تمكن من كسب رضا بعض الفرق التي سخطت على المعتزلة ومن دعمهم من الخلفاء،^٣ وبسبب هذا الإجراء راحوا يبالغون في الثناء عليه وتعظيمه، معتبرين إياه أحد الخلفاء الثلاثة الذين أحيوا السنة وأماتوا البدع.^٤

كما تمكن في الوقت نفسه من إجهاض حركة العلويين الذين كانت لهم ميول اعتزالية واسعة.^٥

وقد نهج المتوكل أساليب خاصة بغية الوصول إلى مآربه السياسية والقضاء على المعتزلة والشيعة؛ إذ حظر في البداية تفتيش العقائد المذهبية (المحنة)، الأمر الذي بدأ العمل به في عهد المأمون، وبتأييد من المعتزلة، وأطلق هو واتباعه شعارات ضد الشيعة.

١. راجع: حول وجه تأثير الشيعة الإمامية على المعتزلة ووجوه الاشتراك بينهما: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ج ٢، ص ١٥٥-١٦٢؛ تأثير الآراء الكلامية الشيعية على المعتزلة، قاسم جواد (مجلة الفكر الإسلامي، العدد ١٦، ص ١٦١-٢٠٧).

٢. تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٦٨؛ مروج الذهب، ج ٤، ص ٨٦ (قال المصعودي: ولما افضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدل والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة).

٣. ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج ٣، ص ١٩٨ (نقلاً عن مطلع العصر العباسي الثاني، الدكتور نادية حسني صقر، ص ٢٠٣).

٤. تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٧٠؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦ (بالغوا في الثناء عليه وتعظيم له حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبوبكر في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة الجهم) وفي «تاريخ بغداد» محو البدع بدل إماتة الجهم.

٥. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص ٨٢.

ثم اتخذ إجراء آخر، وهو عزل «ابن الزيات» ومعاونيه من مناصبهم، وتعيين «الجرجرائي» و«ابن خاقان»، المعروفين بسياساتهم المتشددة تجاه الشيعة. وأخيراً قام بتأسيس جيش جديد يدعى «الشاكرية»، جمع عناصره من المناطق المشهورة بعدم ولائها للعلوية نظير سورية والجزيرة والجبل والحجاز وعبناء، التي قامت ضد تفتيش العقائد ومحنة القرآن^١ وإلى جانب كل هذا، قام المتوكل بسلسلة من العمليات التعسفية ضد الشيعة والعلويين،^٢ نظير تخريب ضريح الإمام الحسين عليه السلام الذي مرّ ذكره. ومن جملة الحوادث التي اتفقت في ذلك العهد، تدوين الجوامع الروائية وصحاح أهل السنة، نظير مصنف ابن أبي شيبة المتوفى (٢٣٥ هـ) وصحيح البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ)، وصحيح مسلم المتوفى (٢٦١ هـ).^٣

١. المصدر السابق، ص ٨٢.

٢. لمزيد من الإطلاع راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٨٢-٨٥.

٣. راجع: دولة بني العباس، الدكتور شاكر مصطفى، ج ٢، ص ١٦٤.

الخلاصة

استعرض هذا الفصل - بغية الوقوف على أسباب الغيبة والحصول على تحليل جامع - الوضع السياسي والفكري والاجتماعي للعصر العباسي الثاني على اعتبار غيبة صاحب الزمان عليه السلام، وكان من أهم خصوصيات الوضع الفكري لذلك العصر هي:

- (١) انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء؛ (٢) نفوذ الأتراك؛ (٣) العزل والنصب المكرر؛ (٤) نفوذ النساء في جهاز الخلافة؛ (٥) ظلم الوزراء والأمراء؛ (٦) الفتن الداخلية؛ (٧) ثورة صاحب الزنج؛ (٨) ثورات العلويين؛ (٩) نيل بعض المناطق الخاضعة للاستقلال الذاتي؛ (١٠) تبدل حقيقة وماهية الفتوحات.

أمّا الوضع الاجتماعي فقد أشار إلى التصنيف الثنائي للمجتمع بلحاظ الوضع المادي والاقتصادي، كما قارن بين حياة اللهو والترف والإسراف للخلفاء والوزراء والأمراء في قصورهم وأعيادهم ومجالسهم الخاصة وبين حياة الفقر والبؤس للعامة. وأمّا الوضع الفكري فقد أشار إلى أبرز خصوصيات ذلك الدور وهي الانعطاف الفكري المفاجيء للمتوكل من الاعتزال إلى أهل الحديث والقضاء على المعتزلة ووصول أهل السنة والجماعة إلى سدة الحكم، وذكر أسباب ودواعي ذلك.

الأسئلة

١. ماهي الحاجة إلى بيان الوضع السياسي والاجتماعي والفكري للعصر العباسي على اعتبار غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام؟
٢. يعتقد المؤرخون والمحققون إنّ العصر العباسي الثاني هو عصر تسلط الأتراك ويعدون ذلك من أهم خصوصيات ذلك العصر، وضح تلك الخصوصية بإسهاب.
٣. ماهي علل ثورة صاحب الزنج وأهدافها ونتائجها؟
٤. إذكر بعض جرائم المتوكل بحق العلويين، وتكلم عن ثورتي يحيى بن عمر وعلي بن زيد.

٥. إذكر جوانب من إسراف الخلفاء وتبذيرهم لبيت المال.
٦. كيف كان وضع عامة الناس في هذا الدور؟ وما الدليل عليه؟
٧. إذكر أهم ميزة لهذا الدور بلحاظ الوضع الفكري، وماهي أسباب ونتائج هذا الانعطاف الفكري.
٨. ماهي الإجراءات التي اتخذها المتوكل بعد الانعطاف الفكري من أجل الوصول إلى أهدافه؟

للبحث والتحقيق

١. أشار الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام (٢/ ٤٣٠ - ٤٣٤ و ٣/ ٤٤٦ - ٤٥١) إلى شواهد من نفوذ النساء في جهاز الخلافة، إذكر هذه الشواهد.
٢. من الشواهد على ظلم المتوكل هي مصادرة فذك وانتزاعها من يد العلويين وإعطائها إلى أحد أتباعه، وهو عبدالله بن عمر بزيار، وقد كتب ابن طاووس في «كشف المحجة» يقول: إنَّ عوائد فذك في ذلك الزمان بلغت ٢٤٠٠٠ دينار. استخرج هذه المعلومة وعيّن رقم الصفحة.
- وقد ذكر الدكتور جاسم حسين في الفصل الثاني من كتابه التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام مواقف العباسيين إزاء نشاط الإمام الهادي عليه السلام، إذكر هذا المطلب مع تعيين رقم الصفحة.
٣. أكتب تقريراً عن كتابي «الفخري» لابن طباطبا و«مآثر الإنافة في معالم الخلافة» للقلقشندي (التعريف بالمؤلف، خصوصيات الكتاب، المباحث المطروحة فيه، عدد المجلدات، محل الطبع وسنته).
٤. أكتب تقريراً عن كتابي «تاريخ الإسلام» للدكتور حسن إبراهيم حسن في أربعة مجلدات، و«العصر العباسي الثاني» للدكتور شوقي ضيف.
٥. قارن بين ما ورد هنا حول ثورات العلويين لما كانت سامراء مركزاً للخلافة العباسية، وبين ما ذكر في كتاب تاريخ الغيبة الصغرى للسيد الشهيد محمد الصدر.

٦. ورد في كتاب حياة الإمام الهادي عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي شاهد على إصراف المستعين بالله العباسي وتبذيره، إذكر هذا الشاهد.
٧. أكتب مقالة حول ثورة صاحب الزنج مع الاستعانة بالمصادر المذكورة في الهوامش.
٨. ورد في كتاب حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي نماذج من اشعار شعراء ذلك العصر، التي تعكس صورة واقعية للمجتمع والوضع المزري لعامة الناس، إذكر مقتطفات من تلك الأشعار.

مصادر البحث

المصادر الأصلية

١. تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير.
٢. مروج الذهب، المسعودي.
٣. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي.
٤. الفخري، ابن طباطبا.
٥. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصبهاني.

المصادر الفرعية

١. تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الشهيد محمد الصدر.
٢. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٢ و ٣.
٣. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٩ - ١٧٩.
٤. مطلع العصر العباسي الثاني، الدكتورة نادية حسني صقر.
٥. الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، الدكتور فاروق عمر.
٦. النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، الدكتور ضيف الله يحيى الزهراني.
٧. الدولة العباسية، محمد بك الخضري.
٨. دولة بني العباس، الدكتور شاكر مصطفى.

٤

الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة على مشارف عصر الغيبة

المدخل

برز للشيعة في هذا الدور - من الناحية الفكرية - أعلام تلمذوا عند الأئمة عليهم السلام الذين ألقوا عليهم الأصول فدونهاها في كتبهم التي تعرف بالأصول الأربعمئة، كما أنهم عليهم السلام بينوا الخطوط العريضة للأصول العقائدية والفقهية وحثوا طلابهم على تدوينها في كتبهم. أما من الناحية السياسية فقد كان الوضع حساساً ومتأزماً للغاية، إذ ازدادت وتيرة الضغوط على أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأشخصوا إلى سامراء، ففرضت عليهم الإقامة الجبرية فيها، وأخضعوا للمراقبة الشديدة، مما جعل اتصال قواعدهم الشعبية بهم أمراً في غاية الصعوبة، وفي هذه المرحلة بالذات تبلور المشروع الجهادي للشيعة في جهاز الوكالة السري، الذي وطد أركانه في عهد الإمام الصادق عليه السلام وبلغ أوجه في عهد العسكريين عليهم السلام، وكانت تنظيماته معقدة للغاية، بحيث لا يمكن الوقوف على مدى عمقه وتعقيداته والدور البناء الذي لعبه في تلك الظروف الحساسة إلا بمطالعة زواياه الخفية بمزيد من الدقة والإمعان.

وكان الإمام عليه السلام يبذل جهوداً حثيثة من أجل بسط ونشر وتوسيع قواعد هذا الجهاز عبر الاتصالات السرية المدروسة، وبالتالي حفظ الفكر الشيعي ودعمه ونشره. ومن جملة الإجراءات التي اتخذها الأئمة عليهم السلام في هذه المرحلة التاريخية من الجهاد، هي دعم ورعاية بعض الثورات العلوية لزعزعة أركان الحكم العباسي، أو الحد من ظلمه وحيفه. وأمّا من الناحية الاجتماعية، فإن الشيعة كانوا يرزحون تحت نير الخلفاء وجورهم: تصادر أموالهم، وتهدد حياتهم، وتسفك دماؤهم، وتمارس معهم سياسة التهميش والاقصاء عن تولي المناصب الحساسة، باستثناء حالات قليلة تبوأ فيها بعضهم تلك المناصب في ظل تبنيهم سياسة التقية، وتقديم الخدمات النافعة كلما سنحت الفرص. وقد تعرض الأئمة عليهم السلام في هذا الدور إلى مزيد من الرقابة إلا أن هذا لم يحد من نفوذهم الواسع في أوساط عامة الناس.

روي عن رجل من بني حنيفة من أهل بست وسجستان، قال: «رافقت أبا جعفر عليه السلام في السنة التي حج فيها في أول خلافة المعتصم، فقلت له وأنا معه على المائدة، وهناك جماعة من أولياء السلطان: إن وإلينا - جعلت فداك - رجل يتولاكم أهل البيت ويحبكم وعلي في ديوانه خراج، فإن رأيته - جعلني الله فداك - أن تكتب إليه كتاباً بالإحسان إليّ، فقال لي: لا أعرفه، فقلت: جعلت فداك، أنه علي ما قلت من محبيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده فأخذ القرطاس وكتب. بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً وإن مالك من عملك ما أحسنت فيه فأحسن إلى أخوانك، واعلم إن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذر والخردل، قال: فلما وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري، وهو الوالي فاستقبلني عليّ فرسخين من المدينة، فدفعني إليه الكتاب فقبله ووضعني على عيني، ثم قال لي: ما حاجتك: قلت: خراج عليّ في ديوانك، قال: فأمر بطرحه عني، وقال لي: لا تؤد خراجاً ما دام لي عمل، ثم سألني عن عيالي، فأخبرته بمبلغهم، فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلاً، فما أديت في عمله خراجاً ما دام حياً ولا قطع عني صلته حتى مات»^١.

١. الكافي، ج ٥، ص ١١١-١١٢؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٨٦-٨٧.

أ) الوضع الفكري

حظيت الشيعة في هذا الدور بمنزلة رفيعة من الناحية الفكرية والعقائدية، حيث وضعت اللبنة الأولى للمذهب في عهد الصادقين وصنفت الأحاديث في أصول وجوامع،^١ ووضعت معايير لحفظ الأحاديث وتهذيبها من قبل سائر أئمة أهل البيت (عليه السلام)، كما تم إعداد فريق من الأصحاب^٢ للإجابة عن المعضلات والدفاع عن

١. يقول محمد بن معروف الهلالي: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد (عليه السلام) فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس، فلما كان اليوم الرابع رأيته فأدنانني وتفريق الناس عنه ومضى يريد قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) فاتبعته وكنت اسمع كلامه وأنا معه أمشي. (دلائل الإمامة، ١١٥؛ الثاقب في المناقب، ص ١٥٨؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٦٣، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٩٣، ح ١٠٤) وقال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي: أتني أدركت في هذا المسجد: يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد (عليه السلام). (رجال النجاشي، ترجمة الوشاء، ص ٤٠ تحت رقم ٨٠)

وقد صنف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي المتوفى عام ٣٣٣هـ كتاباً أحصى فيه من روى عن الصادق (عليه السلام) فبلغ ٤٠٠٠ راو.

وفي عهد الصادقين (عليه السلام) انتشر نقل الحديث وتدوينه بين الشيعة انتشاراً واسعاً قلما نجد له نظيراً بين سائر العصور (راجع: تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، ص ٢٠٣-٢٠٤) وقد أطلق على هذا العصر عصر انتشار علوم آل محمد (عليه السلام) (المصدر السابق، ص ٩٥).

٢. لمزيد من الإطلاع على عدد وأسماء تلاميذ وأصحاب العسكريين (عليه السلام) راجع: تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور عبد الهادي الفضلي، ص ١٨٣-٢١١.

وقد ذكر الشيخ الطوسي أن عدد تلاميذ الإمام الهادي (عليه السلام) بلغ ١٨٥ تلميذاً، من بينهم شخصيات معروفة نظير: الفضل بن شاذان، والحسين بن سعيد الأهوازي، وأيوب بن نوح بن دراج النخعي، وأبو علي حسن بن راشد، والحسن بن علي الناصر الكبير، والسيد عبد العظيم الحسني، وعثمان بن سعيد الأهوازي، وكان لبعضهم مدونات في مختلف العلوم. (راجع: رجال الطوسي، ص ٤٠٩-٤٢٩؛ وحياة الإمام الهادي، باقر شريف القرشي، ص ١٧٠-٢٣٠)

وقد عد بعض المحققين أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) إلى ٢١٣ شخصاً، راجع: حياة الإمام العسكري، محمد جواد الطيسي، ص ٤٥-٤١٣.

وكتب صاحب أعيان الشيعة يقول: «فقد روي عنه (الإمام العسكري) من أنواع العلوم ما ملأ بطون الدفاتر» (أعيان الشيعة، ج ١، ص ٤٠).

الكيان العقائدي والفقهية الشيعي أمام سائر الفرق لاسيما أهل السنة الذين حظوا بدعم الخلفاء ومساندتهم.

إنَّ حفظ الإسلام وثقافة الوحي وصيانتها من طرائق الدهر وأهل الزيغ والانحراف، كان من أهم المسؤوليات التي نهض بها الأئمة عليهم السلام، وشكل هذا أبرز معالم هذا الدور، فقد قام العسكريان عليهما السلام بنشر الوعي بين الناس، واتخاذ مواقف حكيمة إزاء ما يتعرض له المجتمع الإسلامي من انحرافات فكرية بدءاً بالصوفية والواقفية، وانتهاءً بالمفوضة والثنوية والغلاة،^١ والإجابة عن المسائل الفقهية والمشكلات الفكرية للحيلولة دون وقوع الشيعة في مزالق ما يعرف بـ (محنة القرآن).

كتب الإمام الهادي عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد: «بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أنَّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله عزَّ وجلَّ وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»^٢

ومن جملة ما قام به العسكريان عليهما السلام في هذا الدور، هو تمهيد أرضية فكرية مناسبة للشيعة للدخول في عصر الغيبة كصدور أحاديث عديدة بشأن الغيبة وولادة الحجة عليه السلام،^٣ وإرجاع الشيعة إلى الوكلاء^٤ وتأييد بعض الكتب الفقهية والروائية،^٥ والحد من الاتصال بهم مباشرة، والاقتران على المراسلة للإجابة عن المسائل، أو إحالتها إلى وكلائهم، وبهذه الصورة مهدوا الأرضية لتحمل ظروف وشرائط ما بعد

١. راجع: حياة الإمام العسكري عليه السلام، محمد جواد الطيبي، ص ٢٨٧-٢٩٥.

٢. توحيد الصدوق، ص ٢٢٤. ٣. راجع: حياة الإمام العسكري عليه السلام، محمد جواد الطيبي، ص ٣١٦.

٤. المصدر السابق، ص ٣٢٤. ٥. المصدر السابق، ص ٣٢٥.

الغيبة، والاتصال غير المباشر بالإمام،^١ وهذا الأسلوب ذاته قد اتَّبعه الإمام الثاني عشر - كما يتضح لنا لاحقاً - في زمن الغيبة الصغرى ليهيئ الشيعة لعصر الغيبة الكبرى بالتدريج.

ب) الوضع السياسي

١. انتقال الإمامين العسكريين (عليه السلام) من المدينة

إلى سامراء، والرقابة الشديدة عليهما

استوحى الحكام العباسيون سياستهم حيال الإمامين العسكريين (عليه السلام) في هذا الدور من السياسة التي انتهجها المأمون العباسي مع الإمام علي الرضا (عليه السلام) والتي أصبحت سنة مشؤومة لمن بعده من الحكام، وتتلخص في نقل الإمام إلى عاصمة الملك لمراقبة نشاطه، وتهميش دوره وعزله عن قواعده الشعبية، هذه السياسة مارسها المتوكل مع الإمام الهادي (عليه السلام) ومورست أيضاً مع الإمام العسكري (عليه السلام)، الذي فرضت عليه الإقامة الجبرية - كأبيه (عليه السلام) - في مدينة سامراء، وكان عليه الذهاب لدار الخلافة في كل اثنين وخميس.^٢

وكانت التقارير التي ترفع إلى المتوكل، والتي تتحدث عن نشاطاته في المدينة المنورة، وميل الناس إليه،^٣ هي التي دعت إلى جلب الإمام الهادي (عليه السلام) إلى سامراء قسراً،^٤ وأخضاعه للمراقبة الشديدة، وكان يبعث بين الحين والآخر من يباغت الإمام (عليه السلام) في منتصف الليل، ويفتش داره لمجرد سعاية بوجود أموال وأسلحة مخفية.^٥ وقد تولّى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الإمامة بعد أبيه الإمام الهادي (عليه السلام) وله من

١. المصدر السابق، ص ٣٢٤.

٢. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٣٩؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٥١؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٣٢؛ دلائل الإمامة، ص ٢٢٦.

٣. الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٣٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٠؛ اثبات الوصية، ص ٢٢٥.

٤. يقول الإمام (عليه السلام): أخرجت إلى سر من رأى كرها (بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٩).

٥. مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٣؛ الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٣٠٣.

العمر (٢٢) عاماً، وكان تحت المراقبة أيضاً حتى استشهاده عن عمر يناهز (٢٨) عاماً في سامراء.

٢. أساليب الجهاد السياسي للعسكريين عليه السلام

تميّز الجهاد السياسي للعسكريين عليه السلام بأساليب وأبعاد مختلفة ومتعددة، كالجهاد الفكري والعقائدي، أخذاً بسياسة التقية ونفوذ بعض العناصر إلى المناصب الحساسة في الحكومة^١ من أجل الحفاظ على الشيعة^٢ والاهتمام بشؤونهم^٣ إلى دعم وحماية بعض الحركات الثورية،^٤ وأهم من كل ذلك بسط ونشر جهاز الوكالة السري الذي

١. ذكر الدكتور جاسم حسين في كتابه، إن جهاز الوكالة أجاز لاتباعه النفوذ في جهاز الخلافة العباسية، ومن هنا فقد اعتلى محمد بن إسماعيل البري وأحمد بن حمزة القمي مناصب رفيعة في الجهاز الحاكم (رجال النجاشي، ص ٢٥٤) وأصبح نوح بن دراج قاضياً على بغداد ثم الكوفة، وقد أخفى عقيدته طيلة تصديده لهذا المنصب (المصدر السابق، ص ٨٠، ٩٨) وتقلّد بعض الإمامية كالْحسين بن عبد الله النيسابوري حكومة بست وسيستان، والحكم بن علي الأسدي إمارة البحرين وكان كلاهما يدفعان الخمس للإمام الجواد عليه السلام مما يدلّ على بيعتهما السرية للإمام التاسع عليه السلام (الكافي، ج ٥، ص ١١١؛ الاستبصار، ج ٢، ص ٥٨)؛ التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٧٩. ٢. راجع: بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٠، ٢٦٩، ٢٥٤، ٢٩٨، ٢٧٠.

٣. راجع: المصدر السابق، ص ٣٠٤، ٢٥٩؛ حياة الإمام العسكري عليه السلام، محمد جواد الطبسي، ص ٢٦٦-٢٦٦.

٤. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، ص ٨٥-٨٩ (ذكر العديد من المؤرخين كالأصبهاني أن ثورات العلويين ما بين الأعوام ٢٥٠ و ٢٥١ هـ في الكوفة وطبرستان والري وقزوين ومصر والحجاز لا يبعد ادارتها من قبل جماعة أو عبارة أدق من قبل إمام وقد تزعمها إماميون مخلصون - فمحمد بن معروف الحلبي المتوفى عام (٢٥٠ هـ) - حسب قول ابن عقدة - هو من أعيان الإمامية في الحجاز وقاد ثورة مكة (رجال النجاشي، ص ٢٨٠) و يحيى بن عمر زعيم ثورة الكوفة الذي نعه أبو القاسم الجعفري (وكيل الإمام الهادي عليه السلام) لما اغتيل (تاريخ الطبري، ج ٣، ص ١٥٢٢).

وطبقاً لتقرير المسعودي فإنّ علي بن موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم قد شارك في ثورة الري وقد ألقى الخليفة المعتز القبض عليه لأنه من أحفاد إسماعيل بن موسى الكاظم من مبغضي المذهب

شيدت دعائمه في زمن الصادق عليه السلام وتوسع في زمن العسكريين عليه السلام، وسيوافيك البحث عن هذا الجهاز وعوامل اتساعه وأهميته وخصوصياته وسيره التاريخي في الفصل اللاحق إن شاء الله تعالى.

وعلى أية حال، لا بأس هنا من إلقاء نظرة خاطفة على سياسة التقية وأهميتها باعتبارها مفتاح فهم تاريخ أئمة الشيعة.

وحاصل الكلام فيها: إن التقية في الواقع شكل معقد من الجهاد، وهي السرية والخفاء «التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له»،^١ «تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له»،^٢ «المؤمن علوي، المؤمن مجاهد أمّا في دولة الباطل بالتقية، وفي دولة الحق بالسيف».^٣

التقية رمز حياة الشيعة وبقائها طول التاريخ في مواجهة الطواغيت، ويعد تاريخ تقية أئمة أهل البيت عليه السلام مفتاحاً لفهم تاريخ التشيع، ومن دون ذلك لا يمكن تحليل حركة أئمة الشيعة عليه السلام، وسنغض الطرف عن الاتهامات التي ألصقت بها، مثل: الجهل بالسياسة، والسذاجة، والضعف، والخوف، وحب الدنيا، ونختتم هذا الموضوع باستعراض مقتطفات من أقوال الإمام علي عليه السلام، والإمام الهادي عليه السلام، والإمام العسكري عليه السلام،

→ الإمامي في مصر، مما يقوي احتمال نزعه الإمامية (مروج الذهب، ج ٧، ص ٤٠٤)، وقد اعتقد الجهاز الحاكم إلى أن أغلب الثورات التي اندلعت كانت زيدية لإمامية إلا أن الطبري قد زودنا بمعلومات هامة حول طبيعة النشاط السري للإمامية، كشف فيها النقاب عن أن عيون السلطة ضبّطت مراسلات بين زعيم الثوار في طبرستان المعروف بحسن بن زيد وابن أخيه محمد بن علي بن خلف العطار، وكلاهما من أتباع الإمام الهادي عليه السلام (الطبري، ج ٣، ص ١٣٦٢، ١٦٨٣).

وقد فندت الإمامية ادعاء أي علوي أنه المهدي الموعود من قبل النبي صلى الله عليه وآله إلا أنها أبدت بعض الثورات العلوية، وهذه النكتة ترشدنا إلى أن الأئمة عليه السلام قد سلكوا منهجين بغية الوصول إلى أهدافهم، الأول النشاط العلمي والثقافي والعقائدي وإشاعته بين الناس دون أي تدخل في القضايا السياسية على الظاهر، الثاني التعاطف مع بعض الثورات الشيعية ودعمهم لها في الخفاء لإخلاصها فيما رفعته من شعار وهو الرضا من آل محمد.

٢. المصدر السابق. ٣. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٦٤.

في هذا الباب، وأمّا البحث عن مفهومها وضرورتها وأهدافها ودورها ومعرفة
فقه التقية، وأهم من كل ذلك تاريخ التقية لدى أئمة أهل البيت عليهم السلام فنحيله إلى مجال آخر.

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبته الشقشقية:

«أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم إن محلي منها محل القطب من
الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها
كشحاً، وطفقت أرثني بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها
الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر
على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً أرى ترائي نهبا»^١

هذه هي التقية التي مارسها علي عليه السلام؛ إذ صبر عندما كانت يده جذاء، وسكت عن حقّه
وانصرف إلى إعداد جيل واع وتمهيد الأرضية المناسبة لذلك.

فقد تمكن الإمام عليه السلام من إعداد قاداته من صلب أبي بكر وسعد بن عباد بعد (٢٥)
عاماً من اقصائه عن الحكم، وليس هذا فحسب، بل أنه رجع هذه المرة ظافراً مرفوع
الرأس، ومارس الزعامة بحكمة، وبتخطيط دقيق ومدرّوس، بعد أن كاد التاريخ يمحو
اسمه، ولكن ذكره ما زال ينبض في قلوبنا حتى اليوم.

أمّا الإمام الهادي عليه السلام، فيقول لداود الصرمي: «ياداود لو قلت لك إن تارك التقية كتارك
الصلاة لكنت صادقاً»^٢.

فقد جعل ترك التقية في هذه الرواية مقروناً بترك الصلاة، ورفع وجوب التقية إلى
مستوى وجوب الصلاة.

وجاء إلى الإمام العسكري عليه السلام رجل من الشيعة قد أرشد صاحبه إلى التقية لما أراد
جهال العامة اختباره.

فقال الإمام عليه السلام له: «أنت كما قال رسول الله ﷺ الدال على الخير كفاعله، لقد كتب الله

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٦٦ (نقلا عن السرائر، ابن إدريس)؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨١.

لصاحبك بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا وموالينا ومحبينا حسنة وبعدد من ترك التقية منهم حسنة أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك بإرشادك إياه مثل ما له»^١

ومن الواضح إن كل هذا الثواب مترتب على التقية، وقد بلغ من أعمالها في هذا الدور مبلغاً أن الإمام عليه السلام يأمر شيعته بالكف عن إلقاء السلام خشية تعرّضهم للخطر،^٢ وقد قال الإمام عليه السلام لرجل من شيعته: «فإن لم تتق تقتل، فأما التقية والخفاء، وأما الموت والهلاك».^٣

ج) الوضع الاجتماعي

نتطرق في هذا المبحث إلى الوضع الاجتماعي للشيعة والقاعدة الشعبية لأئمة أهل البيت عليه السلام.

١. وضع الشيعة

يتلخص الوضع الاجتماعي للشيعة في هذا الدور في الفقر والضغط والإقصاء عن المناصب، والأمر من كل ذلك الانقطاع عن الإمام عليه السلام أو - في الحقيقة - قلة الاتصال به عليه السلام، بالرغم من أن كثيراً من المدن أضحت مراكز شيعية.^٤

١-١) بلوغ الاتصال بالإمام حداً أدنى

إن فرض الرقابة الشديدة على الإمام عليه السلام من جهة، وإلحاق الأذى وتعذيب كل من يتصل به عليه السلام من جهة أخرى، أديا إلى تدني مستوى الاتصال به عليه السلام، الأمر الذي خلف تداعيات في أوساط الشيعة، حال الإمام عليه السلام دون استفحالتها من خلال اتخاذ تدابير خاصة.

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٦٧. ٢. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٩. ٣. اثبات الوصية، ص ٢٤٣.

٤. راجع: حياة الإمام العسكري عليه السلام، محمد جواد الطوسي، ص ٢٢٣-٢٣٢ (الفصل الثاني، الشيعة ومراكزها في عصره عليه السلام) ومن جملة تلك المراكز: الكوفة وبغداد ونيسابور و قم وآبه والمدائن وخراسان واليمن والري واذربيجان وسامراء وجرجان والبصرة وعشرات المراكز الأخرى.

٢-١) الضغط

تعرضت الشيعة في هذا الدور إلى الكبت والضغط، وقد أشرنا فيما سبق إلى جرائم المتوكل بحق الشيعة والعلويين، من تأسيس عسكر الشاكرية إلى هدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، حتى أنه أوعز إلى عامله على مصر بإبعاد الطالبين إلى العراق من أجل ممارسة المزيد من الضغوط عليهم، ومن ثم أبعدهم إلى المدينة عام (٢٣٦ هـ).^١

كما حذر أهل الحجاز من مغبة الاتصال بهم ودعمهم مالياً، وقد تعرّض كثير من الناس للعقاب جرّاء مخالفتهم ذلك. وذكر أبو الفرج الأصبهاني إنّ السياسة التي انتهجها المتوكل أدت إلى التعامل معهم بقسوة وعزلهم عن أهل المدينة وحرمانهم من أدنى متطلبات الحياة.^٢

٣-١) الإبعاد عن المناصب

يقول المسعودي: «عزل المتوكل اسحاق بن إبراهيم وكان يتقلد الصيمرة والسيروان لكونه رافضياً»^٣

وقد أفصي الكثير من مناصبهم للسبب ذاته،^٤ كما ورد صراحة بأنّ السبب وراء ذلك هو الاتصال بالإمام (عليه السلام).^٥

٤-١) الحرمان من الإمكانيات الاقتصادية

لقد صادر المتوكل فذك، وكانت عائداتها - حسب ما كتبه ابن طاووس - تبلغ ٢٤٠٠٠ دينار، ومنحها لأحد أعوانه وهو عبد الله بن عمر بزيار،^٦ وكما مرت الإشارة إليه فإنّ

١. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص ٨٣-٨٤ (نقلًا عن: ولاية مصر، الكندي، ص ١٧٧).

٢. مقاتل الطالبين، ص ٣٩٦. ٣. مروج الذهب، ج ٤، ص ١٠٦؛ الكافي، ج ١، ص ٥٠٠.

٤. راجع الكافي، ج ١، ص ٥٠٠، ح ٥.

٥. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ٤١١؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٧ (الفحّام عن المنصوري عن عمّ أبيه قال: قصدت الإمام الهادي (عليه السلام) يوماً، فقلت: يا سيدي، إنّ هذا الرجل - المتوكل - قد أطر حني وقطع رزقي ومللني وما أنتم في ذلك إلّا علمه بملازمي لك...).

٦. كشف المحجة، السيد ابن طاووس، ص ١٢٤.

المتوكل حذر أهل الحجاز من الاتصال بالعلويين أو دعمهم مالياً.
يقول أبو الفرج الاصبهاني:

«منع المتوكل آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ومنع الناس من البرّ بهم
وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشيء وإن قلّ إلا أنهكه عقوبةً وأثقله غمماً»^١

٢. الموقع الاجتماعي للإمام عليه السلام ونفوذه

كان النفوذ المعنوي لأئمة الشيعة عليه السلام يتفاقم على الرغم من جميع العراقيل التي كانت تضعها الحكومة، واتسع هذا النفوذ حتى عمّ قصور الخلفاء أنفسهم، ومال إليه كثير من الناس، لاسيّما الوزراء والأمراء، حيث كانوا يعتقدون بأحقّية الأئمة عليه السلام للخلافة باطناً ويرون أنها تليق بهم بالرغم من أنهم كانوا يكتمون ذلك ظاهراً، وسوف نستعرض شواهد على الموقع الاجتماعي للإمامين الهادي والعسكري عليه السلام.

نفوذ الإمام الهادي عليه السلام

سنشير هنا إلى نفوذ الإمام عليه السلام في أوساط البلاط العباسي، والعلويين، وأهل الكتاب، وأهل المدينة، والشيعة.

١- نفوذه عليه السلام في البلاط العباسي

«مرض المتوكل من خراج خرج به، فأشرف منه على الموت فلم يجسر أحد أن يمسه
بحديدة فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام مالا جليلاً
من مالها»^٢

١. مقاتل الطالبين، ص ٥٩٩.

٢. مروج الذهب، ج ٤، ص ٨٦ (وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه أغلب الناس عليه وأقربهم منه وأكثرهم تقدماً عنده... وكان له نصيب من العلم، ومنزلة من الأدب وألف كتاباً في أنواع من الأدب ترجمه بكتاب البستان)، يقول ابن النديم: (أما الفتح بن خاقان فكان من كبار رجال دار الخلافة وكان يحضر لمجالسة المتوكل) (الفهرست، ص ١١٦-١١٧).

وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل - يعني أبا الحسن - فسألته فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك، فقال: ابعثوا إليه، فمضى الرسول ورجع بالعلاج..... فبرأ المتوكل من علته»^١.

كما أرسل المتوكل يحيى بن هرثمة إلى المدينة لإشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سر من رأى على أثر وشاية، فرحل الإمام عليه السلام مع أهل بيته فتكفل يحيى بأموره ودهش من تقواه، مجتازاً به المفازة حتى وصلوا بغداد.

يقول اليعقوبي: «فلما كان بموضع يقال له الياسرية نزل هناك وركب اسحاق بن إبراهيم لتلقيه، فرأى تشوق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل ودخل به في الليل، فأقام ببغداد بعض الليلة، ثم نفذ إلى سر من رأى»^٢.

قال يحيى بن هرثمة: «فلما قدمت إلى مدينة السلام بدأت باسحاق بن إبراهيم وكان على بغداد، فقال: يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله ﷺ، والمتوكل من تعلم وإن حرصته عليه قتله، وكان رسول الله ﷺ خصمك، فقلت: والله ما وقفت منه إلا على أمر جميل. فصرت إلى سامراء فبدأت بوصيف التركي وكنت من أصحابه، فقال لي: والله لئن سقط من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون الطالب بها غيري، فتعجبت من قولهما»^٣. وقد بلغ نفوذ الإمام عليه السلام حداً أن البلاط كانوا يقومون احتراماً له كلما جاء إلى المتوكل، وكانت تفتح له الأبواب، وترفع الستائر دون أي لبث، أو انتظار أو عذر^٤.

٢. نفوذه عليه السلام في أوساط الأعيان

دُعي الإمام عليه السلام إلى مجلس وليمة أقامها أحد الخلفاء، فلما حضر الإمام عليه السلام، سكت الحاضرون احتراماً له^٥.

١. الكافي، ج ١، ص ٤٩٩؛ الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٣٠٢. ٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ٢٠٩.

٣. مرآة الزمان، ج ٩، ص ٥٥٣؛ تذكرة الخواص، ص ٣٥٩؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

٤. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٠٦؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٣.

٥. إعلام الوري، ص ٣٤٦؛ المناقب، ج ٤، ص ٤٠٧؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٢.

٣. نفوذه عليه السلام في أوساط العلويين

يقول محمد بن الحسن الأشتر العلوي: «كنت مع أبي بباب المتوكل وأنا صبي في جمع من الناس مابين طالبي إلى عباسي إلى جندي إلى غير ذلك، وكان إذا جاء أبو الحسن عليه السلام ترجل الناس كلهم حتى يدخل، فقال بعضهم لبعض: لم نترجل لهذا الغلام؟ وما بأشرفنا ولا أكبرنا ولا بأسننا ولا بأعلمنا؟ فقالوا: والله لا نترجلنا له، فقال لهم أبو هاشم: والله لترجلن له صغاراً وذلةً إذا رأيتموه، فما هو إلا أن أقبل وبصروا به فترجل له الناس كلهم، فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟ فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتى نترجلنا»^١.

وأجمع السادة العلويون على تعظيم الإمام الهادي عليه السلام والاعتراف له بالزعامة والفضل وكان من بينهم عم أبيه زيد بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان شيخاً كبيراً، وقد كلف عمر بن الفرج - وكان بواباً للإمام عليه السلام - بأن يستأذن له ليتشرف بمقابلته، وكلم الإمام عليه السلام في شأنه، فأذن له ودخل على الإمام عليه السلام، وكان في صدر المجلس فجلس زيد بين يديه تكريماً وتعظيماً واعترافاً له بالإمامة، وفي اليوم الثاني تشرف زيد بالدخول إلى مجلس الإمام، ولم يكن عليه السلام حاضراً فتصدّر زيد في المجلس، وأقبل الإمام عليه السلام فلما رآه زيد وثب من مكانه وأجلسه فيه، وجلس بين يديه متأدباً مع صغر سن الإمام وكبر زيد^٢.

٤. نفوذه عليه السلام في أوساط أهل المدينة

لما وجّه المتوكل يحيى بن هرثمة إلى المدينة لإشخاص الإمام الهادي عليه السلام لشيء بلغه عنه، يقول يحيى: «فلما صرت إليها ضج أهلها وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله، فجعلت أسكنهم وأحلف أنني لم أؤمر فيه بمكروه»^٣.

١. المناقب، ج ٤، ص ٤٠٧؛ إعلام الوري، ص ٣٤٣؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٣٧.

٢. مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ذبيح الله المحلاتي، ج ٣، ص ٩٤.

٣. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٧؛ تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ص ٢٢.

٥. نفوذ الإمام في أوساط أهل الكتاب

لم يقتصر نفوذ الإمام عليه السلام على المسلمين والشيعة، بل عمَّ أهل الكتاب أيضاً، حيث كانوا يكتنون له احتراماً بالغاً، ويتوسلون به في المصائب والمحن ويحملون إليه الهدايا.

روى هبة الله بن أبي منصور الموصلية أنه كان بديار ربيعة كاتب نصراني، وكان من أهل كفر توثا يسمى يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافي فنزل عند والدي، فقال له: ما شأنك، قدمت في هذا الوقت؟

قال: دعيت إلى المتوكل ولا أدري ما يراد مني إلا أنني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار، وقد حملتها لعلي بن محمد بن محمد بن الرضا عليه السلام معي.

فقال له والدي: قد وفقت في هذا.^١

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٤ - ١٤٥، واليك بقية الحكاية:

وخرج إلى المتوكل وانصرف إلينا بعد أيام قلائل فرحاً مستبشراً، فقال له والدي: حدثني حديثك، قال: صرت إلى سر من رأى وما دخلتها قط فنزلت في دار، وقلت: أحب أن أوصول المائة إلى ابن الرضا عليه السلام قبل مصيري إلى باب المتوكل وقبل أن يعرف أحد قدمي، قال: فعرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب وأنه ملازم لداره، فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا عليه السلام؟ لا آمن أن يبدر بي فيكون ذلك زيادة فيما أحاذره، قال: ففكرت ساعة في ذلك فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد ولا أمنعه من حيث يذهب لعلي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً، قال: فجعلت الدنانير في كاغذة وجعلتها في كمي وركبت فكان الحمار يتخرق الشوارع والأسواق يمر حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار، فقيل: هذه دار ابن الرضا عليه السلام، فقلت: الله أكبر دلالة والله مقنعة.

قال: وإذا خادم أسود قد خرج، فقال: أنت يوسف بن يعقوب؟ قلت: نعم، قال: انزل فنزلت فاقعدني في الدهليز فدخل، فقلت في نفسي: هذه دلالة أخرى من أين عرف هذا الغلام اسمي وليس في هذا البلد من يعرفني ولا دخلته قط، قال: فخرج الخادم، فقال: مائة دينار التي في كمي في الكاغذ هاتها، فناولته إياها، قلت: وهذه ثلاثة ثم رجع إلي وقال: أدخل فدخلت إليه وهو في مجلسه وحده، فقال: يا يوسف ما آن لك؟ فقلت: يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى، فقال: هيهات إنك لا تسلم، ولكن سيسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا يا يوسف، إن أقواماً يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالكم كذبوا والله إنها لتنفع أمثالك إمض فيما وافيت له فإنك ستري ما تحب، قال: فمضيت

٦. نفوذه ﷺ في أوساط شيعة سامراء

روى خادم الإمام الهادي ﷺ قال: كان المتوكل يمنع الناس من الدخول إلى علي بن محمد، فخرجت يوماً وهو في دار المتوكل فإذا جماعة من الشيعة جلوس خلف الدار، فقلت: ما شأنكم جلستم ههنا، قالوا: ننتظر انصراف مولانا لننظر إليه ونسلم عليه وننصرف، قلت لهم: إذا رأيتموه تعرفونه؟ قالوا: كلنا نعرفه.^١

مكانة الإمام العسكري ﷺ

سنشير في هذا البحث إلى الموقع الاجتماعي للإمام العسكري ﷺ لدى الخلفاء والوزراء وأهل الكتاب والعلماء والشيعة.

١. مكانته ﷺ لدى الخلفاء

كان بعض الخلفاء كالمعتمد يستعين - في هذا الدور - بالإمام ويطلب منه الدعاء له، أو العون في مواجهة الظروف الحساسة والأزمات،^٢ فقد انفذ المعتمد - لما شق عليه مداخلة الناس الشك في أمر الدين - إلى عامله أن أخرج أبا محمد الحسن بن علي من السجن واتني به، فلما حضر، قال له: أدرك أمة محمد فيما لحق بعضهم في هذه النازلة.^٣

وقال في كلام آخر لجعفر أخي الإمام العسكري ﷺ لما قال له: تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته: «إعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا إنما كانت بالله عز وجل، ونحن كنا

→ إلى باب المتوكل فقلت: كل ما أردت فاتصرف.

قال هبة الله: فلقيت ابنه بعد هذا - يعني بعد موت والده - والله وهو مسلم حسن التشيع فأخبرني أن أباه مات على النصرانية وأنه أسلم بعد موت أبيه وكان يقول: أنا بشارة مولاي ﷺ.

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٨.

٢. المناقب، ج ٤، ص ٤٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٠٩؛ الإرشاد، ص ٣٢٤.

٣. الفصول المهمة، ص ٢٦٩.

نجاه في حط منزلته والوضع منه، وكان الله عز وجل يأبى إلا أن يزيد كل يوم رفعه لما كان عليه من الصيانة وحسن السمات والعلم والعبادة».^١

٢. مكانته ﷺ لدى الوزراء

يقول عبيد الله بن خاقان أحد الوزراء العباسيين الذين عاصروا الإمام ﷺ: «لوزالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقتها أحد من بني هاشم غير هذا، فإن هذا يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه لرأيت رجلاً جليلاً نبياً خيراً فاضلاً».^٢

وقد وصف أحمد بن عبيد الله بن خاقان المعروف بالنصب والانحراف عن أهل البيت ﷺ نفوذ الإمام العسكري وموقعه الاجتماعي بقوله:

«ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا ﷺ، ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمتهم إياه على ذوي السن منهم والخطر».^٣

ويقول أيضاً: «ما سألت عنه أحداً من بني هاشم، ومن القواد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه وغيرهم، وكل يقول: هو إمام الرافضة، فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه».^٤

٣. مكانته ﷺ لدى الولاة والأمراء

لما شاهد أحد الولاة الإمام العسكري ﷺ ترجل عن دابته إجلالاً له، فقال الحسن بن علي ﷺ: «عد إلى موضعك فعاد وهو معظم له».^٥

١. كمال الدين، ص ٤٧٩.

٢. كمال الدين، ص ٤١؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٢٧، لمزيد من الإطلاع راجع: كمال الدين، ص ٤٤؛ وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٢٩.

٣. كمال الدين، ص ٤٢؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٢٧.

٤. المصدر السابق.

٥. مدينة المعاجز، ص ٥٧٠.

٤. مكانته ﷺ لدى طبيب المتوكل

أرسل بختيشوع أحد الأطباء الملازمين للمتوكل، ومن أبرز أطباء عصر الإمام ﷺ، أحد تلامذته لفصد الإمام ﷺ، وقال له: «قد طلب مني ابن الرضا من يفصده فصر إليه، وهو أعلم في يومنا هذا بمن هو تحت السماء فاحذر أن لا تعترض عليه فيما يأمرك به»^١.

٥. مكانته ﷺ لدى العلماء

كان للإمام ﷺ مقاماً رفيعاً وبارزاً لدى علماء عصره، فالجاحظ من أهم كتّاب عصره، عاش في البصرة، وتوفي قبل وفاة الإمام بخمس سنين، يقول عن الإمام ﷺ: «ومن الذين يعد من قريش أو من غيرهم ما بعد، الطالبيون في نسق واحد كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، فمنهم خلفاء ومنهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن هكذا إلى عشرة وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من العجم»^٢.

٦. مكانته ﷺ لدى أهل الكتاب

لقد اعترف بعض كبار وأعيان علماء أهل الكتاب بالمقام الرفيع للإمام ﷺ، على نحو أنه ﷺ قال في بعضهم: الحمد لله الذي جعل النصراني أعرف بحقنا من المسلمين»^٣ ومنهم من آمن بالإمام ﷺ وأسلم على يديه، مثل «أنوش النصراني»، و«راهب دير العاقول»^٤.

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦١. ٢. آثار الجاحظ، ص ٢٣٥.

٣. سفينة البحار، ج ١، ص ٢٦٠؛ حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٩٨.

٤. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦١، لمزيد من الإطلاع على الحادئين وموقف الإمام العسكري ﷺ تجاههما راجع نفس المصادر.

٧. مكاتنه ﷺ لدى الناس

لقد تمتع الإمام ﷺ بقاعدة شعبية واسعة، ويدلّ على ذلك أنّه ﷺ كان يركب إلى دار الخلافة بسر من رأى في كل اثنين وخميس في طريق يكتظ بالناس ويغص بالمارة فلا يكون لأحد موضع يمشي ولا يدخل بينهم، فإذا جاء الإمام ﷺ سكنت الضجة واصطف الناس حتى يصير الطريق واسعاً، ثم يدخل فيجلس في مرتبة التي جعلت له، فإذا أراد الخروج سكن صياح الناس وانفرج الطريق حتى يركب ويمضي.^١

نقل الشيخ الصدوق عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان عامل الخليفة على قم وكان يُكنّى العداء لأهل البيت ﷺ، أنّه قال: «لما توفي الإمام العسكري ﷺ عطلت الأسواق، وركب بنو هاشم والقواد والكتّاب وسائر الناس إلى جنازته ﷺ، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة».^٢

٨. مكاتنه ﷺ لدى الشيعة

إنّ ما أنشده أبو هاشم الجعفري، وهو من أعيان أصحاب الإمامين: الهادي والعسكري ﷺ في وصف الإمام ﷺ خير شاهد على المقام الشامخ للإمامة عند الشيعة، وإليك شذرات منها:

له الله أصفى بالدليل وأخلصا	بدرب الحصا مولى لنا يختم الحصى
كموسى وخلق البحر واليد والعصا	وأعطاه آيات الإمامة كلها
ومعجزة إلاً الوصيين قمّصا	وما قمّص الله النبيين حجة
من الأمر أن تتلو الدليل وتفحصا ^٣	فمن كان مرتاباً بذاك فقصره

١. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٢٨؛ دلائل الإمامة، ص ٢٢٦.

٢. كمال الدين، ص ٤٣؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٢٨.

٣. إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ٢، ص ١٣٩.

الخلاصة

اتسم الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة وزعامتها في هذا الدور بمزايا خاصة. فمن جملة التدابير التي اتخذها الأئمة عليهم السلام من الناحية الفكرية في هذه المرحلة هي حفظ وضبط أصول وأحاديث الشيعة، وإعداد أصحاب أخذوا على عاتقهم حل الأزمات والمشاكل المستعصية، والمحافظة على الإسلام من كيد المنحرفين، والتوعية والإجابة عن المشاكل الفكرية والفقهية، وتوفير الأرضية المناسبة عند الشيعة لمسألة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام. ومن الناحية السياسية، فإن الإمام أجبر قسراً على مغادرة المدينة والإقامة في سر من رأى، حيث وضع تحت المراقبة الشديدة، وقد قام العسكريان عليهم السلام ببسط ودعم جهاز الوكالة من خلال انتهاج سياسة التقية. ومن الإجراءات الأخرى للأئمة عليهم السلام هي دعم وحماية الانتفاضات العلوية والتشجيع على اعتلاء المناصب الحساسة. ومن الناحية الاجتماعية، فإن الشيعة كانت تعاني بوجه عام من الفقر والضغط والكبت والحرمان، وعلى الرغم من فرض الحصار على الإمام عليه السلام ومنع الشيعة من الوصول إليه، إلا أن الإمام عليه السلام حظي بنفوذ واسع في أوساط الرعية والعلماء والأعيان وأهل الكتاب والأمراء والوزراء.

الأسئلة

١. كيف كان موقف الإمام الهادي عليه السلام لما سأله أحد الشيعة عن خلق القرآن؟
٢. ما هو سبب إشخاص الإمام الهادي عليه السلام من المدينة إلى سر من رأى؟
٣. إذكر شاهداً على نفوذ الأئمة: الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام.
٤. يبين الوضع الاجتماعي للشيعة في هذا الدور.
٥. يبين أساليب الجهاد السياسي للعسكريين عليهم السلام.

للبحث والتحقيق

١. لقد بين الإمام الهادي عليه السلام المقام الشامخ لأهل البيت عليهم السلام في عصره عبر زيارتي «الغدير» و«الجامعة»، كما انتفع الإمام العسكري عليه السلام من عنصر الغيب كثيراً، أكتب تحليلاً لهذا الكلام.
٢. حرّر مقالاً حول التقية في تاريخ العسكريين عليه السلام.
٣. إذكر الموارد التي تمكن فيها الشيعة من النفوذ إلى المناصب الحساسة من خلال مراجعة بحار الأنوار، ج ٥٠.
٤. أكتب عن أصحاب العسكريين عليه السلام وعن المؤلفات التي دوّنت في هذا الدور.

مصادر البحث

١. بحار الأنوار، ج ٥٠.
٢. تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الشهيد محمد الصدر.
٣. حياة الإمام العسكري عليه السلام، محمد جواد الطبسي.
٤. حياة الإمام علي الهادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري عليه السلام، باقر شريف القرشي.
٥. تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور عبد الهادي الفضلي.
٦. تاريخ الفقه والفقهاء، الدكتور أبو القاسم كرجي.

تمهيد الأرضية لدخول الشيعة عصر الغيبة

أخبار النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بشأن المهدي عليه السلام وغيبته

إنَّ لمسألة الغيبة والمهدوية تاريخاً عريقاً في أوساط المسلمين لاسيما الشيعة، وقد اطلع المسلمون على هذه الحقيقة عبر الروايات النبوية والعلوية، والمصادر التي بين أيدينا مشحونة بالروايات عن النبي ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام التي تخبر بوقوع الغيبة والمسائل المتعلقة بها، يقول الشيخ الطوسي في هذا الصدد:

«ويدل على إمامة ابن الحسن عليه السلام وصحة غيبته ما ظهر وانتشر من الأخبار الشائعة الدائنة عن آبائه عليهم السلام قبل هذه الأوقات بزمان طويل من أن لصاحب هذا الأمر غيبة، وصفة غيبته وما يجري فيه من الاختلاف ويحدث فيها من الحوادث، وأنه يكون له غيبتان، أحدهما أطول من الأخرى، وإن الأولى يعرف فيها خبره، والثانية لا يعرف فيها أخباره، فوافق ذلك على ما تضمنته الأخبار»^١.

وقد ذكر الشيخ الطوسي عدّة أخبار عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بشأن المهدي عليه السلام وغيبته، كما نقلت مصادر أخرى المزيد من هذه الأخبار، نظير: «كمال الدين وتمام

١. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٠١.

النعمة» للشيخ الصدوق، و«الغيبة» لابن أبي زينب النعماني، إلى جانب مصادر أهل السنة. ويمكن القول مع أخذ تلك الروايات بنظر الاعتبار إن مسألة المهدي عليه السلام وغيبته من المسائل المعروفة والشائعة في مصادر الفريقين، وغير قابلة للإنكار.

إنّ الذهنية الشيعية في مسألة الغيبة والمهدوية لا تتعلق بأصل المسألة فقط، بل تشمل أيضاً الخصوصيات والدقائق والجزئيات التي بينها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ولأجل إبداء المزيد من التوضيح حول هذه المسألة نلقي نظرة خاطفة على بعض الروايات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلى الإمام الجواد عليه السلام، وأما روايات العسكريين عليهم السلام و التدابير التي اتخذها بهذا الشأن فسوف نعقد لها بحثاً مستقلاً؛ نظراً لقرب عصرهما من عصر الغيبة، ومما يجدر ذكره أنّ هذا البحث قد اعتمد على ثلاثة مصادر شيعية مهمة، هي كتاب «الغيبة» للنعماني و«الغيبة» للشيخ الطوسي و«كمال الدين» للشيخ الصدوق، أما سائر المصادر الشيعية والسنية الواردة حول المهدي عليه السلام فترك مراجعتها للقراء الأعزاء

١. رسول الله صلى الله عليه وآله

قال عبد الله بن عباس: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض أطالعة فاختارني منها فجعلني نبياً، ثم أطلع ثانية فاختار منها علياً فجعله إماماً، ثم أمرني أن أتخذه أخاً وولياً ووصياً وخليفة ووزيراً، فعلي مني وأنا من علي، وهو زوج ابنتي وأبو سبطي الحسن والحسين، ألا وإنّ الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حججاً على عباده، وجعل من صلب الحسين أئمة يقومون بأمري ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة، فيعلن أمر الله ويظهر دين الله عزّ وجلّ يؤيد بنصر الله وينصر ملائكة الله، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^١

١. كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٢٥٧؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٩٥.

٢. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

نقل عبد العظيم الحسيني عن الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «للقائم منا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة».

ثم قال عليه السلام: إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»^١

٣. فاطمة الزهراء عليها السلام

نقل جابر بن عبد الله الأنصاري بطرق مختلفة عن الصحيفة التي رآها بيد فاطمة عليها السلام، كأنها درة بيضاء، فقرأ فيها أسماء الأئمة الاثنا عشر عليه السلام مع أسماء أمهاتهم، وكان آخرهم قائم آل محمد عليه السلام^٢

٤. الإمام الحسن بن علي عليه السلام

روي عن أبي سعيد عقيصا أنه قال: لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله ﷺ علي؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم إن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران؛ إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً، أما علمتم أنه ما منا أحد ألا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه،

١. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٣، ح ١٤.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٥، الباب ٢٧: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٩٢.

إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه؛ لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة، إذا خرج ذلك التاسع من ولد الحسين بن سيدة الإمام يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير»^١.

٥. الإمام الحسين بن علي عليه السلام

روى عبد الرحمن بن الحجاج عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن الإمام الحسين عليه السلام، أنه قال: «في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنة من موسى بن عمران عليه السلام، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة».

وعن رجل من همدان قال: «سمعت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «قائم هذه الأمة هو التاسع من ولدي، وهو صاحب الغيبة، وهو الذي يقسم ميراثه وهو حي»^٢.

٦. الإمام السجاد عليه السلام

روي عن أبي خالد الكابلي، أنه قال: «دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله عز وجل طاعتهم ومودتهم وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال لي: يا كنكر إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عز وجل أئمة للناس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن، ثم الحسين ابنا علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم انتهى الأمر إلينا، ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام إن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد واسمه في التوراة

١. كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٣١٥؛ وفي الباب ذاته، نقله الصدوق عن الإمام الجواد عليه السلام.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٦، الباب ٣٠، ح ١.

باقر يقر العلم بقرأ، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون، قال: حدثني أبي عن أبيه عليه السلام إن رسول الله ﷺ قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فسموه الصادق، فإن للخامس من ولده ولداً اسمه جعفر يدعي الإمامة اجترأ على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله عز وجل، والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله عز وجل، ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديداً، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله..... ثم قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله عز وجل الثاني عشر من أوصياء رسول الله ﷺ والأئمة بعده. يا أبا خالد ان أهل زمان غيبته القائلين بامامته والمتظنين لظهوره أفضل من أهل كل زمان؛ لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله عز وجل سراً وجهرأ، وقال: انتظار الفرج من أعظم الفرج»^١.

٧. الإمام الباقر عليه السلام

إن حجم الروايات المنقولة عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام بشأن المهدي عليه السلام وغيبته وظهوره أو علامات الظهور والحوادث التي تتلوها لاتقاس بحجم الروايات المنقولة عن سائر الأئمة عليه السلام، وخصوصية هذه الروايات إضافة إلى بيان أصل المسألة، إنها تتعرض إلى بعض خصوصيات الغيبة، ويمكن إثبات هذا المدعى من خلال استعراض بعض الروايات في هذا الصدد.

١. كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٣٢٠، ح ٢، وبلغ مجموع الروايات التي نقلها الصدوق عن الإمام السجاد عليه السلام تسع روايات، اكتفينا منها برواية أبي خالد الكابلي روما للاختصار.

يقول إبراهيم بن عمر اليماني قال: «سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام، يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، وسمعته يقول: لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة». وعن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي عليه السلام تأسعهم قائمهم».^١

وعن جابر الجعفي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيأطوبن للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جلّ جلاله، فيقول: عبادي وإمائي آمتم بسري وصدقتم بغيبتي فابشروا بحسن الثواب مني، فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل وعنكم أعفو ولكم أغفر وبكم أسقي عبادي الغيث ودافع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابى».^٢

٨. الإمام الصادق عليه السلام

إن الروايات المنقولة عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في هذا الصدّد كثيرة، وقد تعرضت إلى بيان المزيد من الخصوصيات، وإليك عدداً منها:

روي عن صفوان بن مهران، عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه قال: من أقر بجميع الأئمة وجد المهدي عليه السلام كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجد محمدًا عليه السلام فليل له: يا ابن رسول الله عليه السلام فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته».^٣

روي عن أبي بصير، أنه قال: قال الصادق عليه السلام: «إن بلغكم عن صاحبكم غيبة، فلا تنكروها».^٤

١. الغيبة، النعماني، ص ١١٣.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٣٣٠، ح ١٥، ويختص الباب ٣٢ منه بالروايات الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام عن المهدي (عج) وغيبته وخصوصياتها وظهوره، ومن ص ٩٢ وما بعدها من كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ومن ص ٩٧ إلى ص ١١٣ من كتاب الغيبة للنعماني.

٣. كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٣٣، ب ٣٣، ح.

٤. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٠٢.

و روي عن عبيد بن زرارة، أنه قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يفقد الناس امامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه».^١

ويشير الإمام عليه السلام في بعض الروايات إلى وجود غيبتين: صغرى وكبرى. وقد وردت روايات بهذا المضمون من طرق مختلفة في مصادرنا مثل كتاب الغيبة للنعماني، الذي قال بعد نقله لتلك الروايات:

«هذه الأحاديث التي يذكر فيها إن للقائم عليه السلام غيبتين، أحاديث قد صحّت عندنا، وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام، وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين، موجودي الأشخاص والاعيان يخرج على أيديهم غوامض العلم وعويص الحكم، والأجوبة على كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها، والغيبة الثانية، هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى والتدبير الذي يمضيه في الخلق».^٢

٩. الإمام الكاظم عليه السلام

عن محمد بن يعقوب بسنده عن علي بن جعفر، عن أخيه الإمام الكاظم عليه السلام، أنه قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع، فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم عنها، فإنه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله يمتحن الله بها خلقه».^٣

وقال داود بن كثير الرقي: «سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن صاحب هذا الأمر، قال: هو الطريد الوحيد الغريب الغائب عن أهله الموتور بأبيه عليه السلام».^٤

١. المصدر السابق. ٢. الغيبة، النعماني، ص ١١٤. ٣. المصدر السابق، ص ١٠٠.

٤. كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٣٦١، ح ٤.

١٠. الإمام الرضا عليه السلام

عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي، يقول: «انشدت مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام قصيدتي التي اولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه الي، فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي إلا إنني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً، فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابني علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأما متى؟ فأخبر عن الوقت، فقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مثله مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة^١.

١١. الإمام الجواد عليه السلام

روي عن عبد العظيم الحسيني، أنه قال: «دخلت على سيدي محمد بن علي الجواد عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره، فابتدأني، فقال لي: يا أبا القاسم إن القائم مناهو المهدي، الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٢، ب ٣٥، ح ٦.

ولدي، والذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة وخصنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمة موسى ﷺ؛ إذ ذهب ليقبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي، ثم قال: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»^١.

١٢. الإمامان الهادي والعسكري ﷺ

اتضح مما سبق إن مسألة إعداد الشيعة للدخول في عصر الغيبة وقبولها وانقطاع الاتصال المباشر بالإمام ﷺ كانت قد ابتدأت في عصر النبي ﷺ واستمرت إلى عصر الأئمة ﷺ. أما في عصر الإمامين الهادي والعسكري ﷺ فقد شهد منعطفاً جديداً عبر التدابير الواسعة التي اتخذت من أجل تمهيد الأرضية اللازمة لدخول الشيعة عصر الغيبة، وقد تلخصت جهود الإمامين الهادي والعسكري ﷺ في الأمور التالية:

أول إجراء قام به الإمامان ﷺ كان بموازاة جهود النبي ﷺ والأئمة ﷺ، أي الإخبار عن المهدي ﷺ وغيبته وبيان خصوصية تلك الغيبة، وكيفية ظهوره، وكل ما ينبغي معرفته في هذا الشأن.

والإجراء الآخر الصادر عنهما ﷺ هو الحد من الاتصال المباشر بالشيعة عن عمد أو قسر من أجل تهيئة الأجواء لدخول الشيعة مرحلة جديدة، وهي مرحلة الاقتصار على المكاتبة أو الاتصال بالواسطة، فكان لابد للشيعة من التكيف مع هذا الوضع الجديد. والأجراء الثالث المهم الذي مارسه الإمامان الهادي والعسكري ﷺ في تمهيد أرضية الغيبة هو دعم السفارة والوكالة باعتبارها ركناً ركيناً في اتصال الإمام ﷺ بالشيعة في عصر الحضور والغيبة.

وكل واحد من هذه الإجراءات الثلاثة بحاجة إلى مزيد من التوضيح

١. نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧٧، ب ٣٦، ح ١.

١٢ - (١) تبين مسألة المهدي عليه السلام وغيبته

تقدّم أنّ النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام أولوا قضية المهدي عليه السلام وغيبته عناية بالغة، وفي هذا الإطار أكد الإمامان العسكريان عليه السلام على قرب حلول عصر الغيبة وحذرا من السقوط في أحضان الحيرة والضلالة، وقد أشارت روايات متعددة وردت عن الإمام الهادي عليه السلام إلى أنّ المهدي عليه السلام هو ابن ابنه، وإن غيبته قريبة.

عن صقر بن أبي دلف، قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام، يقول: «إنّ الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^١.

وقد أخبر الإمام عليه السلام الشيعة بهذا الأمر - حسب بعض الأخبار المنقولة عنه عليه السلام - وهو المهدي عليه السلام هو الذي أنّ ستبقى ولادته سرّية لا يطلع عليها أحد، وفي هذا تنبيه للشيعة لئلا يساورهم الشك حياله نتيجة إخفاء ولادته عليه السلام.

ولما استشهد الإمام الهادي عليه السلام انتقلت مسؤولية إعداد الشيعة لعصر الغيبة إلى الإمام العسكري عليه السلام، الذي تضاعفت مسؤوليته نظراً لولادة المهدي عليه السلام في عهده، وقرب موعد غيبة نجله، وعليه فقد تلخّصت مهمة الإمام العسكري عليه السلام إلى جانب بيان أصل مسألة المهدي عليه السلام وغيبته - في بيان إثبات وجود المهدي عليه السلام وولادته، الأمر الذي دعا الإمام عليه السلام إلى إطلاع بعض خواصه على ولادته، وإرائته لهم سرّاً، وتعيين زمن غيبته بدقة. قال أبو غانم: سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يقول: «في سنة مائتين وستين تفرق شيعتي»^٢.

كما صرحت بعض الروايات بوقوع الاختلاف بين الشيعة بعد بدء عصر الغيبة. قال موسى بن جعفر بن وهب البغدادي: سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يقول: كأتني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني..... أما أنّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلّا من عصمه الله عزّ وجلّ»^٣.

١. كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٣٨٣، ب ٣٧، ح ١٠.

٢. نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٠٨، ح ٦.

٣. نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٠٩، ح ٨.

وورد في بعض الروايات الأمر بالصبر وانتظار الفرج في زمن الغيبة، منها:
ما كتب عليه السلام إلى أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي: «عليك بالصبر وانتظار
الفرج، قال النبي صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى
يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً،
فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».^١

١٢ - ٢) الحد من الاتصال المباشر بالشيعة

قام الإمامان العسكريان عليه السلام بالاحتجاب عن الشيعة شيئاً فشيئاً لتمهيد الأرضية اللازمة
لغيبة الإمام المهدي عليه السلام، هذه الحقيقة تتضح بجلاء من ثنايا كلمات المؤرخ المعروف
المسعودي في «إثبات الوصية» حيث يقول:

«إن أبا الحسن الهادي صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عدد
يسير من خواصه، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمد عليه السلام كان يكلم شيعته الخواص
وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان».^٢

فهذان الإمامان عليه السلام ظلّا محتجبين عن الشيعة قسراً أو طوعاً نظراً لتعرضهما لمراقبة
شديدة في سر من رأى، ولقرب عصريهما من عصر الغيبة، وقد اقتصر اتصالهما
بالشيعة على طريق المكاتبات والتوقيعات والوكلاء، الأمر الذي يفسر لنا كثرة
المكاتبات قال أحمد بن إسحاق القمي: «دخلت على أبي محمد عليه السلام فسألته أن يكتب
لأنظر إلى خطه فأعرفه إذا ورد».^٣

من هنا كانت جماعة من الشيعة تغتنم الفرصة وتلتقي بالإمام عليه السلام عند مسيره إلى دار
الخلافة كل أسبوع.

١. انظر المناقب، ج ٣، ص ٥٢٧؛ تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٢١٧. ٢. إثبات الوصية، ص ٢٣١.

٣. انظر المناقب، ج ٣، ص ٥٣٣؛ تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٢٢٤.

١٢ - ٣) دعم الوكالة

إنَّ أحد التدابير التي اتخذها الإمام العسكري عليه السلام للدخول في عصر الغيبة هو دعم الوكالة، ولأجل معرفة المزيد عنها و سير تكاملها خاصة في عصر الإمامين العسكريين عليهم السلام وعصر الغيبة لابدَّ من تسليط الأضواء على هذا الجهاز والإطلاع على سيره التكاملي وسائر خصوصياته ومهامه، والمباحث التالية تتكفل بذلك:

(أ) التعريف اللغوي والاصطلاحي للوكالة.

(ب) الأسباب التي دعت إلى تشكيل جهاز الوكالة واستمرار نشاطه حتى انتهاء عصر الغيبة.

(ج) القيود الزمانية والمكانية المفروضة على نشاط الوكالة.

(د) وظائف ومهام الوكالة.

(هـ) خصوصيات الوكالة.

(و) سيرة وكلاء الأئمة عليهم السلام.

أ) التعريف اللغوي والاصطلاحي للوكالة

قيل في التعريف اللغوي للوكالة: «الوكالة أن يعهد إلى غيره أن يعمل له عملاً، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، وسمي الوكيل وكيلاً لأنه يوكل إليه الأمر»^١. وورد تعريفها في المصادر الفقهية: «الوكالة هي تولية الغير في إمضاء أمراً واستنابته في التصرف في ما كان له ذلك - الوكالة هي التفويض، وشرعاً الاستنابة المخصوصة - الوكالة هي تفويض أمر إلى الغير ليعمل له حال حياته، أو إرجاع تمشية أمر من الأمور إليه له حالها»^٢.

إنَّ التأمّل في التعريف اللغوي والاصطلاحي للوكالة يوحي إلى استبطانه معني العجز عن الأداء المباشر للعمل، ويعني ذلك إنَّ الموكل يقدم على تعيين الوكيل حين

١. راجع: معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ١٣٦؛ المعجم الوسيط، ص ١٠٥٣.

٢. انظر: وسيلة النجاة، ج ٢، ص ١٠٣؛ جواهر الكلام، ج ٢٧، ص ٣٢٧، تحرير الوسيلة، ج ٢، ص ٣٩.

عجزه عن أداء العمل لأسباب وعلل بالرغم من إمكان أدائه للعمل إلا أن ذلك لا يسقط عنه بتعيين الوكيل، وإلى هذا المعنى أشار التعريف الفقهي للوكالة عبر قيد «في ما كان له ذلك»، من هنا يظهر أن تعيين الأئمة عليهم السلام للوكلاء إنما هو لأجل تعذر إقامة اتصالات مباشرة بالشيعة القاطنين في ربوع العالم الإسلامي بالطرق المتداولة.

ويعود هذا المصطلح إلى زمن حضور الأئمة عليهم السلام وعصر الغيبة الصغرى، وقد أطلق عليه جهاز الوكالة؛ نظراً لإدارته من قبل جماعة يسودها النظم والانسجام.

وبدت معالم ذلك الجهاز تظهر في زمن الإمام الصادق عليه السلام، حيث بعث الإمام عليه السلام عدد من الوكلاء إلى المراكز الشيعية الدانية؛ والنائية لكي يؤدوا ما عليهم من مهام الاتصال بالشيعة، ثم اتسع هذا النشاط وازداد انتشاراً في عصر الإمام الكاظم عليه السلام، وساد فيه المزيد من الانسجام في أواخر عصر الإمام الرضا عليه السلام وبداية عصر الإمام الجواد عليه السلام، ودام هذا الوضع حتى عصر الإمامين: الهادي والعسكري عليهم السلام وعصر الغيبة، فبلغ ذروة نشاطه وانحصر به اتصال الشيعة بالإمام عليه السلام، واستمر نشاطه حتى نهاية عصر الغيبة الصغرى، وكان يضم وكلاء الإمام عليه السلام الذين تمتعوا بمواصفات خاصة تؤهلهم لتحمل المسؤوليات الملقة على عاتقهم، وفي هذا الخضم كان البعض يدعي النيابة والباية عن الإمام عليه السلام كذباً وافتراءً لدوافع ذاتية، فكان عليه السلام يدحض أكذوبتهم، وكل من هذه المباحث بحاجة ماسة إلى دراسة وافية لكي نقف بصورة جلية على طبيعة مهام ذلك الجهاز.

(ب) علل إنشاء السفارة وإدامة نشاطها حتى انتهاء عصر الغيبة

إن البحث المهم في هذا الموضوع، هو أنه لماذا أقدم الأئمة عليهم السلام على إنشاء الوكالة والسفارة وتعزيز نشاطها، وماهي الأسباب والخلفيات الكامنة وراء ذلك؟ ويمكن أن تلخص هذه الأسباب بالأمور التالية:

١. ضرورة الاتصال بين الإمام وأتباعه

يبدو أن من العوامل الأساسية لإنشاء السفارة والوكالة، هي ضرورة الاتصال بين الأئمة المعصومين عليهم السلام وأتباعهم، وهي ضرورة ملحة بين القائد وأتباعه في كل كيان ديني

وسياسي واجتماعي، وانطلاقاً من ذلك تم تعيين وكلاء من قبل الأئمة عليهم السلام عهدت إليهم مهمة الاتصال بالشيعة، وتتضح هذه المسألة أكثر إذا أخذنا بنظر الاعتبار سعة العالم الإسلامي في ذلك العصر، وانتشار الشيعة في مناطق مختلفة كالحجاز والعراق وإيران واليمن ومصر والمغرب، فكان من الطبيعي تعذر السفر لمعظم الشيعة إلى مراكز تواجد الأئمة عليهم السلام في المدينة وغيرها، فأقتضت الحاجة إلى تعيين وكلاء عن الأئمة عليهم السلام وإرسالهم إلى تلك المناطق النائية ليكونوا حلقة وصل بينهم عليهم السلام وبين أتباعهم.

٢. الكبت العباسي وضرورة الحفاظ على الشيعة والتشيع

لاشك أن أجواء الكبت لا يمكن أن تشكل عاملاً رئيساً لإنشاء السفارة، ولكن يمكن القول بضرر قاطع إن تلك الأجواء كانت عاملاً مساعداً لتصعيد نشاطها وانتشارها، ومن هنا بلغت السفارة ذروة فاعليتها في عصر الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام.

٣. إعداد الشيعة لعصر الغيبة

إن أحد وجوه اهتمام الأئمة عليهم السلام بهذا الجهاز هو إعداد الشيعة للتكيف مع الوضع الجديد، وهو عصر الغيبة الذي انحصر فيه اتصال الشيعة بالإمام عليه السلام عن طريق الوكلاء، ومع أخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار، فإنه كلما اقتربت الشيعة من عصر الغيبة كلما ضاق نطاق الاتصال المباشر بالإمام عليه السلام، وتجلّى أكثر دور الوكالة خاصة في عصر الإمامين العسكريين عليهم السلام الذي اقتصر اتصال الشيعة بهما على طريق المكاتب والوكالة، ومهما يكن من أمر فقد دعم الإمامان العسكريان عليهم السلام السفارة لأجل تهيئة الشيعة لمرحلة جديدة وهي مرحلة الغيبة.

٤. رفع الحيرة عن الشيعة في عصر الغيبة

إزدادت الحاجة إلى هذا الجهاز في عصر الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام، نظراً لأنحصار الاتصال به عن طريق الوكلاء، وعندئذ يصبح الوكلاء والسفراء المرجع الوحيد للشيعة

في حل مشاكلهم السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، كما كان الحال في عصر بعض الأئمة عليه السلام كالإمام الكاظم عليه السلام أو الإمامين العسكريين عليه السلام، حيث لم يتمكن الشيعة من الوصول إليهم، فكان الوكلاء هم مراجع الشيعة الثقات.

ج) الإطار الزمني والمكاني لنشاط السفارة

ينبغي أن نعلم - مع أخذ القرائن والشواهد بنظر الاعتبار - أن نقطة انطلاق نشاط ذلك الجهاز بدأ في عصر الإمام الصادق عليه السلام، وقد واجه تحديات كبيرة طويلة وجوده إلا أنه لم يكف عن نشاطه في أي عصر من عصور الأئمة عليه السلام لاسيما، وأنه شهد في عصر الغيبة منعطفاً خطيراً في نشاطه بعد أن أصبح المرجع الوحيد للشيعة في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام.

وقد استمر نشاطه بزخم هائل حتى عام (٣٢٩ هـ)، حيث تزامن مع وفاة السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام، وانقطاع السفارة ومنذ تلك السنة ابتدأ عصر الغيبة الكبرى، وقد احييت هذه المسؤولية إلى الفقهاء الجامعين للشرائط، دون أن يكون في البين تعيين من قبل الإمام عليه السلام لفقهاء أو فقهاء خاصين كوكلاء عنه، وإن كان هذا لا يمنع من كونهم وكلاء عنه عليه السلام بالمعنى العام دون أن ينطوي تحت عنوان السفارة والوكالة، وعليه يمكن القول بأن الإطار الزمني له امتد ما بين عصر الإمام الصادق عليه السلام ونهاية عصر الغيبة الصغرى. أما الإطار المكاني لنشاطه فيحتمل أنه عمّ كافة المراكز الشيعية المنتشرة في العالم الإسلامي، بغض النظر عن الشواهد التاريخية.

ولما نراجع النصوص التاريخية نجد أن التقارير تؤيد هذا الاحتمال؛ لأن المصادر التاريخية والكتب الرجالية للشيعة تتحدث عن وكلاء منتشرين في مناطق مختلفة، مثل^١:

١. الحجاز (المدينة)^٢

١. اكتفينا ببرد أسماء المناطق رعاية للإيجاز، وأردفنا كل منها بهامش ليرجع الطلاب إلى مصدره.
٢. راجع: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢١٠؛ تنقيح المقال، ٣، رقم ١٢٤٥١؛ رجال الشيخ، ص ٣٢٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٤٢، ترجمة يونس بن يعقوب والمفضل بن عمر الجعفي؛ رجال الكشي، ص ٥١١، ح ٩٨٨، ترجمة أبو علي محمد بن أحمد بن حماد المروزي المحمودي.

٢. العراق (الكوفة،^١ بغداد،^٢ سامراء، واسط^٣).
 ٣. إيران (خراسان الكبرى،^٤ قم،^٥ الري،^٦ قزوین،^٧ همدان،^٨

١. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٧٨، ١٣٤؛ رجال الكشي، ص ٤٩٣، ح ٩٤٦؛ رجال النجاشي، ص ٧٤.

٢. المصدر السابق، ص ١٣٤، ويستفاد من كتاب الإمام عليه السلام لأتباعه في تلك المناطق، أن تعيين علي بن راشد بدل علي بن الحسين كوكيل عنه جاء أثر إلقاء القبض على العديد من الشيعة من قبل المتوكل، راجع في هذا الصدد التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ١٣٦-١٣٦، ومما يجدر ذكره أن المراد من «قرى السواد» هي المناطق المحيطة بالكوفة وأطلق عليها هذه التسمية لأنها من أكثر المناطق خصوبة حتى كأنها تبدو سوداء من بعيد.

٣. كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٠٤، ح ٣٥؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٣٦.

٤. تنقيح المقال، ج ٢، رقم ٦٤٧٠، ترجمة فضل بن سنان؛ رجال الكشي، ص ٥٨٠، ح ١٠٨٩، فقد كتب الإمام لعبدالله بن حمدويه يقول: «وبعد، فقد نصبت لكم إبراهيم بن عبده ليدفع النواحي وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك» وفي رجال الكشي، ص ٥٤٢، ح ١٠٢٧ ترجمة أيوب بن الناب الذي اتهمه الفضل بن شاذان أحد أعيان نيسابور بالغلو والتفويض إلا أن الإمام عليه السلام فض النزاع بتوقيعه الذي بعثه؛ تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١٠٨٤٣، ترجمة محمد بن شاذان بن نعيم الشاذاني؛ نفس المصدر، ج ٢، رقم ٢٨٢٠؛ ترجمة علي بن الحسين بن علي الطبري؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٣٩؛ كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٠٩؛ رجال الكشي، ص ٥٣٣، ح ١٠١٧؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٤١، وعاش في عصر الحسين بن روح السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام وكان يتردد إليه.

٥. انظر: رجال الكشي، ص ٤٨٣، ح ٩١٠؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥١؛ تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١٠٣٠٤؛ مستدرک الوسائل، ج ١، ص ٣٧٤؛ جامع الرواة، ج ١، ص ٤١؛ أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٨.

٦. يقول الشيخ الطوسي حول الري في كتابه الغيبة: «وكان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل، منهم أبوالحسين، محمد بن جعفر الأسدي»، وطبقاً لنقله أيضاً فإن شخص يدعى صالح بن أبي صالح أمر من قبل الناحية المقدسة بجمع الحقوق الشرعية من الناس عام (٢٩٠ هـ) ويسلمها إلى أبي الحسين الأسدي في الري. (انظر: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٥٧؛ تنقيح المقال، ج ٢، ص ٩٢؛ جامع الرواة، ج ٢، ص ٨٣؛ كمال الدين، ص ٥٠٩، ح ٣٨، وص ٥٢٢).

٨. راجع: رجال الكشي، ص ٦١١، ح ١١٣٦؛ رجال النجاشي، ص ٢٤٢؛ تنقيح المقال، ج ٢، رقم

اذربيجان،^١ قرميسين،^٢ الأهواز،^٣ سيستان وبست^٤.

٤. مصر.^٥

(د) وظائف وشؤون جهاز الوكالة

يظهر من خلال دراسة الشواهد التاريخية أن جهاز الوكالة منذ زمن تأسيسه وحتى انتهاء نشاطه كان له وظائف ومهام متنوعة، وسوف نشير إليها بإيجاز:

١. جباية الأموال والحقوق الشرعية

أقدم هذا الجهاز منذ إنشائه على جمع الحقوق الشرعية وتوزيعها، وكان «المعلّى بن خنيس» وكيل الإمام الصادق عليه السلام في المدينة قد أتهم في زمن المنصور العباسي بجمع الأموال لدعم ثورة محمد بن عبد الله (ذي النفس الزكية)^٦ واستشهد بسبب ذلك.

وقد اتسعت دائرة نشاط الوكالة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام وانتشرت في المراكز الشيعية، وبلغت الأموال التي تجبى مبلغاً عظيماً دفعت ببعض الوكلاء إلى خيانة الأمانة ومحاولة التصرف بها بعد استشهاد الإمام عليه السلام من خلال الوقف عليه عليه السلام وإنكار امامة الرضا عليه السلام،^٧ إلا أن نشاط هذا الجهاز اتجه نحو مزيد من النظم والإنسجام في الأزمنة

→ ٩٦٠٧، ج ١، رقم ٢٧٥٢؛ كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٣، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٩٧، ٣٠٣؛ ج ٩٧، ص ٤٥. ١. انظر: وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٩١.

٢. راجع: بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٠٠؛ المسالك والممالك، ص ٤١ و ١٩٨.

٣. انظر: تنقيح المقال، ٢؟؟؟، رقم ٦٧٩٢؛ رجال الكشي، ص ٥٤٩، ح ١٠٣٨، ١٠٣٩ و ١٠٤٠؛ رجال النجاشي، ص ١٧٧، وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٤٢؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢١١.

٤. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٧٨.

٥. راجع: المصدر السابق، ص ٧١؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٤٣؛ المناقب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٥.

٦. راجع: تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١١٩٩٤.

٧. كانوا من زعماء الواقفية وقد لعنهم الإمام الرضا عليه السلام، فطردوا من المجتمع الشيعي، منهم علي بن

اللاحقة، لاسيما أمر جباية الأموال وتوزيعها. وكانت هذه الحقوق تؤخذ تحت عناوين الزكاة، والهدايا المالية، والصدقة، والنذر، والوقف، والخمس.^١

يشار إلى أن بعض الشيعة تقاعس عن دفع الخمس في عصر الإمام العسكري عليه السلام، إلا أن هذا لم يدم طويلاً، فقد تم في عصر الغيبة الصغرى التشديد على ضرورة دفع الخمس وسائر الحقوق الشرعية، وكتب صاحب الوسائل عن سبب ذلك، قائلاً:

«إن وجه التشديد هنا وجود الوكلاء الذين يجب الإيصال إليهم في ذلك الوقت ووجود المحتاجين من السادات الذين يجب كفايتهم على الإمام عليه السلام ولو من نصيبه».^٢

وهناك أساليب متعددة يجبى بها الأموال في عصر الغيبة، قد تكون أحياناً بخرق العادة على نحو يحصل الوثوق بصدق كلامهم، وكشاهد على ذلك، قام محمد بن إبراهيم بن مهزيار بتحويل مبالغ طائلة إلى مبعوث الإمام عليه السلام بعد أن كشف بدقة عن أوصافها وخصوصياتها الخفية، وتُقل نظير هذا عن «أحمد بن محمد الدينوري»^٣، و«الحسين بن روح النوبختي»^٤.

وكان يتفق أحياناً في فترة قصيرة من عصر الغيبة الصغرى أن تجبى الأموال دون المطالبة بالوصلات، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى تفاقم أجواء الكبت والظلم من قبل الحكم العباسي.^٥

إن الأموال التي كانت تجبى للأئمة عليهم السلام كانت تنفق في الوجوه التالية:

(أ) إعانة المحتاجين من السادات وبني هاشم.

→ أبي حمزة البطائني وحيان السراج وعثمان بن عيسى الرواسي. (انظر: رجال الكشي، ص ٤٩٣،

ح ٩٤٦؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٤٢.

١. راجع: رجال الكشي، ص ٤٣٤، ح ٨١٩.

٢. انظر: وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٣٧٨.

٣. انظر: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٧١؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٠٣.

٤. انظر: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٩٥.

٥. المصدر السابق، ص ٢٢٥.

ب) انفاقها في مصالح عامة الشيعة.

ج) رفع الخلافات المالية بين الشيعة.

د) إعانة الفقراء.

هـ) نفقة دار الإمام عليه السلام.

٢. العناية بالأوقاف

كان الحسن بن محمد قطاة الصيدلاني وكيل الوقف بواسط،^١ وأحمد بن إسحاق القمي وكيل الوقف بقم،^٢ وكانت الأوقاف منتشرة في نقاط مختلفة من إيران والعراق وغيرهما.

٣. إرشاد الشيعة ومناظرة المخالفين

إنَّ إحدى مهام السفارة هي إرشاد الشيعة إلى وظائفها وتبيين أصول المذهب، ولا شك أنَّه حينما يتم إرسال وكيل عام ومطلق للإمام المعصوم عليه السلام إلى مدينة أو منطقة فلا بد أن يكون من أكثر الناس علماً ومعرفة لاسيما بمعرفة الإمام المفترض الطاعة حيث كانت تنهال عليه الأسئلة من قبل الشيعة في هذا الصدد، كما اتفق ذلك عقب استشهاد الإمام الرضا عليه السلام، حيث اجتمع ثمانون من أعيان الشيعة الإمامية في بغداد وكان من بينهم عبدالرحمن بن الحجاج البجلي وكيل الإمام عليه السلام في العراق وسائر الوكلاء؛ لكي يتباحثوا في أمر إمامة الجواد عليه السلام؛ لأنَّ صغر سنه أدت ببعضهم إلى استبعاد إمامته عليه السلام.^٣

وقد واجهت الشيعة في عصر الغيبة الصغرى وضعاً جديداً يتسم بإزدياد الشك والحيرة، وذلك لغياب الاتصال المباشر بالإمام المعصوم عليه السلام، وإزاء تلك الحالة، بقيت

١. انظر: كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٠٤، ح ٣٥؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٣٦.

٢. انظر: رجال النجاشي، ص ٦٦؛ تنقيح المقال، ج ١، ص ٥٠؛ جامع الرواة، ج ١، ص ٤١.

٣. انظر: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٧٨.

الوكالة هي الملجأ والملاذ الآمن للإرشاد والتوعية.

ولما توفي النائب الأول للإمام عليه السلام ساورت الناس الشكوك حول خليفته، فقام أبو جعفر العمري مقامه وأزاح تلك الشكوك وتكفل بمهمة إرشاد الناس، وما اتفق لأبي العباس الدينوري السراج^١ خير مؤيد على ذلك.

وثمة شواهد كثيرة تدل على قيام الأئمة عليهم السلام بأحالة الشيعة إلى السفارة بغية معرفة الحق حين تعذر الوصول للإمام عليه السلام، ومن أبرزها قيام الإمام الهادي عليه السلام بأحالة «أحمد بن إسحاق القمي» إلى «عثمان بن سعيد»^٢ والرجوع إليه.

وكان الوكلاء والنواب المرجع في تعيين الغث من السمين في المسائل الكلامية والعقائدية خاصة في عصر الغيبة، فالعمري (النائب الثاني للإمام المهدي عليه السلام) يدحض مثلاً عقيدة المفوضة بشأن نسبة الخلق والرزق إلى الأئمة عليهم السلام لما استُفسر عنها، ونسب كل ذلك إلى الذات المقدسة لله تعالى.^٣

وكذا الحال بالنسبة للحسين بن روح النوبختي لما سُئل عن علة تسلط الأعداء على الإمام الحسين عليه السلام، فأجاب بجواب مفصل ومقنع، فقال الراوي: «فعدت إلى الشيخ أبي القاسم بن روح من الغد وأنا أقول في نفسي: أترأه ذكر ما لنا يوم أمس من عند نفسه، فابتدأني فقال لي: لأن آخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحب إليّ من أن أقول في دين الله برأيي أو من عند نفسي، بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه وسلامه»^٤.

١. كان وكيلًا، موثقًا به، جبي أموال أهل دينور وأحمد بن الحسن الماورائي (الوكيل في قرميسين) وتوجه نحو بغداد، فصادف بها ادعاء مزيفين للنائب الثاني أبي جعفر العمري، ولما رأى عجز هؤلاء الادعاء عن إقامة الحجة على صدق دعواهم، إلّا أبا جعفر العمري الذي أقام الحجة وكشف عن أوصاف المال سلّمه المال، وقفل راجعًا إلى دياره. تجد تفصيل هذه الحادثة في بحار الأنوار،

ج ٥١، ص ٣٠٠. ٢. راجع: معجم رجال الحديث، ج ١١، ص ١١٢.

٣. راجع: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٧٨. ٤. كمال الدين، ص ٥٠٧، ح ٣٧.

إن المناظرة مع الخصوم - بالرغم من عدم انحصارها بوكلاء الأئمة عليهم السلام كانت تعهد إليهم أحياناً، فقد حوّل الإمام الصادق عليه السلام وكيله «عبد الرحمن بن الحجاج» مهمة التحدّث مع أهل المدينة، قائلاً له: «يا عبد الرحمن كلّم أهل المدينة فإنّي أحبُّ أن يرى في رجال الشيعة مثلك».^١

وكان الوكلاء يستعينون أحياناً بكبار المحدثين الشيعة بُغية رفع الشبهات، فقد أرسل «الحسين بن روح النوبختي» كتاباً إلى محدّثي قم يطلب منهم النظر فيه و تعيين ما يخالفهم. ولم ينحصر إرشاد الوكلاء بالنواحي الفكرية والعقائدية، بل تعداها إلى المسائل الشخصية^٢ أيضاً.

٤. الدور السياسي لجهاز الوكالة

نشأ جهاز الوكالة بحسب الظاهر لأجل جمع الوجوه الشرعية، ولكن لا يمكن إنكار دوره السياسي، حتى مع صرف النظر عن كل دور سياسي منفصل عن جمع الاحوال الشرعية، إلّا أنّ جمع الأموال من المراكز الشيعية وحملها إلى الأئمة عليهم السلام يعدّ بحد ذاته نشاطاً سياسياً بنظر حكام بني العباس،^٣ فالإتهام الذي وجهه المنصور للإمام الصادق عليه السلام وهارون الرشيد للإمام الكاظم عليه السلام بجمع الأموال لدعم المناوئين للحكم العباسي يصب في هذا المجرى، وكذا الاتهام الذي لفقّه المتوكل ضد الإمام الهادي عليه السلام، فبعد وقوفه على النشاط الواسع لوكلاء الإمام الهادي عليه السلام سعى إلى استئصال شأفتهم،

١. رجال الكشي، ص ٤٢٢، ح ٨٣٠.

٢. في الشبهة التي طرأت على أحد الشيعة حول انتساب ابنه إليه، بعث شخصاً إلى الحسين بن روح؛ ليكشف جليّة الحال، فأرسله ابن روح إلى أبي عبد الله البزوفري.

٣. هذا الكلام يتأكد أكثر لما نلاحظ طبيعة الاتهام الذي وجهه المنصور للإمام الصادق عليه السلام، من أنّه بعث وكيله المعلّى بن خنيس إلى شيعته لجمع الأموال دعماً لثورة محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية، وهذا الأمر أدّى إلى أن يشخصه المنصور إلى بغداد، ونظير هذا الاتهام لفقّه هارون ضد الإمام الكاظم عليه السلام. (تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١١٩٩٣).

من خلال إلقاء القبض عليهم، وقد أفضى ذلك إلى إلقاء القبض على أصحاب الإمام عليه السلام، واستشهاد بعضهم تحت التعذيب.^١

إنَّ الحرص الذي كان يوليه الجهاز العباسي في عصر الغيبة على جمع أخبار الوكلاء لهو دليل آخر على النشاط السياسي الذي كانوا يمارسونه.^٢

٥. دور الوكالة في تأمين الاتصال

تقدّم في مبحث إنشاء جهاز الوكالة أنَّ من أبرز الأسباب التي دعت إلى تأسيسه، هو كونه حلقة وصل، ومن الواضح بمكان أنَّ الشيعة المنتشرين في أقصى النقاط كانوا يجدون عناء كبيراً في الاتصال بالإمام عليه السلام ممّا دعت الحاجة إلى التردد على وكلائه في المناطق القريبة منهم، والاستفسار عن المسائل الشرعية والمالية وغيرها، فاستلام الحقوق الشرعية، والإجابة عن المسائل الشرعية والكلامية والعقائدية، وإرسال الكتب إلى الإمام عليه السلام، وبعث رسائل شفوية واستلام أجوبتها وغيرها كانت من جملة وظائف الوكلاء الذين هم في الواقع حلقة وصل بين الإمام عليه السلام وشيعته، ويبدو جلياً أنَّه إذا نحينا الوكالة جانباً لتعطلت تلك المهام ولبقيت الشيعة في حيرة من أمرها.

١. ولأجل شعور المتوكل بخطر وكلاء الإمام الهادي عليه السلام، بادر إلى ملاحقة أيوب بن نوح وكيل الإمام في الكوفة (التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ٨١) وحبس علي بن جعفر الهماني وهم بقتله، وقال لوزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما كلمه بمال ضمنه عنه: «لا تتعبن نفسك بعرض قصة هذا واشباهه، فإنَّ عمه أخبرني أنَّه رافضي، وأنَّه وكيل علي بن محمد وحلف أن لا يخرج من الحبس إلا بعد موته» (رجال الكشي، ص ٦٠٧، ح ١١٢٩ و ١١٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٣)، وقتل أبا علي بن راشد نقيب الوكلاء في مناطق بغداد والمدائن وقراء السواد، و ابن بند حيث ضرب بالعمود حتى قتل، وعيسى بن جعفر بن عاصم ضرب بثلاثمائة سوط ورمي به في دجلة. (رجال الكشي، ص ٦٠٣، ح ١١٢٢).

٢. لما أخبر عبد الله بن سليمان الوزير العباسي بوجود وكلاء للناحية المقدّسة، بث بين من يحتمل وكالته عيونا يحملون إليهم الأموال، لكن هذه الخطة باءت بالفشل لما نهى الإمام عليه السلام وكلاءه من استلام أي مال ما دام الخطر قائماً. (بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣١٠، ح ٣٠).

إنَّ إحدى المقولات التي اشتهرت في طوال عصر الغيبة الصغرى أو ما يقرب منه، حتى أصبحت من أهم وظائف الوكلاء، هي «إخراج التوقيعات»، فالتوقيع اصطلاحاً هي الكلمات القصار التي يذيلها الأعيان في حاشيه كتبهم أو رسائلهم إجابة لسؤال أو حلاً لمعضلة أو تعبيراً لوجهة نظر وعقيدة معينة، وعلى الرغم من أن أغلب التوقيعات صدرت إجابة لاستفسار، ولكن ثمة توقيعات كانت تصدر عن الإمام عليه السلام أحياناً ليس بداعي الإجابة، كالتوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام تعزية بوفاة السفير الأول أو انتهاء وكالة السفير الرابع.

و كانت التوقيعات تصدر عادة بعد طرح الاستفسارات بفاصل زمني يقدر بيومين أو ثلاثة أو أكثر.

ولكن أحياناً يتم خرق تلك العادة وتصدر في فاصلة زمنية قصيرة للغاية. ومضمون هذه التوقيعات يشمل أموراً من قبيل الإجابة عن استفسار، وأوامر صادرة إلى الوكلاء، وجباية الأموال، وإعلام نصب وكيل، وإعلام الخطر المحقق بالوكالة وبيان علاجه، وإعلام اللعن، وإقصاء الوكلاء الخونة والمدّعين للنياحة والباية افتراءً، والتمجيد بشخصية بعض الوكلاء ورفع الاتهام عنهم، وحل المشاكل الشخصية، ورفع الاختلافات، وإزاحة الشبهات والشكوك.^١

٦. إعانة فقراء ومظلومي الشيعة

كان «علي بن يقطين» وكيل الإمام الكاظم عليه السلام، ومن الوجهاء في جهاز الخلافة العباسي، وقد تكلّلت جهوده بالنجاح في رفع الظلم عن الشيعة، وحينما شاهد الإمام عليه السلام تدمره من التعاون مع جهاز الحكم العباسي الظالم قال له: «إنَّ لله مع كل طاغية وزيراً من

١. راجع في هذا الصدد: تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٤٧٢؛ كمال الدين، ص ٤٨٣، ح ٤؛ تنقيح المقال، ج ٢، رقم ١٠٢٢٢؛ رجال الكشي، ح ١٠٠٥؛ بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٥٠؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٨٥.

أوليائه يدفع به عنهم وأنت منهم يا علي»^١.

مما يأتي في هذا الإطار قيام بعض الوكلاء بتوزيع إعانات الأئمة عليهم السلام على فقراء الشيعة، نظير ما قام به «محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين الأسدي» الذي شارك في الحج نيابة عن الإمام الرضا عليه السلام وأوصل الإعانات المالية إلى مستحقيها من فقراء المدينة وأهل بيت الإمام عليه السلام.^٢

وقد يستخدم الوكلاء أموال الحقوق الشرعية في فض النزاعات التي تقع بين الشيعة ويذلونها في هذا السبيل أن تطلب الأمر ذلك، فقد أمر «المفضل بن عمر الجعفي» وكيل الإمام الصادق عليه السلام وأمينه بدفع (٤٠٠) درهم لأبي حنيفة سائق الحجيج وصهره اللذين تشاجرا على ارث، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى الأهمية التي يوليها الأئمة عليهم السلام للحفاظ على وحدة الشيعة.^٣

هـ) خصوصيات جهاز الوكالة

١. شروط العضوية

الأول: الوثاقة.^٤الثاني: السرية والكتمان^٥

الثالث: الفراسة.

١. رجال الكشي، ص ٤٣٣، ح ٨١٧.

٢. تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١١٢١١.

٣. راجع: تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١٢٠٨٤.

٤. راجع: معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٧٤؛ وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ١١٤ و ج ١٨، ص ١٠٠؛ تنقيح

المقال، ج ٢، ص ٢٨١ و ج ١، رقم ٢٠٠ و ج ٢، رقم ١٠٦.

٥. مما يؤكد ذلك قول الصادق عليه السلام لما بلغه نبأ مقتل المعلّى بن خنيس: «رحم الله المعلّى قد كنت

أتوقع ذلك، أنه أذاع سرنا وليس الناصب لنا حرباً بأعظم مؤنة علينا من المذيع علينا سرنا، فمن أذاع

سرنا إلى غير أهله لم يفارق الدنيا حتى يعضه السلاح أو يموت» (بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٥؛ كمال

الدين وتمام النعمة، ص ٥٠١، ح ٢٨).

الرابع: النظم في الأمور.

الخامس: الأمانة والزهد.

السادس: العزوف عن الدنيا والغرور والتكبر.

السابع: الابتعاد عن الحسد، والشهرة، والخيانة، والغلو، والجهل، والتعصب والباطل، والظلم.

الثامن: احترام أهل بيت النبوة ﷺ.

التاسع: الإحاطة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وحقوق الأئمة ﷺ.

العاشر: القدرة على فعل ما يخرق العادة إذا اقتضت الحاجة، وهذا خاص بالنواب الأربعة.

٢. سائر خصوصيات جهاز الوكالة

وثمة خصوصيات أخرى للوكالة، هي:

الأولى: القيادة

القائد وهو الإمام المعصوم ﷺ له إشراف دقيق على أعمال الوكلاء، وله مسؤوليات أخرى، نظير تعيين وكلاء للنواحي، وتقويم نشاطهم، والتعريف بفضائلهم وشخصياتهم، وعزل الوكلاء الفاسدين والخائنين، واستخلاف وكلاء محلهم، والتشهير بالمدعين للوكالة كذباً وافتراءً ومواجهتهم، وإرشاد الوكلاء إلى مسؤولياتهم وكيفية مواجهة الحكم العباسي، وتمويل الوكلاء، ورفع الاتهامات عنهم.^١

١. راجع حول نصب الإمام الهادي ﷺ لأبي علي بن راشد محل علي بن الحسين بن عبد ربه، رجال الكشي، ص ٥١٣، ح ٩٩١؛ وراجع حول محاسبة الوكلاء لاسيما محاسبة الإمام الصادق ﷺ الخائن منهم، وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٩١، وانظر: حول تعريف الإمام العسكري ﷺ لشخصية عثمان بن سعيد العمري أمام جماعة من شيعة اليمن، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٤٥؛ وراجع حول عزل الإمام الهادي ﷺ فارس بن حاتم القزويني ولعنه والأمر بقتله، رجال الكشي، ص ٥٢٢، ح ١٠٠٣ إلى ١٠١١؛ وانظر حول كتاب الإمام الهادي ﷺ لأحد شيعته يعلن فيها تنكره لمحمد بن نصير النميري والحسن بن محمد بن باباي القمي اللذين أدعيا السفارة كذباً، رجال الكشي، ص ٥٢٠، ح ٩٩٩؛

الثانية: نقيب الوكلاء

صنف جهاز الوكالة المناطق إلى نواحي خاصة، وعين على رأس كل ناحية نقيباً للوكلاء مهمته الإشراف على أعمال الوكلاء في المناطق التابعة لنفوذه وكان الوكلاء يرجعون إليه، وقد صنفت هذه النواحي - حسب تعبير الدكتور جاسم حسين - ووفقاً للشواهد التاريخية إلى أربع نواح:

الناحية الأولى: تضم بغداد، والمدائن، والكوفة.

الناحية الثانية: تشمل البصرة والأهواز.

الناحية الثالثة: تضم قم وهمدان.

الناحية الرابعة: تشمل الحجاز واليمن ومصر.

وعُيِّن على كل ناحية نقيب للوكلاء يشرف على وكلاء ناحيته فحسب.^١

الثالثة: الوكلاء المقيمون والمتجولون

كان أغلب الوكلاء مقيمون في مناطقهم، ولكن - وطبقاً للشواهد التاريخية - كان بعض الوكلاء يتجولون و يتفقدون نواحي مختلفة لأجل الإشراف على نشاط الوكلاء المقيمين من جهة والاتصال بالإمام عليه السلام من جهة أخرى، وأيضاً تسليمه الأموال الشرعية التي بحوزتهم.

الرابعة: أصل الخفاء والسرية

إنَّ من أهم خصوصيات جهاز الوكالة طيلة نشاطه هو أصل الخفاء والسرية، ومن البديهي أنَّ هذا الأصل منبثق من الأخطار المحدقة به من جانب الحكم العباسي، فكان من اللازم ممارسة الوكلاء لنشاطهم بمزيد من الحيلة والحذر؛ نظراً للرقابة الشديدة

→ وراجع حول كتاب الإمام العسكري عليه السلام ينصب إبراهيم بن عبده، ويعين له مسؤولياته، رجال الكشي، ص ٥٠٩، ح ٩٨٢. ١. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، ص ١٣٧.

والمستمرة من الجهاز العباسي على نشاط أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وهذا الأسلوب هو الذي كتب لجهاز الوكالة البقاء وجعل أعضائه بمنأى عن خطر إشاعة أمرهم وكشف سرهم، وبالتالي القضاء عليهم، وكان الخطر يهددهم في بعض الموارد إلا أن يقظة الإمام عليه السلام وتضحية أعضاء جهاز الوكالة حال دون تعرض أصلها للخطر، فقد تعرض «المعلّى بن خنيس» وكيل الإمام الصادق عليه السلام للتهديد بالقتل من جانب «داود بن علي»، لما طلب منه الكشف عن أسماء أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، فلم يأبه المعلّى، لذلك قائلاً: «بالقتل تهدّدني والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم وإن أنت قتلتني لتسعدني وأشقيك».^١

ووقع مثل ذلك في عصر الغيبة الصغرى، فعندما أطلع عبيد الله بن سليمان الوزير العباسي على النشاط السري للوكلاء، عقد العزم - بعد استشارة الخليفة - على القبض عليهم، فبث عيوناً بين من يحتمل وكالته، ودسوا معهم الأموال، ولكن صدر توقيع من الناحية المقدّسة يمنع الوكلاء من جباية الأموال، ومن جملة هؤلاء الوكلاء محمد بن أحمد، وحينما قصده أحد الجواسيس بذريعة دفع الأموال، امتنع من أخذها، قائلاً: «غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً»^٢ وكان الوكلاء يعملون على هذه الشاكلة ريثما يزول الخطر.

الخامسة: وسائل الاتصال

ومن جملة مزايا جهاز الوكالة إقامة الاتصال بالإمام عليه السلام كإرسال الكتب وإخراج التوقيعات وفريضة الحج، والوكلاء المتجولين ومراجعة الإمام مباشرة.

١. راجع: تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١١٩٩٤؛ معجم رجال الحديث، ج ١٨، ص ٢٣٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٨١ و ٣٤٢. ٢. راجع: بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣١٠، ح ٣٠.

(و) التعريف بثلة من أهم وكلاء الأئمة عليهم السلام

إنَّ من تفحص المصادر الرجالية والروائية والتاريخية يعثر على أسماء جمع غفير من وكلاء الأئمة عليهم السلام، ورغم عدم إمكان ادعاء ضبط أسماء الوكلاء كافة في الكتب التاريخية والرجالية والروائية، ولكن حين الفحص الدقيق فيها نظفر بأسماء جمع كثير منهم، وهذا بدوره يمهّد السبيل لمزيد من الإطلاع على معالم هذا الجهاز وخصوصياته، ولا يسع هذا الكتاب تناول سيرة الوكلاء برمتهم؛ لذا نقتصر على ذكر أسماء أعيانهم:

١. عبد الرحمن بن الحجاج البجلي.
٢. محمد بن سنان الزاهري.
٣. المعلّى بن خنيس.
٤. نصر بن قابوس اللخمي.
٥. المفضل بن عمر الجعفي.
٦. علي بن يقطين.
٧. عبد الله بن جُنْدَب.
٨. إبراهيم بن سلام النيسابوري.
٩. علي بن أبي حمزة.
١٠. صفوان بن يحيى البجلي.
١١. عبد العزيز بن المهتدي القمي.
١٢. علي بن مهزيار الأهوازي.
١٣. زكريا بن آدم الأشعري القمي.
١٤. إبراهيم بن محمد الهمداني.
١٥. أيوب بن نوح بن درّاج النخعي.
١٦. علي بن جعفر الهمداني.

١٧. علي بن الحسين بن عبد ربّه.

١٨. إبراهيم بن مهزيار.

١٩. إبراهيم بن عبده النيسابوري.^١

١. للعثور على شواهد تدلّ على الوكلاء المدوّنة أسماؤهم أعلاه راجع المصادر الرجالية وأيضاً كتاب الغيبة للشيخ الطوسي وكمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.

الخلاصة

إنَّ حاصل المباحث الأنفة الذكر، كالتالي:

١. طرحت الوكالة أو (جهاز الوكالة) كواقع ملموس في النصف الثاني من دور الإمامة (أي منذ عصر الإمام الصادق عليه السلام حتى أواخر عصر الغيبة الصغرى)، وكان لها مزايا خاصة ومسؤوليات محددة، وإطلاق هذا العنوان (الوكالة أو السفارة) عليها مع غياب أي سابقة تاريخية لها، إطلاق في محله، لاسيما مع الأخذ بنظر الاعتبار المسؤوليات التي تبنتها، نظير: الزعامة والتعاون بين أعضائها، وانتهاج برنامج معين ومنسجم، وغيرها.

٢. إنَّ القيادة - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك - من أبرز خصوصيات هذه الوكالة، وتقع مقاليدها بيد أئمة معصومين عليهم السلام، وفي هذا الإطار فإنَّ هناك سلسلة نشاطات تتناسب مع هذا المقام مثل تعيين الوكلاء وعزلهم، والتعريف بالشخصيات الشيعية، والإشراف على الوكلاء وما يقومون به، والتشهير بالوكلاء الذين يدعون الوكالة زيفاً، والتأمين المالي للوكلاء، وأمور أخرى، كما أنَّ الشواهد التاريخية توحى إلى وجود معاونين إلى جانب الإمام يطلق عليهم النقباء مهمتهم الإشراف على أعمال الوكلاء في النواحي الخاضعة لنفوذهم.

٣. ما هي الأسباب التي دعت إلى إقبال الأئمة عليهم السلام على الوكالة والسفارة، كنشاط فعال إلى جانب أنشطة أئمة أهل البيت عليهم السلام؟ وهذا سؤال مهم، قد تصدَّت بعض المباحث المتقدمة إلى الإجابة عنه، من خلال القول بأنَّه نظراً لأجواء الكبت والظلم والرقابة الشديدة على الأئمة عليهم السلام، أدَّى كل ذلك إلى عدم إمكان الاتصال المباشر بالشيعية، ممَّا استدعت الحاجة إلى وجود من يقوم بدور حلقة وصل بين الإمام والمجتمع الشيعي، وحتى على فرض غياب أجواء الكبت فالحاجة مازالت قائمة؛ نظراً لاتساع العالم الإسلامي، وانتشار المراكز الشيعية فيه.

٤. إنَّ الإطار الزمني لنشاط هذا الجهاز امتد منذ عصر الإمام الصادق عليه السلام وحتى عصر الغيبة الصغرى، خاصّة مع ملاحظة الخصوصيات المتوفرة في عصر الإمام الصادق عليه السلام من إزدياد عدد الشيعة، واتساع المناطق الإسلامية، وضرورة حضور وكلاء الإمام عليه السلام بينهم، ووجود نصوص تاريخية صريحة بشأن وكلاء الإمام الصادق عليه السلام.

٥. إنَّ الإطار المكاني لنشاط هذا الجهاز يمتد بامتداد المراكز الشيعية، التي كانت خاضعة لتغطية هذا الجهاز، كالحجاز والعراق وإيران واليمن ومصر والمغرب.
٦. رغم اعتقاد بعض المحققين بأنَّ مهمة الوكالة تنحصر بحماية الأموال، وأخذ الحقوق الشرعية، ولكن الدليل على هذا الانحصار يكاد يكون مفقوداً، بل ثمة مسؤوليات أخرى تبناها، كالإرشاد العلمي والثقافي والسياسي، ومعالجة مشاكل الشيعة، وأداء المهام الشخصية والخاصّة بالأئمة عليهم السلام، ويمكن أن نستشف كل ذلك من ثنایا النصوص التاريخية والروائية، وعلى أيّة حال لا يمكن إنكار أهمية الدور المالي لهذا الجهاز باعتباره أهم الوظائف.

٧. يمكن استكشاف صفات لا بدّ من توفرها في وكلاء الأئمة عليهم السلام من النصوص، وفي طليعتها الوثيقة والأمانة والصدق، وقلنا إنَّ المراد من الوثيقة هو الوثيقة في الأمور المالية، وإلى جانب ما تقدّم من صفات ثمة صفات أخرى تطرح للوكيل كالسرية والخفاء والكتمان والفراسة والنظم والخبرة.

الأسئلة

١. ما هي مضامين روايات النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام بشأن المهدي عليه السلام وغيبته؟
٢. ما هي التدابير التي اتخذها الإمامان الهادي والعسكري عليهم السلام لإعداد الشيعة لعصر الغيبة الصغرى؟
٣. ما هو تعريف الوكالة لغة واصطلاحاً؟

٤. ما هي أسباب تأسيس الوكالة؟
٥. ما هو الإطار المكاني لنشاط الوكلاء؟ إذكر أسماء بعض الوكلاء وحدود نشاطهم؟
٦. وضح مهام الوكالة ومسؤولياتها؟
٧. ما هو الدليل على الدور السياسي للوكالة؟
٨. ما هي خصوصيات جهاز الوكالة؟
٩. ما هي الشروط اللازم توفرها عند أعضاء جهاز الوكالة؟

للبحث والتحقيق

١. صنف الروايات المتعلقة بالإمام المهدي عليه السلام من خلال مراجعة المصادر الأولية.
٢. من جملة تدابير الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام للدخول في عصر الغيبة، الحد من الاتصال المباشر بالشيعة، إذكر مصاديق ونماذج ذلك من النصوص التاريخية.
٣. أبحث عن التعريف الدقيق للوكالة لغة واصطلاحاً في كتب اللغة والمصادر الفقهية.
٤. إكتب عن منزلة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته عند الشيعة، وفي عصر الأئمة عليهم السلام، وإذكر وجهة نظر الشيعة في ذلك العصر بشأن الغيبة.
٥. بيّن وضع المناطق الشيعية في عصر الغيبة الصغرى من خلال مراجعة المصادر الأولية ككتاب الغيبة للشيخ الطوسي وكمال الدين للشيخ الصدوق وسائر المصادر.
٦. من أبرز مسؤوليات الوكالة، هي جبي الأموال وتوزيعها، ومن بينها الخمس، اذكر مكانتها وخلفياتها عند الشيعة، وسير أدائها التاريخي في عصر الأئمة عليهم السلام.
٧. تمتعت مهمة إرشاد الشيعة ومناظرة المخالفين عند الوكلاء وخواص أصحاب الأئمة عليهم السلام بمنزلة خاصّة، استوف البحث في هذه المسألة مع بيان مصاديقها.
٨. بيّن سبل اتصال الوكلاء بالشيعة.
٩. أعقد بحثاً للتوقيعات ومكانتها لدى الشيعة ومضامينها.

١٠. أعقد بحثاً لشرط الوثاقة في الوكيل عند الرجاليين.
١١. أبحث مسألة الاستتار والخفاء في الأنشطة الشيعية.
١٢. إكتب فهرساً يتضمن أسماء وكلاء الأئمة عليهم السلام من خلال مراجعة المصادر الرجالية.
١٣. إكتب فهرساً يتضمن أبواب الأئمة عليهم السلام من خلال مراجعة المصادر كمناقب ابن شهر آشوب.

مصادر البحث

١. كتاب الغيبة، الشيخ الطوسي.
٢. كتاب الغيبة، ابن أبي زينب النعماني.
٣. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه القمي، الملقب بالشيخ الصدوق.
٤. تاريخ الغيبة الصغرى، الشهيد السيد محمد الصدر.
٥. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين.
٦. بحار الأنوار، ج ٥٠ و ٥١.
٧. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني.
٨. بصائر الدرجات واثبات الهداة.

٦

تاريخ عصر الغيبة الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ)

بدأ هذا العصر منذ وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الثامن من ربيع الأول عام (٢٦٠ هـ)، وتولي الإمام المهدي عليه السلام الولاية والإمامة، وانتهى في الخامس عشر من شعبان عام (٣٢٩ هـ)، بوفاة «أبي الحسن علي بن محمد السمري» رابع وآخر سفير ونائب خاص. وسنبحث في هذا الفصل حوادث مهمة في تاريخ الشيعة رافقت هذا الدور، وهي كالتالي:

الاول: الوضع السياسي والاجتماعي والفكري في عصر الغيبة الصغرى.

الثاني: تاريخ الغيبة و بدايتها.

الثالث: فلسفة الغيبة.

الرابع: خصوصيات عصر الغيبة الصغرى.

الخامس: وقوع الاختلافات بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام.

السادس: نصب النواب الأربعة.

السابع: نصب وكلاء للمناطق الشيعية.

الثامن: الوكلاء الخونة والمدعين للوكالة كذباً.

التاسع: الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة في عصر الغيبة الصغرى.

الاول: الوضع السياسي والاجتماعي والفكري

في عصر الغيبة الصغرى

أ) الوضع السياسي

دام هذا الدور سبعين عاماً وتزامن مع حكم ست خلفاء عباسيين، من الخليفة الخامس عشر وحتى العشرين.

وتشبه خصوصيات الوضع السياسي في هذا الدور - إلى حد كبير - خصوصيات الدور الذي سبق عصر غيبة الإمام المهدي عليه السلام وأبرزها غلبة الموالي لاسيما الاتراك منهم وتسلطهم على الوضع السياسي للعالم الإسلامي، وتقلبهم في مناصب مختلفة، حيث ظهر فيهم وزراء وولاة وأمراء، وأخذ نفوذهم يتعاظم في العالم الإسلامي. وبموازاة تفاقم نفوذ الموالي الاتراك، راحت الحكومة المركزية تنحدر نحو الضعف والانهيار، وكلما مضى الزمان كلما ضعفت قدرة الخليفة على إدارة مرافق الدولة والسيطرة على حدودها.

ومع كل هذا الضعف، لم يتوقف الخلفاء العباسيون عن ظلم الناس وهضم حقوقهم، ولم يألوا جهداً في ارتكاب أية جريمة من أجل البقاء في الحكم، وقد كان الإرهاب سيد الموقف في هذا الدور لاسيما في عصر المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) الذي كان الأمر في عهده حاداً والسيف يقطر دماً، على حد تعبير الشيخ الطوسي^١. إن الخصوصيات التي ذكرت لعصر ما قبل الغيبة الصغرى، كانت نفسها هي السائدة في عصر الغيبة أيضاً.

وسوف نخرج على الحوادث التي رافقت هذا العصر.

١. انتقال الخلافة من سامراء إلى بغداد

كما تقدّم في الفصل الثالث، فقد نقل المعتصم العباسي مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء عام (٢٢٠ هـ)، لعلّه بهذا الطريق يتغلب على المشاكل ويذلل الصعوبات،

١. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٧٩.

ويحول دون تعرض جهاز الخلافة إلى المزيد من الضعف والتدهور. إلا أن هذا التغيير لم يحقق أهدافه، بل أصبح نفسه منشأ لمشاكل أخرى استمرت حتى عام (٢٧٩ هـ) حيث بويغ المعتضد العباسي في بغداد، وأعاد إليها مركز الخلافة. ولما اعتلى المكتفي عرش الخلافة، راودته فكرة إعادة مركز الخلافة إلى سامراء إلا أن وزيره منعه من ذلك بذريعة أن ذلك يكلف أموالاً طائلة، ومنذ ذلك الوقت هُجرت سامراء وحُربت.^١

٢. ظهور القرامطة

إن إحدى المشاكل التي واجهت العالم الإسلامي في عصر الغيبة الصغرى هي فتنة القرامطة.^٢

فقد أعلن القرامطة تمردهم عام (٢٧٧ هـ)، ومارسوا الظلم والجور طيلة (٣٠ عاماً)، وقد بلغوا من القسوة والإقدام على سفك الدماء مبلغاً أن الجيوش كانت لا تجرأ على محاربتهم ومنازلتهم، وكان مجرد احتمال هجومهم على مكان ما، يكفي لإثارة الرعب والهلع في قلوب الناس.

٣. تقلص ثورات العلويين وتصاعد اجواء الكبت ضد الشيعة

مارس العباسيون بعد ظهور صاحب الزنج والقرامطة وارتكابهما جرائم مروعة لا حصر لها، المزيد من الاضطهاد ضد الشيعة بذريعة انتساب هاتين الحركتين لها، مستهدفين بذلك تضيق الخناق عليهم من جهة، وانتزاع روح الأمل منهم بالإقدام على ثورات مسلحة من جهة أخرى.^٣

١. تاريخ الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

٢. القرامطة من فرق الإسماعيلية (راجع فرق الشيعة للنوبختي)

٣. تاريخ الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، ص ٣٦٢.

ومع ذلك فإن ثورات العلويين لم تخدم، وظلت قائمة في موارد محدودة، حالف بعضها النجاح.

وسنشير هنا إلى نماذج من ثورات العلويين في هذا الدور:

- ثورة ابن الرضا «محسن بن جعفر»: قام بدمشق عام (٣٠٠هـ)، قال المسعودي، وهو يتحدث عنه: «وكان ظهور ابن الرضا وهو محسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر في أعمال دمشق في سنة (٣٠٠هـ)، وكان له مع «أبي العباس أحمد بن كيغلق» وقعة فقتل صبراً، وقيل: قتل في المعركة وحمل برأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي».^١

- ثورة الحسن بن يحيى: قام باليمن ضد العباسيين عام (٢٧٨هـ).^٢

- ثورة الأطروش «الحسن بن علي»: قام بطبرستان والديلم عام (٣٠١هـ).^٣

- ثورة الحسن بن القاسم، المعروف بالحسن الداعي: قام في بعض نواحي إيران عام (٣١٧هـ).

- ثورة أحمد بن محمد الطالبي: حارب جيش أحمد بن طولون بمصر وقتل.^٤

٤. ظهور المهدي في شمال أفريقيا، وتأسيس الدولة الفاطمية في مصر

ظهر شخص في شمال أفريقيا وادعى أنه المهدي الموعود، واستولى على مناطق واسعة عام (٢٩٦هـ)، وبدأ ببناء مدينة المهديّة بالمغرب في يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة (٣٠٣هـ) وجعلها عاصمة ملكه، وتوفي سنة (٣٢٢هـ)، فخلفه ابنه محمد الملقب بالقائم.^٥

٥. ظهور الدول المستقلة والمستقلة ذاتياً

استغل الولاة وأمراء المناطق والنواحي تصدع الخلافة العباسية وضعفها، فاعلنوا عن استقلالهم الكامل أو المحدود، واندلعت في بعض الأحيان انتفاضات قام الناس فيها

١. مروج الذهب، المسعودي، ج ٤، ص ٣٠٨.

٢. الكامل، ابن الأثير، ج ٨، ص ١٨٦ - ١٨٩.

٣. تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٣٥٣ - ٣٥٥.

٤. المصدر السابق.

٥. مروج الذهب، ص ٦٦٣.

بعزل الوالي العباسي وإخراجه، وتأسيس حكومة مستقلة وموالية لهم.

وقد حكمت قبل عصر الغيبة الصغرى أربع دول مستقلة، وهي:

١. الدولة الطولونية في مصر والشام.^١

٢. دولة الأغالبة أو آل أغلب في تونس ونواحيها.^٢

٣. دولة الأدارسة في مراكش.^٣

٤. الدولة الأموية في قرطبة.^٤

وبغض النظر عن هذه الدول المستقلة التي ظهرت في الدور السابق ودامت في عصر الغيبة الصغرى، فقد أضيفت إليها دول مستقلة أخرى زادت من مأزق الخلافة العباسية، هذه الدول هي:

١. الدولة الصفارية في خراسان وشرق إيران.^٥

٢. الدولة السامانية في ما وراء النهر وخراسان والنواحي المركزية من إيران.^٦

٣. الدولة الفاطمية في مصر وبلاد المغرب.^٧

٤. دولة آل بويه في طبرستان والري وهمدان واصفهان والنواحي الجنوبية من إيران ونواحي من العراق.^٨

٥. دول آل حمدان في الموصل وحلب.^٩

٦. الدولة الأخشيديّة في مصر والشام.^{١٠}

وقد انقسم العالم الإسلامي في عصر الغيبة الصغرى إلى ثلاثة أنظمة سياسية

١. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ١٢٦. ٢. المصدر السابق، ص ١٥٧.

٣. المصدر السابق، ص ١٦٢. ٤. تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٧٠.

٥. نفس المصدر، ص ٦٥. ٦. نفس المصدر، ص ٧٣. ٧. نفس المصدر، ص ١٤٦.

٨. تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٠٣.

٩. راجع: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ١، ص ٦٦٨ - ٦٩٢.

١٠. تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٣٥.

إسلامية تحت عناوين نظام الخلافة في آن واحد، وكل يدعي أنه هو الخليفة والقائد السياسي للعالم الإسلامي:

الأول: الحكومة العباسية في بغداد.

الثاني: الحكومة الأموية في قرطبة والإندلس.

الثالث: الحكومة الفاطمية في مصر.

ب) الوضع الاجتماعي

استمر الوضع الاجتماعي الذي كان سائداً فيما مضى على ما هو عليه في هذا الدور الذي دام (٧٠ سنة) أيضاً، ونذكر فيما يلي بعض الحوادث التي وقعت فيه والتي تدل على تدهور الأوضاع.

١. الاختلافات المذهبية والطائفية

راجت في المجتمعات الإسلامية في هذا الدور - كسابقه - الاختلافات المذهبية والطائفية، دون أن تقتصر على الاختلافات المذهبية بين الشيعة والسنة، بل عمت لتشمل مذاهب أهل السنة فيما بينهم.

٢. الاختلافات القومية والقبلية

كان للعباسيين والأتراك في هذه البرهة من الزمن نصيب الأسد في الحكومة المركزية دون سائر الأقوام، الأمر الذي أدى إلى تأسيس عشر دول ذات استقلال تام، أو محدود في الأصقاع الإسلامية، ومن أهم الدوافع وراء إنشائها هو تزايد حدة الاختلافات القبلية وعدم إقامة وزن للأقوام والقبائل المختلفة من قبل الحكومة المركزية.

٣. الفواصل الطبقيّة

نظراً للتحوّل الذي طرأ على أهداف وحقيقة الفتوحات، فقد أصبحت حروب

المسلمين عاملاً من عوامل ظلم الناس بدل أن تنقذهم من مخالفه، وكانت جيوش الخلفاء تقاتل بدوافع غير إسلامية، وتعامل الأسرى معاملة بعيدة عن تعاليم الإسلام دون أن تراعي حقوقهم الشرعية والإنسانية، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى غياب القيم الإسلامية من ذاكرة المجتمع، وسيادة التمايز الطبقي فيه، ومن جملة الطبقات التي ظهرت هي طبقة الرقيق والغلمان والجواري، حيث نفقت أسواق الرقيق في مصر وشمال أفريقيا وشمال الجزيرة العربية، وما ثورة صاحب الزنج إلا رد فعل لتلك الأوضاع الاجتماعية الوخيمة، والتي تركت وبالحا على مجتمع ذلك الزمان، كما راج بيع الجواري المغنيات، وكانت تشتري بأثمان باهظة، فقد إبتاع ابن الرائق في عام (٣٢٥هـ) جارية ذات صوت حسن بمبلغ ٤٠٠٠ دينار.^١

٤. اللهو

انتشر اللهو في أوساط الخلفاء والوزراء والأمراء والأشراف، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من السنن الاجتماعية،^٢ وعمّ معظم الخلفاء إلا القاهر بالله - حسب قول السيوطي - فإنه منع اللهو، وحظر مجالسه، وأمر باعتقال الجواري المغنيات، وكسر وتحطيم وسائل اللهو والطرب.^٣

ولم يقتصر هذا الوضع على بغداد أو سر من رأى، بل عمّ النواحي التي يحكمها الولاة والدول المستقلة ذاتياً، ففي مصر أنغمس أمراء الدولة الطولونية في اللهو والغناء، حتى بلغ الأمر أن «خمارويه» حاكم مصر الطولوني شيد قصرأ من ذهب لتقام فيه حفلات الطرب واللهو.^٤

١. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٢٤؛ العصر العباسي الثاني، الدكتور

شوقي ضيف، ص ٨٣. ٢. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، ص ٩٢.

٣. تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٦؛ تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ج ٣، ص ٤٣٣.

٤. تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٤٣٣.

٥. الإسراف والتبذير الواسع

إنَّ الإسراف والتبذير في حياة الخلفاء العباسيين بلغ حدًّا يصعب التصديق به، بل يكاد يحير العقول، وقد استعرضنا في الفصل الثالث بما فيه الكفاية نماذج للإسراف والتبذير الذي مارسه الجهاز العباسي، فراجعه هناك.

ج) الوضع الفكري

نكتفي هنا باستعراض نقطتين لبيان الوضع الفكري في هذا الدور

١. ظهور المنهج الأشعري

ظهر في النصف الأول من القرن الثاني الهجري منهجان فكريان في العالم الإسلامي، نزع أحدهما إلى إلغاء قيمة العقل والاعتماد على ظواهر الآيات والروايات في فهم المسائل والحقائق، حتى لو كان ظاهر تلك الآيات والروايات على خلاف حكم العقل، ومثال ذلك أَنَّهُ فُسِّرَ «اليد» في الآية الكريمة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾^١ بيد الله دون أن يمعن في معاني «اليد»، بينما تشير الآية إلى قدرة الله تعالى، فالله ليس بجسم لكي تكون لديه إعضاء وجوارح، ويطلق على أتباع هذا المنهج «أهل الحديث». ووقف المنهج الآخر على النقيض منه، فأقام وزناً للعقل وأعطى أهمية كبيرة له، وبلغ هذا المنهج أوجه في عصر خلافة المأمون، وأطلق على أتباع هذا المنهج «المعتزلة» أو «مذهب الإعتزال»، وقد استوفينا البحث عن هذا المنهج في مبحث الوضع الفكري لعصر ما قبل الغيبة في الفصل الثالث.

يشار إلى أن مواجهات عديدة حدثت بين أهل الحديث والمعتزلة في عصر ما قبل الغيبة الصغرى، كان النجاح فيها حليف المذهب الإعتزالي أحياناً، وحليف أهل الحديث أحياناً أخرى، ويعتمد ذلك إلى حد بعيد على مدى دعم جهاز الخلافة له، وقد

دام تأرجح ميزان النجاح والإخفاق بين أهل الحديث والمعتزلة حتى النصف الأول من القرن الرابع، أي مع ظهور أبي الحسن الأشعري،^١ الذي كان يعتنق مذهب الاعتزال حتى الأربعين من عمره، ثم أعرض عنه وأسس على اطلال منهج أهل الحديث منهجاً جديداً، هو المنهج الأشعري، وقد حظي بانتشار واسع بفضل دعم وحماية المقتدر العباسي الذي حكم (٢٥ عاماً)، من (٢٩٥ هـ) إلى (٣٢٠ هـ) على حساب الاعتزال،^٢ ومنذ ذاك التاريخ على وجه التحديد بدأ دور الاعتزال بالذبول والخمول على الساحة الفكرية تاركاً وراءه المنهج الأشعري يجول ويصول.^٣

٢. تدوين المصادر الروائية

مُنعت كتابة الحديث وتدوينه في أوائل القرن الأول الهجري بأمر من الخليفة الثاني.^٤ واستمر العمل بهذه السياسة إلى أن ألغيت في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني من قبل «عمر بن عبد العزيز» (٩٩ - ١٠١ هـ) الذي بعث إلى واليه على المدينة «أبي بكر بن حزم» كتاباً يأمره فيه بتدوين وضبط الأحاديث النبوية وحوادث تاريخ الإسلام،^٥ لكن هذا الأمر لم يلق رواجاً إلا في ظل العصر العباسي الأول لاسيما عصر المأمون الذي شهد نهضة فكرية واسعة لتدوين الكتب ونشرها، واستمر ذلك في عصر الغيبة الصغرى، حيث صُنفت فيه كتب عديدة، منها أربعة كتب من أصل ستة كتب مهمة لأهل السنة عرفت فيما بعد بالصحاح الستة، وهي:

١. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ)، للإطلاع على سيرته راجع كتاب بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني، ج ٢، ص ١٠ - ١٧.
٢. نفس المصدر، ص ٣١.
٣. لمزيد من الإطلاع على المذهب الأشعري راجع: بحوث في الملل والنحل، ج ٢.
٤. سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، ج ٢، ص ٤٩٢؛ أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، ص ٤٣.
٥. صحيح البخاري، شرح الكرماني، ج ٢، ص ٦؛ سيرة الأئمة، مهدي بيضواني، ص ٣٢٦.

١. «السنن»، لمحمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٧-٢٧٣ أو ٢٧٥ هـ).
 ٢. «السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى عام (٢٧٥ هـ).
 ٣. «الجامع الصحيح» المعروف بسنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٩٧ هـ).
 ٤. «سنن النسائي» لأحمد بن شعيب النسائي (٢١٤ أو ٢١٥-٣٠٣ هـ).
- وإضافة إلى هذه الكتب، فقد صنف المئات من الكتب القيمة في هذا الدور منها: «فتوح البلدان» و«أنساب الأشراف» كلاهما للبلاذري (المتوفى عام ٢٨٩ هـ)؛ و«الأخبار الطوال» للدينوري (المتوفى عام ٢٨٢ هـ)؛ و«تاريخ اليعقوبي» لأحمد بن واضح اليعقوبي (المتوفى عام ٢٨٤ هـ)؛ و«تاريخ الطبري» و«تفسير الطبري» لابن جرير الطبري (المتوفى عام ٣١٠ هـ)؛ و«الفتوح» لأحمد بن أعثم الكوفي (المتوفى عام ٣١٤ هـ).

الثاني: تاريخ الغيبة وبيداتها

١. بداية الغيبة

بدأت الغيبة الصغرى بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ويتميز هذا الدور بميزتين: الأولى إمامة الإمام المهدي عليه السلام، والآخرى سفارة ونيابة النواب الأربعة، ومع أخذ تلك الميزتين بنظر الاعتبار لا يعد دور الاختفاء جزء من الغيبة الصغرى.

٢. استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ساور المعتمد العباسي القلق مما يتمتع به الإمام العسكري عليه السلام من مقام اجتماعي رفيع، ولما رأى أن سياسة الضغط التي مارسها ضد الإمام عليه السلام والرقابة الشديدة التي فرضها على تحركاته لم تجدي نفعا في الحد من اتساع قاعدته الشعبية وتعاضل نفوذه الروحي فحسب، بل أدت إلى إزدياد ميل الناس إليه، لما رأى ذلك عمد إلى قتله وتصفيته جسدياً عبر دس السم إليه^١ وبهذا الأسلوب حرم الشيعة من الاستفادة من أنوار هداية الإمام عليه السلام.

١. سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، ج ٢، ص ٤٩٢.

وهذه السياسة لم تكن جديدة في نوعها، بل مارسها الخلفاء الأمويون والعباسيون بحق أنمة أهل البيت عليه السلام، الذين سعوا وبأساليب مختلفة إلى فضح المخططات المشؤومة أمام الملأ؛ لكي يكشفوا عن الوجه الآخر للجهاز الحاكم.

استشهد الإمام العسكري عليه السلام في صبيحة يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول عام (٢٦٠هـ)، عقب صلاة الصبح، ولما ذاع نبأ وفاته عليه السلام صارت ضجة كبرى في سر من رأى، وتقاطر الناس من كل صوب وحذب إلى داره وعُطلت الأسواق وركب بنو هاشم والقواد وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة.^١

ولم تشهد سر من رأى مثل مراسم التشييع هذه من قبل، فقد اجتمعت فيها حشود ضخمة من مختلف طبقات المجتمع مع اختلاف توجهاتها وعقائدها، تحدّثوا فيها عن فضائله ومناقبه، والخسارة الجسيمة التي لحقت بالمسلمين جراء ذلك.^٢

وقام «عثمان بن سعيد العمري» بتغسيل الإمام عليه السلام وتكفينه ودفنه،^٣ وتقدّم جعفر ليصلي على أخيه فلمّا همّ بالتكبير خرج صبي، وقال: «تأخر يا عمّ فأنا أحقّ بالصلاة على أبي» فتأخّر جعفر.^٤

٣. قصة السرداب

أين غاب الإمام المهدي عليه السلام وكيف؟ وهل غاب في السرداب، وهل ما يزال هناك؟ وقبل أن نجيب عن هذه الأسئلة، نشير إلى أنّ بعض التهم قد ألصقت بالشيعة في هذا المجال:

نظير اتهام الشيعة بالاعتقاد بهذه القصة المفتعلة وهي المأان جلاوزة الخليفة العباسي هجموا على دار الإمام عليه السلام في سر من رأى لإلقاء القبض عليه، وكان الإمام عليه السلام في هذه

١. الإرشاد، المفيد، ص ٣٦٢. ٢. انظر: حياة الإمام العسكري عليه السلام، باقر شريف القرشي.

٣. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢١٦.

٤. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج ٢، ص ٤٧٥.

الأثناء قد اختفى في السرداب، ومازال إلى الآن مختفياً فيه دون طعام أو شراب، وسوف يظهر يوماً ما، وقد بلغت هذه القصة من الشهرة بمكان أنه لقب عليه السلام بصاحب السرداب. بينما خلّت المصادر الشيعية والكتب الإمامية عن أي ذكر للسرداب، وقد تمسك بها علماء أهل السنة في كتاباتهم ليتخذوها ذريعة للنيل من الشيعة،^١ ظناً منهم أن الشيعة سوف تبحث عن إمامها في السرداب، وتتوقع ظهوره في هذا المكان، من هنا فقد كالوا التهم للشيعة دون أن يتجشموا عناء البحث والتتبع في المصادر الشيعية.

فحقيقة الأمر إن الإمام المهدي عليه السلام اختفى منذ ولادته لمصلحة، ودخل في الغيبة الصغرى بعد وفاة والده عليه السلام، ولما أقام الإمام المهدي عليه السلام الصلاة على جنازة أبيه عليه السلام ودفنه دخل داره ومنذ ذاك الوقت لم يره أحد^٢

واستناداً إلى الروايات فإن الإمام عليه السلام يعيش بين الناس ويحضر مراسم الحج ويраهم إلا أنهم لا يرونه.^٣

إن الدار التي تقدّم الكلام عنها تتألف من قسمين: قسم خاص بالرجال وآخر بالنساء، ومن سرداب يلجأ إليه في أيام الحر القانظ.

وتكن الشيعة إحتراماً لهذه الدار والسرداب؛ لأنها دار الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام والإمام المهدي عليه السلام وقد عبدوا الله فيها، وهذا أمر معقول وطبيعي؛ لأن كل من أحب شيئاً أحب لوازمه، وهكذا الحال في الأديان والمذاهب. وانطلاقاً من هذا الحب فإن الشيعة تحترم الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة، وتعتبرها من مصاديق قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ...﴾^٤

١. منتخب الأثر، لطف الله الصافي، ص ٣٧٢.

٢. راجع: في هذا الصدد كتاب حياة الإمام محمد المهدي (عج)، باقر شريف القرشي، ص ١١٥-١٢٠.

٣. أصول الكافي، الكليني، ج ١، ص ٣٣٧؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج ٢، ص ٤٤٠.

٤. النور، ٣٦.

وجملة القول: إن حكاية غيبة الإمام المهدي عليه السلام في سرداب سر من رأى، وأنه حي مازال فيه، مجرد افتراء وبهتان، ولا ولن تعترف بها عامة الشيعة فضلاً عن أكابرهم وأعيانهم.^١

الثالث: فلسفة الغيبة

لاشك أن مبحث فلسفة الغيبة وأمثاله كدور الانتظار، وسيرة الإمام المهدي عليه السلام وآثاره، وعلّة طول عمر الإمام عليه السلام، والحوادث التي ترافق أو تعقب ظهوره وغير ذلك، هي من جملة المباحث الكلامية والعقائدية، الفاقدة لأيّة صبغة تاريخية، ويجب أن تناقش في محلها المناسب على نطاق واسع، إلا أن هذا لا يمنع من الإشارة إلى تلك المباحث ولو على نحو الاختصار، ومن هنا سوف نلقي نظرة خاطفة على بعض الروايات، لنستشف من على لسان رسول الله ﷺ وأهل بيته عليه السلام أيّة حكمة مطوية في غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

١. سرّ من أسرار الله

غيبة الإمام المهدي عليه السلام سر من أسرار الله، لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «يا جابر إنّ هذا لأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله مطوي عن عباده».^٢ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت: ولم جعلت فذاك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله - تعالى ذكره - إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار،

١. اقتبس من مجلة حوزة، العدد ٧٠ - ٧١، خاص ببقية الله الأعظم (عج)، ص ٤٤ - ٤٥.

٢. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ص ٧٣.

لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما.^١

٢. امتحان الإنسان الصالح وغربلته

ورد في بعض الروايات إن حكمة غيبة صاحب الزمان عليه السلام هي غربال الإنسان الصالح وامتحان الناس.

وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

أما والله لأقتلن أنا وابنائي هذان، وليبعثن الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبن عنهم تمييزاً لأهل الضلالة، حتى يقول الجاهل: ماله في آل محمد من حاجة.^٢

وقال الإمام الحسين عليه السلام:

له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت على الدين فيها آخرون فيؤذون، ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، أما أن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ.^٣

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «وهو المنتظر غير أن الله - عز وجل - يحب أن يمتحن الشيعة».^٤

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في هذا الصدد:

يا بني أنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله - عز وجل - امتحن بها خلقه.^٥

١. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج ٢، ص ٤٨٢؛ منتخب الأثر، لطف الله الصافي،

ص ٢٦٦ - ٢٦٧. ٢. الغيبة، النعماني، ص ١٤١.

٣. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٣٣.

٤. أصول الكافي، الكليني، ج ١، ص ٣٣٧.

٥. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٠٤؛ الكافي، ج ١، ص ٣٣٦.

٣. ظلم الناس

ورد في بعض الروايات إن فلسفة الغيبة هي نتيجة ظلم الناس بعضهم لبعض. روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال في مسجد الكوفة:
واعلموا أن الأرض لا تخلو من حجة الله - عز وجل - ولكن الله سيعمي خلقه عنها
بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم.^١

٤. الانعتاق من بيعة طواغيت الزمان

ورد في بعض الروايات إن علة وحكمة غيبة الإمام المهدي، هي من أجل أن لا تكون في عنقه بيعة لطواغيت الزمان، تمنعه من الانطلاق بحرية زمن ظهوره، وأن لا يلتزم بالتقية مثل سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين بايعوا حكامهم عن تقية، ولولا الغيبة ما تيسر له هذا الأمر، وإلى هذا أشار الإمام الحسن عليه السلام بقوله:

ما من أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإن الله - عز وجل - يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذاك التاسع من ولد أخي الحسين.^٢

وقد وردت روايات أخرى بنفس المضمون عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «وليس لأحد في عنقه بيعة»،^٣ كما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»^٤

وهكذا التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة لإسحاق بن يعقوب بواسطة محمد بن عثمان العمري، إذ جاء فيه:

وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله - عز وجل - يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء أن تبدل لكم تسؤكم» أنه لم يكن لأحد من آبائي: إلا وقد وضعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وأني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.^٥

١. الغيبة، النعماني، ص ١٤١. ٢. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٥١، ص ١٣٢.

٣. المصدر السابق، ص ١٣٥. ٤. كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٠.

٥. الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٤٧١.

٥. الحفاظ على حياة الإمام المهدي عليه السلام

إنَّ الله عزَّ وجل حافظ على حياة الإمام عليه السلام من كيد أعدائه بواسطة الغيبة، ولولا الغيبة لاستشهد عليه السلام على يد المعتمد العباسي الذي بدأ تَوَاقُفاً لسفك دمه عليه السلام، كما سفك دم آبائه الطاهرين عليه السلام، ولخلت الأرض من الحجة. وقد وردت روايات عديدة في هذا الصدد عن الأئمة المعصومين عليه السلام.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولم، قال: يخاف».

وقد كتب الشيخ الطوسي حول فلسفة الغيبة، يقول:

وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة وصعوبة الأمر عليهم، واختبارهم للصبر عليه، فالوجه فيها الأخبار عمّا يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق لا أنَّ الله تعالى غيب الإمام ليكون ذلك، وكيف يريد الله ذلك وما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلم منهم لهم ومعصية والله تعالى لا يريد ذلك، بل سبب الغيبة هو الخوف.^١

٦. الاستعداد العالمي

يتطلب ظهور الإمام المهدي عليه السلام - باعتباره خاتم الأوصياء، ومنجي البشرية، ومن ينشر الإسلام في كافة ربوع العالم ويظهره على الأديان قاطبة - أرضية عالمية صالحة، ومن هنا تتأكد الحاجة إلى تمهيد مقدمات قبوله في العالم؛ لكي يتحقق هذا الهدف، وعليه يمكن القول إنَّ غياب تلك الأرضية في العالم يعد من فلسفة غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

الرابع: خصوصيات عصر الغيبة الصغرى

وكما مر آنفاً فإنَّ للإمام المهدي عليه السلام بعد دور الاختفاء، ووفاة الإمام العسكري عليه السلام غيبتين:

١. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٠٣؛ وحول فلسفة الغيبة راجع: مجلة الحوزة، العدد ٧١ - ٧٠؛ خاص بالإمام المهدي (عج)، ص ٣٥٣ - ٣٨٢؛ سيرة الأئمة، مهدي بيثواني، ص ٦٦٩ - ٦٧٢.

١. الغيبة الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ).

٢. الغيبة الكبرى (من ٣٢٩ هـ) حتى الوقت الحاضر.

و خصوصيات عصر الغيبة الصغرى هي:

أولاً: زمن الغيبة الصغرى محدود، ولكن أمد الغيبة الكبرى لا يعلمه أحد سوى الله تعالى.

ثانياً: لم يكن الإمام عليه السلام متوارياً عن الأنظار بصورة عامة في عصر الغيبة الصغرى.

ثالثاً: كان للإمام المهدي عليه السلام أربعة وكلاء في عصر الغيبة الصغرى، حيث أصدر حكم وكالتهم كلا على حدة.

رابعاً: قد يتيسر لبعض الأشخاص رؤية الإمام عليه السلام ومعرفته في عصر الغيبة الصغرى، ولكن قد لا يراه أحد البتة في عصر الغيبة الكبرى، وإذا رآه لا يعرفه.^١ وإذا كان بعض الخواص قد شاهدوه وعرفوه فلا يحق لهم إشاعة ذلك، إلا بإذن الإمام عليه السلام أو من يوثق بهم.^٢

الخامس: وقوع اختلافات بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام وخلفياتها

بدأ الجهاز الحاكم - ولأجل الخصوصيات التي ذكرناها - يفقد مصداقيته أمام الرأي العام خلافاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين كان يحظون بقواعد شعبية رصينة.

هذا الإقبال العام على الأئمة عليهم السلام أدى إلى تضيق الخناق عليهم وممارسة المزيد من الجور والقمع ضدهم، حتى بلغ الحال أن وقعت دار الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قبضة الحكومة لتحول بذلك الشيعة من الاتصال به عليه السلام.

وكانت بصدّد قتل نجل الإمام العسكري عليه السلام إن رزق به، وقد أجبرت أجواء الكبت والاضطهاد الإمام عليه السلام على ممارسة سقف عال من التقية، وكان عليه السلام كثير الحيلة والحذر،

١. بحث حول النواب الأربعة لصاحب الزمان (عج)، علي غفار زاده، ص ٣٣.

٢. راجع: مجلة الحوزة، العدد ٧٠ - ٧١، خاص بصاحب الزمان (عج)، ص ٧٢ - ١٢٢.

ومن جملة التدابير الاحتياطية التي قام بها هو إخفاء أمر ولادة الإمام المهدي عليه السلام
 إن إخفاء هذه الولادة أدى ببعض الشيعة - بعد وفاة العسكري عليه السلام - إلى الإنجرار في
 دوامة الشك إزاء إمامة الإمام الثاني عشر عليه السلام بنحو أن بعض الكتب ذكرت أن أتباع الإمام
 العسكري انقسموا بعد وفاته إلى (١٤ أو ١٥) فرقة.^١
 وأحصى المسعودي عددهم إلى (٢٠) فرقة.^٢

وفي الوقت الحاضر فقد أكل الدهر على هذه الفرق وشرب، ولم يعد لها ذكر إلا في
 الكتب باعتبارها جزءاً من التاريخ، بل لم يرد لها ذكر في زمان الشيخ المفيد^٣

السادس: نصب النواب الأربعة^٤

عين الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الصغرى أربعة نواب للشيعة، كانوا على جانب
 كبير من التقوى والورع والعلم، وهم:

١. أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري
 ٢. أبو جعفر، محمد بن عثمان بن سعيد العمري
 ٣. أبو القاسم، حسين بن روح النوبختي
 ٤. أبو الحسن، علي بن محمد السمري
- وقد نقل الشيخ الطوسي في كتابه «الغيبة» معلومات وافرة عنهم وعن نشاطاتهم،
 وسوف نستوفي البحث عنهم تحت عناوين أربعة، هي:

أ) النواب الأربعة

١. انظر: فرق الشيعة للنوبختي؛ بحار الأنوار، ج ٣٧؛ الفصول المختارة للشيخ المفيد.
 ٢. انظر: مروج الذهب، المسعودي، ج ٢، ص ٥٧٢.
 ٣. الفصول المختارة، الشيخ المفيد، ص ٣٢١.
 ٤. يطلق على الأشخاص الأربعة أسماء مختلفة بين الشيعة نظير: النواب الخواص لصاحب الزمان،
 السفراء، الوكلاء، النواب الأربعة، السفراء الأربعة.

- (ب) معيار نصب النواب الأربعة.
(ج) كيفية اتصال النواب الأربعة بالشيعة.
(د) وظائف ومسؤوليات النواب الأربعة.

أ) النواب الأربعة

١. أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري

وهو أول نائب وسفير للإمام المهدي عليه السلام وله مكانة رفيعة لدى الشيعة، وكان يخدم الأئمة عليهم السلام منذ نعومة أظفاره، وتزعم جهاز الوكالة في السنوات العشر الأخيرة من حياة الإمام الهادي عليه السلام،^١ ومن ثم أصبح وكيلاً خاصاً للإمام المهدي عليه السلام. روى الشيخ الطوسي عن جماعة: «دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه، فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن....إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر: فأمض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام: امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمينيين ما حملوه من المال.

ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، قال: نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم».^٢

وفي رواية ثانية رواها الشيخ الطوسي في الغيبة عن جماعة من الشيعة منهم «علي بن بلال» و«أحمد بن هلال» و«محمد بن معاوية بن حكيم» و«الحسن بن أيوب بن نوح» أنهم

١. انظر رجال الكشي؛ ورجال الشيخ الطوسي.

٢. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢١٦؛ منتخب الأثر، الصافي الغلبايجاني، ص ٣٩٤.

قالوا: «اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجّة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً..... ثم خرج لنا غلام كأنّه قمر أشبه الناس بأبي محمد، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا فتهلكوا في أديانكم، إلّا أنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا فاقبلوا من «عثمان بن سعيد» ما يقوله، وانتهوا لأمره واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»^١

ولما توفي الإمام الحسن العسكري عليه السلام قام «عثمان بن سعيد» بتغسيله وتكفينه ودفنه، وهذا يدلّ على مكانته الرفيعة، ومنذ ذلك الوقت كانت توقيعات الإمام المهدي عليه السلام تصل إلى الشيعة بواسطة.

وبعد أن مضى الإمام العسكري عليه السلام غادر عثمان بن سعيد سر من رأى إلى بغداد، وحط رحله في الكرخ إلى آخر عمره يتعهد أمور الوكالة، وكان يتسلم الكتب والأموال التي ترسل إلى الناحية المقدّسة من الشيعة.^٢

ورغم أن عثمان بن سعيد العمري قام بدور مهم في تاريخ الشيعة إلّا أن تاريخ وفاته ظل مجهولاً، رغم سعي المؤرخين لكشف النقاب عنه، فقد كتب هاشم معروف الحسني يقول: «استمرت سفارة عثمان بن سعيد إلى سنة ٢٦٥ هـ» دون أن يذكر المصدر الذي استند إليه، وكتب جواد علي: «بعد مضي (٢٠) عاماً على غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام توفي سفيره الأول عام (٢٨٠ هـ)».^٣

وقيل: اتفقت وفاة عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام وقبل عام (٢٦٧ هـ)، ذلك لأنّ أحمد بن هلال ادّعى السفارة كذباً وإفتراءً في زمن محمد بن عثمان السفير الثاني للإمام عليه السلام فقام الأخير بدفع أكذوبته ورد سفارته، ومن الواضح أنّ أحمد بن هلال توفي عام (٢٦٧ هـ) فتكون وفاة عثمان بن سعيد العمري قبل هذا التاريخ قطعاً^٤

١. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٣٥٧.

٢. الدين في مسيرة التكامل، المدرسي الطباطبائي، ص ١٢٩ و ١٣٠.

٣. نقلاً عن التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر (عج)، الدكتور جاسم حسين، ص ١٥٥.

٤. انظر: رجال النجاشي، ج ١، ص ٢١٨.

٢. محمد بن عثمان بن سعيد العمري

ويكنى أبا جعفر وهو ثاني سفير ونائب خاص للإمام المهدي عليه السلام عين وكيلاً وسفيراً بعد وفاة والده، وكان قد عُيِّن زمن وفاته قبل حلوله بشهرين، فحفر لنفسه قبراً ورحل إلى ربه في اليوم الموعود.^١

٣. أبو القاسم، الحسين بن روح النوبختي^٢

وهو ثالث نائب وسفير خاص للإمام المهدي عليه السلام أوصى له السفير الثاني محمد بن عثمان العمري زمن حياته بأمر من الناحية المقدسة، وقام بتعريفه لخواص الشيعة ووكلاء الإمام عليه السلام واتخذ في أواخر عمره تدابير خاصة؛ لكي لا يواجه الشيعة صعوبة في أمر النيابة والوكالة، وقد تصدى لمهام النيابة بعد وفاة محمد بن عثمان في جمادى الأولى عام (٣٠٥ هـ).

وقام بأعبائها إلى عام (٣٢٦ هـ)، أي لمدة (٢١ سنة)، وتوفي في الثامن عشر من شعبان من نفس السنة، ودفن ببغداد في سوق الشورجة، وأصبح قبره مزاراً للشيعة.^٣ وأوصى بأمر من الإمام المهدي عليه السلام إلى أبي الحسن بن محمد السمرى.^٤

٤. أبو الحسن، علي بن محمد السمرى^٥

وهو رابع وآخر نائب خاص للإمام المهدي عليه السلام تسلم مقاليد النيابة بعد وفاة الحسين بن روح النوبختي بأمر من صاحب الأمر، وتصدى لها من (١٨) شعبان عام (٣٢٦ هـ) إلى (١٥) شعبان عام (٣٢٩ هـ)، وحسب نقل آخر إلى (١٥) شعبان عام (٣٢٨ هـ). وكان السمرى زوج أخت الوزير العباسي جعفر بن محمد، وهذه العلاقة مهدت له السبيل لتولي منصب مهم في الجهاز العباسي.^٦

١. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر (عج)، ص ١٧٠. ٢. المصدر السابق، ص ١٩٢.

٣. حياة الإمام محمد المهدي (عج)، باقر شريف القرشي، ص ١٣٠.

٤. انظر: كمال الدين، ص ٥١٧. ٥. راجع: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٦٤.

٦. راجع: إثبات الوصية، المسعودي، ج ٣، ص ٢٦٦ - ٢٦٧؛ التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر (عج)، ص ٢١٠.

وكان ينحدر من أسرة دينية شيعية، واشتهر بحسن سيرته ومعاملته وأمانته، وقد أدى ذلك إلى عدم مواجهته لأيّة صعوبات حين تصديه للوكالة، وكان يتردد إليه الوكلاء وخواص الشيعة ويسلمون إليه الأموال الشرعية ليوصلها إلى الناحية المقدّسة^١ ولم يكن يملك فرصاً كثيرة لتوسيع نشاط الوكالة لقصر مدة نيابته من جهة، ولطبيعة الوضع السياسي الخاصّ السائد آنذاك من جهة أخرى، وإذ نجح - في بعض الأحيان - في توسيع نشاطاته فالفضل في ذلك يعود إلى رعاية التقية والاحتياط والإستتار، إلّا أنّ هذه النشاطات بقيت طي الكتمان.

وقبل وفاته بستة أيام صدر آخر توقيع من الإمام المهدي أعلن فيه انقطاع عهد السفارة ب وفاة السمرى، وانتهاء أمد الغيبة الصغرى وبدء عصر الغيبة الكبرى. وإليك نص هذا التوقيع:

بسم الله الرحمن الرحيم. يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر أخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية التامة فلا ظهور إلّا بعد أذن الله عزّ وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.^٢

روى الشيخ الصدوق عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب أنّه قال: «كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمرى، فحضرت قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً، فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يوجد بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو

١. راجع: كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥١٧.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٥١٦؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٢؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٦١.

بالغه، ومضى رضي الله عنه، فهذا آخر كلام سُمع منه»^١.
ومنذ ذاك التاريخ انقطع الاتصال بين النواب الخواص والإمام المهدي عليه السلام وبدأت الغيبة الكبرى.

وذكر المشهور أنه توفي في النصف من شعبان سنة (٣٢٩ هـ)، ولكن الشيخ الصدوق ذهب إلى أنه توفي في النصف من شعبان عام (٣٢٨ هـ)^٢.

نكات عدة حول آخر توقيع للناحية المقدسة

١. أخبر الإمام المهدي عليه السلام في هذا التوقيع «أبا الحسن علي بن محمد السمری» بوفاته بعد ستة أيام، وتوفي فعلاً في اليوم الموعود، هذا التنبؤ وتحققه في اليوم الموعود يكشف عند الإمامية عن حتمية صدوره عن الإمام المهدي عليه السلام.
٢. قال الإمام المهدي عليه السلام في هذا التوقيع: «فاجمع امرک ولا توص إلى أحد يقوم مقامک بعد وفاتک» هذه الجملة تدل بوضوح على انتهاء الاتصال بين الإمام عليه السلام وبين نوابه، وبغيابهم منذ ذاك التاريخ على وجه التحديد انقطع اتصال الناس بالإمام عليه السلام.
٣. بيّن في هذا التوقيع أمد انتهاء الغيبة الصغرى وبداية الغيبة الكبرى.
٤. سوف يكون ظهور الإمام المهدي عليه السلام باذن الله ولا يعلم زمانه أحد.
٥. وردت في هذا التوقيع علامتان لظهور الإمام المهدي، أحدهما خروج السفیاني، والآخرى الصيحة من السماء.

ب) معيار تنصيب النواب الأربعة

عين الأئمة عليهم السلام - كما تقدّم في المباحث السالفة - العديد من الوكلاء، وقد إزداد عددهم في زمن الإمام العسكري عليه السلام حتى بلغ العشرات، والسؤال المطروح هو كيف اقتصر الإمام عليه السلام من كل هذا الجمع الغفير من الوكلاء على أربعة نواب في عصر الغيبة

٢. المصدر السابق، ص ٥٠٣.

١. كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥١٦.

الصغرى؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي القول بأن سفراء الإمام المهدي عليه السلام إضافة إلى حيازتهم للشروط العامة، نظير:

- (١) الإيمان (٢) التقوى (٣) الدراية (٤) إطاعة الله سبحانه
- لا بدّ من تمتعهم بشروط خاصة وهي:

١. التزام الحذر وممارسة التقية

مارس السفراء الأربعة مستوى عال من التقية والسرية بسبب الظروف المحيطة بهم وتعقدها، وقد تجلّى ذلك في مسلك الحسين بن روح على نحو أنّ علماء المذاهب الأخرى كانوا ينسبونه إليهم، وقد بلغ به الحال في رعاية التقية أنّ بواباً له كان قد لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده وصرفه عن خدمته.^١

وكان «الحسين بن روح» في مجلس للعامة، فجرت فيه مناظرة حول التفضيل بين الخلفاء الراشدين فأثنى عليهم، فأثار هذا الكلام تعجباً لدى الحاضرين، ولم يتمالك أحد أصحابه نفسه من الضحك، وخشي أن يفتضح، فوثب عن المجلس، فنظر إليه الحسين بن روح وقد فطن به، ثم وافاه إلى داره بعد انتهاء المجلس، فقال له: «اتق الله فأنّي لا أجعلك في حل تستعظم هذا القول مني».

فقال صاحبه: ياسيدي، رجل يرى بأنّ صاحب الإمام عليه السلام ووكيله يقول ذلك القول، لا يتعجب منه، ولا يضحك من قوله هذا.

فقال له: وحياتك لئن عدت لأهجرنك.^٢

وكان السفير الأول «عثمان بن سعيد» يتجنب عمال الجهاز العباسي رعاية للتقية، ولأجل ذلك لم يدخل معهم في جدال، أو نقاش ديني، أو سياسي، أو مجابهات.^٣

١. انظر: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٣٧.

٢. المصدر السابق.

٣. راجع: التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر (عج)، ص ١٤٩.

٢. الصبر والمقاومة

لم يدخر الأعداء وسعهم في تتبع نقاط الضعف لدى سفير الإمام عليه السلام، أو نائبه من أجل الظفر بالإمام المهدي عليه السلام؛ لذا كان يجب على السفير أن يكون أشد الناس صبراً ومقاومة.

«قيل لأبي سهل النوبختي: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟

فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطني الحجة على مكانه، لعلّي كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله، وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه»^١.
هذا الكلام من أبي سهل النوبختي يدلّ بوضوح على مدى قدرة الحسين بن روح على المقاومة والصبر.

٣. السفراء أكثر فهما وعقلاً ودراية من الآخرين

نقل الشيخ الطوسي في كتابه القيم «الغيبة» رواية تدلّ على دراية نواب الإمام المهدي عليه السلام^٢.
٤. كان الإمام المهدي ينتخب نوابه من الأشخاص الذين لا يشعر الجهاز العباسي تجاههم بخطر؛ لأنّ الوكالة أمر سري ومهم للغاية، فمثلاً: كان «أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري» الملقب بالزيات أو السمان يدير أمور الوكالة تحت غطاء بيع السمن، ولم يدر في خلد الحكومة أنّه سفير الإمام عليه السلام، وكان السفير الثاني «أبو جعفر محمد بن عثمان» كأبيه بائعاً للسمن والزيت، وكان السفير الثالث من آل نوبخت الذين يتمتعون بتنفيذ في البلاط، الأمر الذي يسر له إدارة أمور الوكالة دون أن يثير أية شكوك حول علاقته بالإمام المهدي عليه السلام.

١. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٠؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٥٩.

٢. راجع: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٣٦.

ج) كيفية اتصال النواب الاربعة بالشيعة

كان للشيعة أسلوبان للاتصال بالنواب الأربعة، أحدهما غير مباشر (بالواسطة)، والآخر مباشر (دون واسطة).

١. الاتصال غير المباشر

الاتصال غير المباشر هو الأصل في عمل جهاز الوكالة الذي لم يكن قادراً على إعلان نشاطه بسبب جور العباسيين، الأمر الذي اضطرهم إلى اتباع أساليب خفية يمثل فيها الوكلاء حلقة الوصل بين الائمة عليهم السلام وبين الناس فيستقبلون مسائلهم ومشاكلهم ويقبضون منهم الحقوق الشرعية، وكان النواب ينقلون كل ذلك إلى الإمام عليه السلام ويستلمون منه الأجوبة، فكان السفير بمنزلة رأس الهرم، والوكلاء والخوادم جسم الهرم، والناس قاعدته.

هذا الاتصال الهرمي كان رائجاً بين الشيعة في بغداد، ثم أخذ بالانتشار إلى بقية المناطق، وكان لأبي جعفر محمد بن عثمان عشرة وكلاء في بغداد، منهم «الحسين بن روح»، وكانوا في الظاهر وكلاء له في الأمور التجارية، ولكن في الواقع كانوا وكلاء في أموال الإمام المهدي عليه السلام.

وقد ظل خليفة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام مجهولاً لدى علماء سائر المناطق بدايةً، ولم يكن لديهم أية معلومات بشأنه، فاستناداً إلى رواية الشيخ الطوسي في كتاب «الغيبة» والمجلسي في «بحار الأنوار»، لم يكن «محمد بن مهزيار الأهوازي» على علم بالإمام صاحب الزمان عليه السلام بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، وبعد عدة أعوام على وفاته سافر إلى العراق لكي يطلع على خليفة الإمام عليه السلام^١.

وفي «دينور» غمرت الناس الحيرة بشأن خليفة الإمام العسكري عليه السلام بعد وفاته

١. راجع: بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣١٠؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٩٥.

بعامين، فقصدا «أحمد بن محمد الدينوري» الذي قال لهم: «يا قوم هذه حيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت»^١.

٢. الاتصال المباشر

هذا الاتصال كان مفقوداً في بداية نشاط النواب الأربعة في عصر الغيبة الصغرى؛ لأن الهدف كان أن تبقى مسألة النيابة الخاصة طي الكتمان والخفاء، وما نشاطها السري إلا كزّد فعل على جور بني العباس.

وقد علم الشيعة باسم السفير عن طريق الوكلاء والخواص، الأمر الذي مكنهم من الاتصال به مباشرة، وقد بدأ كل ذلك في عهد السفير الثاني.

كتب الشيخ الطوسي عن هذا الاتصال، يقول: «إن جماعة من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام قد شاهدوا وجوده في حياته، وكانوا أصحابه وخاصته والوسائط بينه وبين شيعته معروفون ينقلون إلى شيعته معالم الدين ويخرجون إليهم أجوبته في مسائلهم فيه ويقبضون منهم حقوقه»^٢.

وكانت الإجابات في هذا النوع من الاتصال تصدر كتابة أحياناً، أو شفوية أحياناً أخرى، مثلما أجاب الحسين بن روح بعض من سألته، قائلاً: «إنكم أمرتم بالخروج إلى الحائر»^٣.

د) وظائف النواب الأربعة ومسؤولياتهم

إن المحاور العامة التي تندرج تحتها نشاطات النواب الأربعة، هي كالتالي:

١. رفع الشك والحيرة عن الناس بشأن وجود الإمام المهدي عليه السلام.
٢. الحفاظ على الإمام عليه السلام من خلال إخفاء اسمه ومكانه.

٢. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٥٧.

١. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق، ص ١٨٨.

٣. تولي مهام السفارة والنيابة.
٤. الإجابة عن المعضلات الفقهية والعقائدية.
٥. استلام أموال صاحب الزمان عليه السلام وتوزيعها.
٦. مجابهة الغلاة والمدعين الوكالة والنيابة كذباً، وفضح إدعاءاتهم الباطلة.
٧. مواجهة الوكلاء الخونة.
٨. إعداد الناس لقبول الغيبة الكبرى.

السابع: نصب وكلاء للمناطق الشيعية في عصر الغيبة الصغرى

ثمة وكلاء آخرون للإمام عليه السلام - إلى جانب النواب الأربعة - في نقاط مختلفة من العالم الإسلامي، وكانت وظائفهم تشبه وظائف وكلاء الأئمة عليهم السلام إلا أنهم كانوا يرجعون إلى النواب الأربعة لتعيين حدودها.

وكما تقدّمت الإشارة فلقد كان هناك وكلاء في نقاط مختلفة، وتشير القرائن إلى وجود عدد منهم في بغداد (محل إقامة النواب الأربعة)، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ضرورة وجود وكلاء كمعاونين للنواب الأربعة في عصر الغيبة الصغرى، تقع على كاهلهم مهمة الاتصال بالشيعية أينما كانوا لاسيّما مع غيبة الإمام عليه السلام، وتزايد نفوس الشيعة، والقرائن الموجودة توحى إلى كثرة الوكلاء، ولا شك أنّ نشاط هذا الكم من الوكلاء - كما تقدّم في الفصول الماضية، وفي مبحث الدور السياسي للوكالة ومبحث الاستتار - قد أثار حفيظة الجهاز العباسي ممّا دعاه إلى إرسال عيون بهية معرفتهم ورصد نشاطهم.

وبالتأكيد فإنّ عدد الوكلاء في المناطق الشيعية يفوق غيرها من المناطق، ولكن - مع الأسف الشديد - لم تضبط المصادر الرجالية والروائية والتاريخية أسماءهم، وقد كتب الشيخ الطوسي عنهم، يقول: «كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات تردّ عليهم

التوقعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل»^١.

ثم ذكر أسماء عدد منهم مع أن عبارة «أقوام» تحمل في طياتها معنى الكثرة. وعلى أية حال، كان وجود الوكلاء في هذا العصر كالعصور الماضية - ضرورياً لخدمة أهداف النيابة، وقد قام الإمام عليه السلام بتنصيبهم كما تدلّ على ذلك الشواهد المتوفرة بين أيدينا، نظير: محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي الذي عينه الإمام عليه السلام كوكيل عنه محل أبيه، وجاء في كتاب الإمام إليه: «قد أقمتك مقام أبيك»^٢. وكما مرّ آنفاً فإن أسماء الوكلاء لم تذكر في المصادر بصورة كاملة، ولكن من خلال مطالعة المصادر الرجالية يمكن الظفر بعدد منهم:

١. أبو الحسين، محمد بن جعفر الأسدي الكوفي الرازي.^٣

٢. أبو عبد الله بن هارون بن عمران الهمداني.^٤

٣. أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن عمران الهمداني.^٥

٤. محمد بن صالح بن محمد الهمداني.^٦

٥. أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي.^٧

٦. القاسم بن العلاء.^٨

٧. الحسن بن محمد بن قطاة الصيدلاني.^٩

٨. محمد بن شاذان بن نعيم الشاذاني النيسابوري.^{١٠}

١. المصدر السابق، ص ٢٥٧. ٢. تنقيح المقال، ج ١، رقم ٢١٨.

٣. راجع: رجال الشيخ الطوسي، ص ٤٩٦.

٤. راجع: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٥٧؛ تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١٢٧٥٧.

٥. انظر: رجال النجاشي، ص ٢٤٣.

٦. انظر: تنقيح المقال، ج ١، رقم ٢٧٥٢؛ رجال الشيخ الطوسي، ص ٤٣٦؛ كمال الدين، ص ٤٨٣.

٧. راجع: تنقيح المقال، ج ٢، رقم ١٠٢٢٢.

٨. راجع: المصدر السابق، رقم ٩٥٨٨.

٩. راجع: كمال الدين، ص ٥٠٤؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٣٦.

١٠. راجع: تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١٠٨٤٣.

٩. العزيز بن زهير.^١
 ١٠. قاسم بن محمد بن علي بن إبراهيم الهمداني.^٢
 ١١. أبو علي بسطام بن علي.^٣
 ١٢. علي بن الحسين بن علي الطبري.^٤
 ١٣. داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجعفري.^٥
 ١٤. الحسن بن النضر القمي.^٦
 ١٥. محمد بن حفص بن عمرو بن العمري.^٧
 ١٦. أحمد بن إسحاق الأشعري القمي.^٨
- وإضافة إلى هذا العدد، فإنّ هناك عدداً آخر من الوكلاء العاميين في عصر الغيبة الصغرى مسطورة أسماؤهم في المصادر الرجالية، اكتفينا هنا بهذا المقدار منهم.

الثامن: الوكلاء الخونة ومدعو النيابة كذباً

إنّ جهاز الوكالة - كما تقدّم في الفصل السابق - قد شهد ظهور انحرافات لدوافع مختلفة، هذه الانحرافات يمكن تقسيمها إلى صنفين: صنف طرأ على من كان وكيلاً منصوباً من قبل الإمام عليه السلام ثم سقط في الفساد والخيانة، وصنف آخر طرأ على من لم تكن لديه سابقة في الوكالة والنيابة للإمام عليه السلام، ولكن ادّعى الباطنية والنيابة عنه عليه السلام كذباً

١. راجع: تنقيح المقال، ج ٢، رقم ٧٩٠٢.
٢. راجع: المصدر السابق، رقم ٩٦٠٧.
٣. راجع: المصدر السابق، ج ١، رقم ١٢٨٦.
٤. راجع: المصدر السابق، ج ٢، رقم ٨٢٣٩.
٥. راجع: المصدر السابق، ج ١، رقم ٢٨٦٠.
٦. انظر: رجال الكشي، ص ٥٣٤، ح ١٠١٩؛ تنقيح المقال، ج ٢، رقم ١٠٦١٥.
٧. راجع: تنقيح المقال، ج ١، رقم ٢٩٤؛ رجال الكشي، ص ٥٥٦، ح ١٠٥١ - ١٠٥٣.
٨. راجع: الدين في مسيرة التكامل، ص ٨٣؛ كتاب الواقفية، ج ١، ص ٢١١ - ٢١٩؛ رجال الكشي، ص ٤٠٤، ح ٧٩٥.

وإفتراء، فالتف حوله رهط من الناس ثم بان أمره، وافتضح. هذان الصنفان ظهرا في وقت مبكر من إنشاء جهاز الوكالة، كما ظهرا في عصر الغيبة الصغرى أيضاً، حيث أخذ نشاطهما بالتوسع، ولعلّ السبب وراء ذلك هو غياب الإمام عليه السلام وإحالة الأمر إلى نوابه ووكلائه ممّا فسح المجال أمامهما لانتهاز الفرصة.

إنّ الوقوف على فهم دقيق لهذين الصنفين من الانحرافات رهن بمعرفة سيرة رموزهما، لذا نتطرق بداية إلى الصنف الأول، أي: الفساد والخيانة التي ارتكبها بعض وكلاء الأئمة عليهم السلام ومعرفة رموزه والدوافع وراء ذلك، ثم نخرج على الصنف الثاني.

أ) الخيانة والفساد في جهاز الوكالة

على الرغم من أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا في غاية الحيطة والحذر في تعيين الوكلاء، وكانوا يختارون من يتقون به وتتوفر فيه الشروط اللازمة، ولكن مع ذلك يبقى الوكيل كأى إنسان آخر بحاجة إلى تهذيب النفس ليتخلص من مكائد الشيطان، فهو في كل لحظة مهدد بالسقوط في هوة سحيقة من الزيف والضلال، وقد ظهر في أوساط وكلاء الأئمة عليهم السلام من حاز على الشروط اللازمة للوكالة في بداية الأمر، وبعد تسلمه لهذا المنصب ظهرت خيائته لاسيّما لمن كانت له خلفيات صالحة لها، وانتهى به الأمر إلى اللعن والعزل والطرده من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وبالطبع لا يمكن أن نعزو جميع أنواع الخيانة والفسق إلى منشأ واحد، بل أنّ الدوافع وراء ارتكابها مختلفة، مع إمكان إرجاع الجميع باعتبار إلى عدم تهذيب النفس، ومن جملة هؤلاء الخونة الواقفية، وبيان حقيقة هذه الفرقة خارج عن نطاق هذا الكتاب ومن أراد ذلك فعليه بالمطولات من كتب التاريخ والرجال.

ويمكن أن نذكر من الوكلاء الخونة ما يلي:

١. هشام بن إبراهيم العباسي الهمداني

كان في البداية وكيلاً للإمام الرضا عليه السلام، ولكن انحرف عنه فيما بعد، وأصبح عيناً للمأمون والفضل بن سهل على الإمام عليه السلام.^١

٢. فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني

كان من أتباع الإمام الهادي عليه السلام في سامراء، ثم خان الإمام عليه السلام والشيعة خيانة أصدر الإمام عليه السلام على أثرها أمراً بقتله.^٢

٣. عروة بن يحيى

كان نقيب وكلاء الإمام الهادي عليه السلام، والإمام العسكري في بغداد، وكان الإمامان عليهما السلام قد وضعاً كامل ثقتهم فيه، حتى أن الإمام العسكري أطراه في توقيع له قائلاً: «وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا» إلا أنه كمنظيره فارس بن حاتم قام باختلاس أموال الإمام عليه السلام، ولم يتنزه عن اتهام الإمام الهادي عليه السلام بالكذب، وبلغ في إنحرافه مبلغاً أنه سرق أموال الإمام العسكري عليه السلام وأحرق الباقي منها، وبهذا الفعل الشنيع أثار غضب الإمام عليه السلام، فدعا عليه ولم يلبث بعدها طويلاً حتى هلك.^٣

٤. أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني

كان عالماً صالحاً مستقيماً، تنسب له عدة كتب منها: «التكليف» و«العصمة» و«الزاهر بالحجج العقلية» و«المباهلة» و«الأوصياء» وغيرها،^٤ وقد بلغ من ثقة الحسين بن روح

١. راجع: الدين في مسيرة التكامل، ص ١٠٠؛ رجال الكشي، ص ٥٢٣.

٢. انظر: معجم رجال الحديث، ج ١٦، ص ٢٠٤؛ ج ١١، ص ١٥٠؛ وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٩٠؛ رجال

الكشي، ص ٥٧٣؛ ح ١٠٨٦؛ تنقيح المقال، ج ٢، ش ٧٨٨٧؛ رجال الطوسي، ص ٤٢٠ و ٤٣٣.

٣. انظر: بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٨٤؛ المناقب، ج ٤، ص ٤٣٣.

٤. نسبة إلى شلمغان، قصبة من قصبات واسط.

٥. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٣٩.

مبلغاً أنه جعله وكيلاً عنه أيام استتاره عن المقتدر العباسي، وكانت الشيعة تتردد إليه في حوائجها، وكانت تخرج عنه توقيعات صادرة عن الإمام المهدي عليه السلام. إلا أن الحسد الذي كان يحمله تجاه أبي القاسم الحسين بن روح قاده إلى العزوف عن المذهب الحق والولوج في مذاهب باطلة أجرت على لسانه كلمات غير صائبة، ثم مال إلى الغلو والكفر والارتداد والتناسخ وحلول الألوهية فيه، فكان يقول لأتباعه: روح رسول الله ﷺ حلت في أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وروح أمير المؤمنين عليه السلام حلت في جسم أبي القاسم الحسين بن روح، وروح فاطمة عليها السلام حلت في جسم أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري،^١ ثم بين بأن هذا سر عظيم وحذر اتباعه من مغبة إفشائه.

١. نقل الشيخ الطوسي في الغيبة عن أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري، قولها: إن أم أبي جعفر بن بسطام، قالت لي يوماً وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في اعظامي حتى انكبت على رجلي تقبلها فأنكرت ذلك وقلت لها: مهلاً يا ستي فإن هذا أمر عظيم، وانكبتت على يدها فبكت، ثم قالت: كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتي فاطمة؟ فقلت لها: وكيف ذلك يا ستي؟ فقالت لي: إن الشيخ أبا جعفر محمد بن علي خرج إلينا بالسر، قالت: فقلت لها: وما السر؟ قالت: قد أخذ علينا كتماناً وأفزع أن أنا اذعته عوقبت، قالت: وأعطينها موثقاً إني لا أكشفه لأحد واعتقدت في نفسي الاستثناء بالشيخ يعني أبا القاسم الحسين بن روح. قالت: إن الشيخ أبا جعفر قال لنا: إن روح رسول الله ﷺ انتقلت إلى أبيك، يعني أبا جعفر محمد بن عثمان، وروح أمير المؤمنين عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، وروح مولانا فاطمة عليها السلام انتقلت إليك فكيف لا أعظمك يا ستنا، فقلت لها: مهلاً لا تفعلي فإن هذا كذب يا ستنا، فقالت لي: هو سر عظيم، وقد أخذ علينا إننا لا نكشف هذا لأحد، فالله الله في لا يحل لي العذاب، ويا ستي فلولا إنك حملتيني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك. قالت أم كلثوم: فلما انصرفت من عندها دخلت على الشيخ أبي القاسم بن روح فأخبرته بالقصة، وكان يثق بي ويركن إلى قولتي، فقال لي: يا بنية إياك أن تمضي إلى هذه المرأة بعدما جرى منها، ولا تقبلي لها رقعة إن كاتبك ولا رسولاً إن أفذته إليك ولا تلقى بعدها قولها، فهذا كفر بالله تعالى والحاد، قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليحمله طريقاً إلى أن يقول لهم: بأن الله تعالى اتحد به وجل فيه، كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام. ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله (الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٩).

وكانت له منزلة رفيعة عند بني بسطام، وكان - أثناء ارتداده - يسند كل كذب وكفر إلى ابن روح، وينقله إلى بني بسطام، وحينما وصل نبأ ذلك إلى ابن روح منع بني بسطام من اتباعه وأمر بلعنه والتبرئ منه، إلا أنهم ظلوا يتبعونه؛^١ لذا بعث إليهم كتاباً كرر فيه ذلك اللعن والبراءة.^٢

ان اتساع رقعة الضلال في بني بسطام، دعا ابن روح إلى إشاعة خبر اللعن وانحراف السلمغاني في أوساط الشيعة لاسيما بني نوبخت وأمرهم بلعنه والبراءة منه، ثم صدر توقيع من الناحية المقدسة ﷺ لأتباعه بلعن السلمغاني والبراءة منه،^٣ هذا التوقيع صدر في وقت كان ابن روح في سجن المقتدر، وقد تم نشره بين الأصحاب على يد أبي علي محمد بن همام، ووقف عليه كافة رؤساء الشيعة، فأجمعوا على لعنه والبراءة منه. وحين أحس السلمغاني بالتحدي والمجابهة من قبل الشيخ ابن روح ومناصريه، أراد ان يباهله حتى يضع المجتمع أمام الواقع؛ وذلك أنه بعد أن اشتهر أمره وتبرأ منه ابن روح اجتمع السلمغاني بجماعة من رؤساء الشيعة في مجلس الوزير ابن مقلة (وزير الراضي بالله عام ٣٢٢ هـ)، فوجد أن كل فرد منهم يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه، فقال: اجمعوا بيني وبينه حتى آخذ بيده وأخذ بيدي فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه وإلا فجميع ما قاله في حق. فبلغ ذلك إلى الراضي فأمر بالقبض عليه وقتله، فقتل واستراحت الشيعة منه.^٤

ب) مدعو النيابة والبايعة كذباً

للوکالة عن الإمام المعصوم ﷺ عند الشيعة مقام رفيع، وكل من اختير وكيلاً أو باباً له ﷺ كان يحظى باحترام الشيعة وبمنزلة اجتماعية متميزة لديهم، ويعد الوكلاء أمناء الإمام

١. حينما وصل إليه خبر لعنه من قبل ابن روح، أخذ يذرف الدموع ويقول: إن لهذا الكلام باطناً عظيماً، وهو إن اللعنة الإبعاد، فمعنى قوله: لعنه الله أي باعده الله من العذاب والنار، والآن قد عرفت منزلتي ومرغ خدي على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذا الأمر (الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٨).

٢. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٥٣.

٣. تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٥٢٠.

والشيعة نظراً إلى أن أحد أهم النشاطات التي يقومون بها هي استلام الأموال الشرعية المتعلقة بالإمام عليه السلام.

هذا الأمر - إلى جانب بعض الدوافع الدنيوية - أدى ببعض الأشخاص إلى ادعاء الوكالة والبابية كذباً، وقد قلنا إن هذا الإدعاء ناشئ أساساً عن حبّ الجاه والطمع في المال، وقد ينشأ عن عقائد فاسدة، وإليك أسماء بعض من ادعى السفارة كذباً وافتراءً.

١. أبو عبد الله أحمد بن محمد السيارى

ادعى الوكالة كذباً في عهد الإمام الجواد عليه السلام فردّه الإمام عليه السلام.^١

٢. الحسن بن محمد بن بابا القمي

كان من الغلاة في عصر الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، واستناداً إلى رواية الكشي فقد نسب الإمام العسكري عليه السلام ادعاء النبوة والبابية إليه، وكتب إلى أحد أتباعه (ويعرف بالعبدي) يقول:

«إبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فإبرأ منهما فأنتي محذرك وجميع موالي، وأنتي ألعنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان بنا الناس فتّانين مؤذيين آذاهما الله واركسهما في الفتنة ركسا. يزعم ابن بابا أنني بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله سخر منه الشيطان فاغواه فلعن الله من قبل منه ذلك.

يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل، فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة».^٢

كما روى الكشي عن سهل بن محمد أنه قال: «يا سيدي، على جماعة من مواليك أمر الحسن بن محمد بن بابا، فما الذي تأمرنا يا سيدي في امرة نتولاه أو نبرأ منه أم

١. انظر: رجال الكشي، ص ٦٠٦، ح ١١٢٨.

٢. المصدر السابق، ص ٥٢٠، ح ٩٩٩.

نمسك عنه، فقد أكثر القول فيه، فكتب بخطه وقرأته: ملعون هو وفارس تبرؤا منهما لعنهما الله وضاعف ذلك على فارس»^١.

٣. أبو محمد الشريعي

وهو أول من ادعى النيابة والبابية كذباً في عصر الغيبة الصغرى، وقد ذكر الشيخ الطوسي إن اسمه «حسن» وكنيته «أبو محمد»، وكان من أصحاب أبي الحسن الهادي عليه السلام والإمام العسكري عليه السلام، وهو أول من ادعى هذا المقام في عصر الغيبة ولم يكن أهلاً له؛ ولذا لعن من قبل الشيعة، وصدر بحقه توقيع من الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه، وسمع منه كلام كفر وإلحاد،^٢ ولم ينقل لنا التاريخ من أخباره إلا هذا القدر اليسير.

٤. محمد بن نصير النميري الفهري

كان الفهري - حسب ما نقله الشيخ الطوسي - من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، وقام بمخالفة السفير الثاني مدعياً النيابة والبابية له، ولكن الله تعالى فضحه لكفره وإلحاده، كما لعنه السفير الثاني محذراً الشيعة من الإقتراب منه، ونقل أنه بعد لعنه من قبل أبي جعفر العمري، أراد محمد بن نصير الاجتماع به إلا أن العمري لم يأذن له. ومن جملة عقائده الفاسدة ادعاء ألوهية الإمام الهادي عليه السلام، وأنه أرسل من طرفه نبياً، كما ذهب إلى القول بالتناسخ والغلو في حق الإمام الهادي عليه السلام،^٣ كما اعتقد بإباحة المحارم ونكاح الذكور، وإن الله لم يأمر بتحريمها، وقد لقيت أفكاره تلك دعماً وتأييداً من قبل «محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات» وزير المقتدر العباسي، مما يدل على الوضع المزري الذي آلت إليه الخلافة والحكومة في ذلك العصر.

١. تنقيح المقال، ج ١، رقم ٢٧٢٣.

٢. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٤.

٣. راجع: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٤.

٥. الحسين بن منصور الحلاج

كان صوفياً مشهوراً، كُتب عن سيرته وحياته الشيء الكثير، وثقه بعضهم واعتبروه من أولياء الله، ولكن ما يستشف من المصادر الشيعية أنه من الكذابين، وقد ورد ذم كثير في حقّه.

وللشيخ المفيد كتاباً تحت عنوان «الردّ على أصحاب الحلاج»، كما نقل الشيخ الطوسي ما دار بين الحلاج والحسين بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (والد الشيخ الصدوق)^١ وأبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي^٢ وهو يدلّ على أن أمر إنحرافه وضلاله كان واضحاً لدى أعيان الشيعة.

كما لُعن الحلاج مع الهلالي والبلالي في التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة.^٣ ومن جراء ذلك ألقى الخليفة العباسي القبض عليه، ثم قتله لأجل غلوه وعقائده الباطلة.

وقد كتب الشيخ البهائي عنه في كشكوله يقول:

«أجمع أهل بغداد على إباحة دمه ووضعوا خطوطهم في محضر يتضمن ذلك وهو يقول الله في دمي فإنه حرام، ولم يزل يردد ذلك، وهم يثبتون خطوطهم، وحمل إلى

١. حينما دخل الحلاج قم بعث بكتاب إلى علي بن بابويه القمي وكان من كبار علماء قم ومن المحدثين المعروفين، دعاه فيه إلى مذهبه فذمه علي بن بابويه كثيراً وطرده من قم، وقد نقلت تفاصيل هذه الحادثة في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٢٤٧ وتنقيح المقال، ج ١، ص ٢٠٧٩ وتاريخ الغيبة الصغرى، ص ٥٣١.

٢. لما دخل الحلاج بغداد راسل أبا سهل النوبختي وكان من كبار متكلمي الشيعة داعياً إياه إلى سفارته ونيابته، فأرسل إليه أبو سهل يقول له: «أريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته وتجعل لحيتي سوداء فأني طوع يديك وصائر إليك وقائل بقولك وداع إلى مذهبك مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة»

وبذلك صيره أبو سهل أحدوثة وضحكة ويطنّز به عند كل أحد. وقد نقلت تفاصيل هذه الحادثة في كتاب الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٤٧ وتاريخ الغيبة الصغرى، ص ٥٢٩.

٣. تنقيح المقال، ج ٣، رقم ١١٠٩٥.

السجن وأمر المقتدر بالله بتسليمه إلى صاحب الشرطة ليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا يضربه حتى يموت ألفاً أخرى، ثم يضرب عنقه، فسلمه الوزير إلى الشرطي، وقال له: إن لم يمت فاقطع يديه ورجليه وحز رأسه وأحرق جثته، فتسلمه الشرطي وأخرجه إلى باب الطاق يتبختر في قيوده واجتمع خلق كثير وضربه ألف سوط، فلم يتأوه وقطع أطرافه، ثم حز رأسه وأحرق جثته ونصب رأسه على الجسر وذلك في سنة ٣٠٩ هـ.^١

التاسع: الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة في عصر الغيبة الصغرى

أ) الوضع الفكري

لاشك أن الوضع الفكري للشيعة قد تحسن إلى حد كبير، وظهر فيهم علماء كبار في مختلف الفروع العلمية، ويعزى سبب ذلك إلى أن الشيعة واجهت غيبة الإمام المهدي عليه السلام ولمسوا الحاجة أكثر من الأدوار السابقة إلى ضرورة الحفاظ على تراثهم الفكري المتمثل بروايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ولهذا السبب فقد صنفوا كتباً قيمة طيلة (٧٠) عاماً من عصر الغيبة الصغرى.

وكانت قم والكوفة مركزين مهمين من مراكز العلم والحديث الشيعي في ذلك العصر، وقد تخرج منهما علماء كبار كالأشعري والحميري وابن بابويه وفرات بن إبراهيم وأحمد بن محمد بن خالد البرقي.

وسوف نستعرض بنحو الإيجاز أسماء المصنفين الشيعة وكتبهم في هذا الدور:

١. أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (من أعلام الغيبة الصغرى) مصنف كتاب «تفسير فرات».

٢. محمد بن مسعود بن عياش التميمي الكوفي السمرقندي المتوفى حدود (٣٢٠ هـ)، مؤلف كتاب «تفسير العياشي».

٣. محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام (٣٢٩ هـ)، صاحب المصنفات العديدة، وأشهرها كتاب الكافي.

٤. أبو علي محمد بن أبي بكر همام (٢٥٨ - ٣٣٢ أو ٣٣٦ هـ) مصنف «الأنوار في تاريخ الأئمة (عليهم السلام)» و «التمحيص في بيان موجبات تمحيص ذنوب المؤمنين».^١

٥. أحمد بن واضح اليعقوبي، المتوفى عام (٢٨٤ هـ)، مصنف كتاب التاريخ المعروف بـ «تاريخ اليعقوبي».

٦. محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، المتوفى عام (٢٩٠ هـ)، مؤلف كتاب «بصائر الدرجات».

٧. أحمد بن محمد بن خالد البرقي المتوفى عام (٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ)، مؤلف كتاب «المحاسن».

٨. علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي، والد الشيخ الصدوق (٢٦٠-٣٢٨ هـ)، كتب النديم عنه: يقول نجله أبو جعفر محمد بن علي إن والده صنف حدود (٢٠٠) مصنف، وذكر النجاشي في الفهرست أسماء ١٨ منها.^٢

٩. سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي، المتوفى عام (٣٠٠ هـ)، له كتب منها: «كتاب الرحمة» و «مناقب الشيعة».^٣

١٠. أبو العباس عبد الله جعفر الحميري القمي، من أعلام الغيبة الصغرى، له كتب منها: «قرب الإسناد».

١١. أبو جعفر محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري القمي، نسب بعضهم «قرب الإسناد» إليه.

١٢. أبو زينب محمد بن جعفر النعماني، من تلاميذ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، له كتاب «الغيبة».

٢. المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.

١. بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٦-٢٣٢.

٣. المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٨٦-١٨٧.

(ب) الوضع السياسي

كانت الشيعة في بغداد (مركز الخلافة العباسية) في عصر الغيبة الصغرى تفتقد لقاعدة سياسية؛ إذ كان الحكم بيد بني العباس وكانوا يشعرون بخطر آل أبي طالب عليهم لاسيما آل علي عليه السلام وشيعته.

ولم يكن هذا الشعور بالخطر على وتيرة واحدة، بل انتابته حالات من الشدة والضعف، وقد بلغ عدااء الشيعة أوجه في زمن خلافة المعتضد العباسي (٢٧٩ - ٢٨٩هـ)، فقد سادت طيلة السنوات العشر من خلافته أجواء الكبت والطغيان ضد الشيعة بنحو لم يسبق له مثيل، وكان الأمر - حسب تعبير الشيخ الطوسي - حاداً والسيف يقطر دماً.^١

إلا أن هذا الوضع تغير إلى حد ما في زمن خلافة المقتدر العباسي (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) وكان انعطاف السياسة في بعض الموارد إلى جانب الشيعة، حيث تمكنت من النفوذ في جهاز الخلافة والمناصب الحساسة.

هذه التغيرات بدأت تطرأ مع نفوذ بني فرات الشيعة في جهاز الخلافة،^٢ فقد تولّى أبو الحسن علي بن محمد منصب الوزارة ثلاث مرات.

١. من سنة (٢٩٦ - ٢٩٩هـ).

٢. من سنة (٣٠٤ - ٣٠٦هـ).

٣. من سنة (٣١١ - ٣١٢هـ).

وقد شهدت الاجواء خلال سني وزارته انفراجاً نسبياً للشيعة. أتاح لهم نشر الفكر الشيعي. وقد تزامن هذا الدور مع سفارة الحسين بن روح، الذي وجد الفرصة سانحة له لإدارة جهاز الوكالة السري، وكان للحسين بن روح مقام اجتماعي وسياسي متميز زمن ابن فرات، وقد استغل هذه الفرصة لتحسين وضع الشيعة.

٢. انظر: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ٤، ص ٣٨٢ - ٣٩٢.

١. تقدم تخريجه

ج) الوضع الاجتماعي

تمتعت الشيعة بنفوذ اجتماعي واسع في مركز الخلافة العباسية وفي سائر المناطق الخاضعة للخلافة، وبالرغم من هذا النفوذ الواسع إلا أنه مرت على الشيعة محن ومصائب للأسباب التالية:

١. السياسة المعادية للشيعة التي اتبعها الخلفاء العباسيون.
 ٢. غلبة المذهب الأشعري على العدلية (المعتزلة والشيعة).
 ٣. نسبة جرائم القرامطة والزنج إلى الشيعة من خلال الإعلام المعادي، فعندما هاجم القرامطة قوافل الحجاج عام (٣١١ هـ)، وارتكبوا أبشع الجرائم بحقهم، حاول الإعلام المضلل إلصاق ما ارتكب بالشيعة، مما أدى إلى إثارة أهل بغداد على علي بن فرات الوزير الشيعي رافعين شعارات منددة، الأمر الذي أفضى إلى خلع ابن فرات وابنه من الوزارة، ثم اعتقالهما ومحاكمتهما وإعدامهما.
- وفي هذا السياق تم إلقاء القبض على الحسين بن روح ثالث نائب للإمام المهدي عليه السلام وإيداعه السجن.
- أما في المناطق المستقلة التي لم تخضع للحكومة العباسية، أو التي تتمتع بحكم ذاتي خاصة في المناطق التي أعلن فيها تشكيل حكومة شيعية ثورية، فقد تحسن الوضع الاجتماعي للشيعة إلى حد كبير.

الخلاصة

تزامن عصر الغيبة الصغرى مع خلافة ستة خلفاء عباسيين، وكان الوضع السياسي وخصوصياته آنذاك امتداداً لعصر ما قبل الغيبة، حيث تم استيلاء الموالي الأتراك على مقاليد الحكم، وتدهور وضع الحكومة المركزية، وتعاضل نفوذ الولاة.

وقد تمّ في هذا الدور انتقال مركز الخلافة من سامراء إلى بغداد، ومن أهم خصوصيات الوضع السياسي لهذا الدور هي نشوب فتن كثيرة وخروج العلويين وتشكيل حكومات مستقلة وظهور مناطق تتمتع بحكم ذاتي.

وكان الوضع الاجتماعي المتدهور امتداداً للأدوار السابقة، ومن أهم خصوصيات هذا الوضع هي الاختلافات الطائفية والمذهبية، وازدياد الهوة بين الفقراء والأغنياء، واللهو، وإسراف وتبذير الخلفاء والوزراء والأعيان والأشراف.

أما الوضع الفكري فمن أبرز سماته، تبلور المذهب الأشعري وغلبته على الاعتزال وتدوين المصادر الروائية.

وكان للإمام المهدي عليه السلام أربعة سفراء في عصر الغيبة الصغرى، عرفوا بـ «النواب الأربعة» وهم على الترتيب: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري وأبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري وأبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، وأبو الحسن علي بن محمد السمرى، وقد تولوا مهام السفارة طيلة (٧٠) سنة، عرفت بفترة الغيبة الصغرى.

وكان ثمة أسلوبان لاتصال السفراء بالشيعة: بواسطة الوكيل أو بلا واسطة، أما الأصل في جهاز الوكالة فهو الاتصال مع الواسطة.

والمهام الملقاة على عاتق النواب الأربعة هي:

١. رفع شك وحيرة الناس إزاء وجود الإمام المهدي عليه السلام.

٢. الحفاظ على الإمام عليه السلام من خلال كتمان اسمه ومكانه.

٣. إدارة جهاز الوكالة.

٤. الإجابة عن الاستفسارات الفقهية والشبهات العقائدية.

٥. إعداد الناس لقبول الغيبة الكبرى.

ومن بين هذه المهام، تولّى عثمان بن سعيد المهمة الأولى أكثر من غيره من النواب، وتولّى المهمة الأخيرة السمرى آخر سفير للإمام المهدي عليه السلام كما تمّ الحديث في هذا الفصل عن تعيين الوكلاء العامين وأسماء الوكلاء الخونة والمدعين لها كذباً وإفتراءً إلى جانب بيان الوضع الفكري والسياسي والاجتماعي للشيعة في هذا الدور.

الأسئلة

١. اذكر أبرز معالم الوضع السياسي لهذا الدور؟
٢. بيّن دلائل وعلامات ضعف جهاز الخلافة في هذا الدور؟
٣. لماذا ازداد عدد الدول المستقلة في هذا الدور؟
٤. اذكر أهم خصوصيتين للوضع الفكري لهذا الدور؟
٥. ما هي الكتب التي صنف في هذا الدور؟
٦. كيف اعتقد الشيعة ووكلاء جهاز الوكالة بسفارة النواب الأربعة؟
٧. ما هي النكات الموجودة في آخر توقيع للإمام المهدي عليه السلام؟
٨. ما هو معيار تعيين النواب الأربعة؟
٩. كيف وبأي أسلوب تتصل الشيعة بالنواب الأربعة؟
١٠. ماهي وظائف النواب الأربعة؟

للبحث والتحقيق

١. اكتب مقالاً حول القرامطة.
٢. اكتب تحقيقاً حول التيارات الفكرية السائدة في هذا الدور (الإعتزال والأشاعرة وأهل الحديث).

٣. هل يمكن مشاهدة صاحب الزمان عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى؟ ما معنى المشاهدة في آخر توقيع صادر عن الناحية المقدسة؟
٤. إكتب مقالاً حول الجهود العلمية والسياسية للنواب الأربعة.
٥. إكتب بحثاً في المقام الاجتماعي للحسين بن روح.

مصادر البحث

١. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف.
 ٢. تاريخ الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن.
 ٣. الملل والنحل، ج ١ و ٢، السبحاني.
 ٤. مروج الذهب، المسعودي.
 ٥. مجلة الحوزة، عدد ٧٠ و ٧١.
 ٦. بحار الأنوار، ج ٥٢.
- وراجع حول النواب الأربعة: حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص ١٢١ - ١٣١؛ بحث حول سيرة النواب الأربعة، علي غفار زاده؛ الغيبة، الشيخ الطوسي؛ البحث المتعلق بالسفراء الممدوحين، بحار الأنوار، ج ٥٠.

٧

مرور على بعض مسائل عصر الغيبة الكبرى

حل عصر الغيبة الكبرى بعد صدور التوقيع من جانب الإمام المهدي عليه السلام معلناً فيه انتهاء أمد الغيبة الصغرى بوفاة سفيره الرابع السمرى، ومع بدء هذا العصر دخلت الشيعة مرحلة جديدة من تاريخها.

وقد تقدّم الكلام عن هذا التوقيع في الفصل الماضي، ونستعرض في هذا الفصل أهم المباحث المطروحة في هذا الدور بنحو الإيجاز، وهي:

١. تاريخ الشيعة.. الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى.

٢. الجهاد العقائدي والسياسي لعلماء الشيعة في هذا العصر.

٣. مدعو المهديّة في عصر الغيبة الصغرى والكبرى.

١. تاريخ الشيعة.. الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى

١ - ١) الشيعة في عصر الغيبة الكبرى

إنّ ثورات العلويين ضد فساد وظلم بني العباس قد زعزعت أركان الحكم العباسي ومهدت السبيل لظهور دول شيعية، تمتعت فيها الشيعة بمزيد من الحرية في نشر عقائدها.

وفي القرن الرابع الهجري انتشر التشيع في كافة أصقاع العالم الإسلامي، واتسعت رقعته أكثر في القرون الخمسة التي تلتها (من الخامس إلى التاسع الهجري)، وظهرت دول شيعية، رافقتها حوادث مهمة، منها:

١. ظهور الإسماعيلية في إيران أواخر القرن الخامس، وقد تمتعوا باستقلال كامل.^١
٢. وصول السادات المرعشيين إلى سدة الحكم في مازندران وقزوین منذ منتصف القرن الثامن وحتى القرن التاسع.^٢
٣. المكانة الرفيعة التي حظي بها العلامة الحلي ونجله فخر المحققين في بلاط السلطان محمد خدابنده الذي أعلن عن تشييعه الأمر الذي أدى إلى انتشار المذهب الشيعي أكثر.^٣

٤. حكومة آقا قويونلو في تبريز واتساع نفوذهم حتى شمل فارس وكرمان.^٤
 ٥. استشهاد محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول صاحب «اللمعة الدمشقية» عام (٧٨٦ هـ) بدمشق لتشييعه، وكان من نوابغ الشيعة.
- وبصورة عامة أخذ عدد الشيعة بالتزايد في القرون الخمسة المذكورة، وراح نفوذها يتعاظم، وقد ارتبط ذلك إلى حد كبير بالحكومات وقدرة السلاطين، وبرغم ذلك إلا أنه لم يعلن عن رسمية المذهب الشيعي في أية بقعة من البقاع الإسلامية.
- وفي بداية القرن العاشر الهجري ظهر الشاه إسماعيل الصفوي ذو النزعة الشيعية من أردبيل، وجعل إيران دولة واحدة والمذهب الشيعي مذهباً رسمياً للبلاد.
- واليوم يبلغ عدد نفوس الشيعة أكثر من (١٠٠) مليون نسمة استناداً لإحصائيات عام (١٩٦٧ م) ومن الطبيعي إن هذا العدد أخذ بالتصاعد في العقود الأربعة الأخيرة.

١. الثورة الإسلامية وخلفياتها، عباس علي عميد زنجاني، ص ٢٠٨ - ٢١٥.

٢. المصدر السابق.

٣. الشيعة في الإسلام، ص ٥٦.

٤. المصدر السابق، ص ٥٧.

وفي بداية القرن الخامس عشر الهجري، قامت في إيران حكومة إسلامية بعد جهاد طويل ضد الاستبداد الداخلي والاستعمار الثقافي والسياسي والاقتصادي واستندت إلى ولاية الفقيه الجامع للشرائط، وبذلك تمّ تدارك نقاط الضعف التي طرأت على الثورات الماضية في كفاحها ضد الاستبداد والاستعمار، وراحت أثار هذه الثورة المعنوية والمادية تنتشر في ربوع العالم الإسلامي، وأصبحت شوكة في عين اعداء الإسلام، كما دعمت كافة الحركات التحررية في العالم وأصبحت عاملاً رئيسياً لانتصارها، هذه الثورة أدخلت العالم عصراً جديداً أدى إلى تجنيد القوى السلطوية الكبرى لامكانياتها للقضاء عليها وعلى المذهب الشيعي الاثني عشري، بينما اكتسبت أصول المذهب الشيعي زخماً جديداً وراحت تجتاح العالم بسرعة مذهلة.

٢ - ١) الحركات والدول الشيعية في عصر الغيبة الكبرى

بدأت الحركات الشيعية نشاطها منذ أن طرأ الانحراف على قيادة الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ، رافعة لواء الجهاد ضد الكفر والطاغوت بإرشاد من أئمة أهل البيت ، ودامت منذ عصر الغيبة الكبرى وحتى العصر الحاضر بعد أن قطعت شوطاً بعيداً من نضالها في مواجهة التحديات، وقد حالف بعضها النجاح، فتأسست دول شيعية في أصقاع مختلفة من العالم الإسلامي، وقد حظيت الشيعة في القرون الستة الأخيرة بنفوذ عقائدي وسياسي واسع في إيران مركز التشيع، وتمكنت من إبلاغ رسالتها إلى العالم، كما واجهت الكثير من الحركات الشيعية في العراق^١ والحجاز^٢ جور الخلفاء

١. ظهرت ثورات في مناطق مختلفة من العراق في القرنين الأول والثاني، كثورة التوابين وثورة المختار وثورة زيد بن علي نجل الإمام السجاد، وثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وثورة عيسى بن زيد بن علي وثورة محمد بن إبراهيم الحنفي.

٢. كثورة سيد الشهداء الحسين بن علي  وثورة أهل المدينة بعد استشهاد الإمام الحسين ، وثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى وثورة الحسين بن علي صاحب الفخ في الحجاز وثورة يحيى

وتمكنت من تأسيس دول في شرق مركز الخلافة وغربها، ولم تتقاعس عن الجهاد قط، رافعة شعار العدالة والإمامة باعتبارهما أبرز العناوين المطروحة في رسالة الوحي، وقد مارست النضال ضد كافة ألوان الظلم والجور حتى تحقيق هذين الأصلين اللذين هما جزء لا يتجزأ من الإيمان، كما تصدّرت الشيعة لأكثر الثورات التي لم تتأطر في إطار مذهبي ضيق. وهذا يعني إنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا بمعزل عن الجماهير، وكانوا يمدون لهم العون؛ ذلك لأنّ مخالفة الشيعة لأساس الحكم الأموي والعباسي كان نابغاً من أعماق قلوب قطاعات واسعة من الجماهير المسلمة، وما كفاحها المسلح إلّا تعبير عن الدفاع المقدس عن الهوية الإسلامية والتشيع، وتأييداً للرأي العام في المجتمعات المظلومة.

إنّ الصبغة الثورية لاتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن نلمسها على مسرح الشهادة فحسب، بل يمكن أن نلمسها أيضاً على المسرح الثقافي عبر التبليغ الهادي، فقد فتح إدريس بن الحسن المثنى بلاد المغرب من خلال التبليغ، وهكذا الحال في اندونيسيا الواقعة في الشرق الأقصى للعالم الإسلامي، وفي القرن الخامس للهجرة اعتنق جمع غفير من الهنود الإسلام على يد اثنين من الشيعة بينما قام العباسيون بفتوحات طويلة (٣٠٠) سنة ودعوا إلى الإسلام كذباً وزيفاً وتحت وطأة السيوف.

وقد بثت النهضة الشيعة روح الحماسة والثورة في كل أرجاء العالم، وبالرغم من الإخفاقات المتواصلة في القرون الثلاثة الأولى إلّا أنّها تمكنت من الحصول على نتائج باهرة منذ منتصف القرن الثالث وما بعده تمثلت في تأسيس دول ثورية في العالم الاسلامي، وبذلك سطعت بارقة أمل على القلوب اليائسة، اذ كُتِلت أيدي حكام الجور

→ بن زيد بن علي في جرجان وثورة محمد بن القاسم في خراسان.

وقد أورد أبو الفرج الأصبهاني المؤرخ المشهور أسماء ٢١٨ ممن استشهدوا من أبناء علي عليه السلام حتى عام ٣١٣ هـ وذكر أنّ هناك من قام منهم في اليمن وأطراف طبرستان، قد حالف بعضهم النجاح إلّا أنّه يجهل أخبارهم بالمرّة (راجع: في هذا الصدد الثورة الإسلامية وخلفياتها، ص ١٤٥).

عن ممارسة المزيد من الظلم والطغيان.

وقد جعل آل بويه الثقافة الإسلامية وتعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام أساس حكومتهم، ومع أنهم كانوا شيعة إلا أنهم عاملوا أتباع سائر المذاهب معاملة حسنة ولم يبخلوا عليهم بالعطايا والاکرام، هذه الميزة لم تنحصر بآل بويه فحسب بل عمت الدول الشيعية كافة.

وللسبب ذاته يعد القرن الرابع الهجري - وهو قرن الدول الشيعية الثورية^١ - يعد العصر الذهبي للثقافة والحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي،^٢ حيث لا تنعم بحرية الفكر والعقيدة وتكريم العلم والعلماء إلا تحت ظلال الدول الشيعية، وتعد نموذجية هذه الدول ودوافع مؤسسيها من أهم عوامل تقدّمها وتطورها كما أنّ الفساد التدريجي لحكامها والابتعاد عن أهدافها من أهم عوامل اضمحلالها.

ومع انهيار الدول الثورية نتيجة طروء اختلافات بين زعمائها، وسريان العيث و الفساد في مرافقها والابتعاد عن الأهداف الثورية والأصيلة، شهد العالم الإسلامي في القرنين: السادس والسابع الهجريين، سقوط الدولة العباسية و اضمحلال نفوذها السياسي وتشكيل دول صغيرة، متناحرة فيما بينها.

وفي عام (٤٨٩هـ) بدأت الحروب الصليبية تجتاح العالم الإسلامي في وقت كان فيه مركز الخلافة يعج بالوان من اللهو والمجون وتكديس الأموال، وقد تزامنت مع حملة أخرى جارفة من الشرق هي حملة المغول التي لم تستطع الحكومة الإسلامية درء خطرها الداهم فتهاوت أمامها وانهارت.

وإذا ظل الإسلام مرفوع الرأس في هذا الخضم، فإنما يعود فضل ذلك إلى جهود

١. الأدارسة في المغرب، والعلويون في طبرستان، والبويهيون في العراق وإيران، والفاطميون في مصر وشمال أفريقيا، وبنو حمدان وبنو مرداس وبنو عمار في الشام.

٢. راجع: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تأليف آدم منز، المجلد ١ و ٢.

نفر من طليعة المفكرين مغموري الذكر تمكنوا من إخضاع الفاتحين المغول لإرادة الإسلام وجذب قلوبهم نحوه والانصهار فيه.^١

وإذا كان هولاكو قد أمر بإعادة بناء مسجد الخليفة ومرقد الإمام الكاظم عليه السلام بعد قتله لـ (٩٠٠) ألف من الأبرياء من أهالي بغداد، فإنما تمَّ هذا الأمر بحنكة وشجاعة مؤيد الدين العلقمي والخواجة نصير الدين الطوسي، وهما من أبرز الشخصيات الشيعية آنذاك، وقد حازا على هذا الفخر رغم ما تعرضا له من كذب وإفراء وتهم رخيصة.

وكان هدف الخواجة نصير الدين من وراء ذلك هو الحيلولة دون سفك المزيد من الدماء، وقد استطاع عبر نفوذه في مؤسسات المغول انقاذ العديد من علماء الإسلام من سطوتهم وسيوفهم.

كما صنَّف أكثر من (٦٠) كتاباً قيماً في علوم وفنون مختلفة، وانقذ عدّة مدن من الدمار الشامل، وتمكن من كبح لجام ألد أعداء الإسلام، بل جعلهم ينقادون للإسلام والإيمان وشعائر التشيع.^٢

وببركة النهضة الثورية لعلماء الشيعة أعيد الدين الذي سحق تحت وطأة المغول إلى قلوب الفاتحين المغول، بل ونشره بزخم هائل.

وقد شهد القرنان: الثامن والتاسع وصول حركات ثورية في شمال وشرق إيران إلى سدة الحكم، نظير: السربدارية في خراسان، والحركة المناوئة للمنكر في هرات، ونهضة الحروفية في مواجهة التيموريين، والسادات المرعشيين في مازندران

وفي غمرة العثمانيين في قلب أوروبا ومع بداية القرن العاشر الهجري ظهرت نهضة قزلباش الصفوية على المسرح السياسي وامسكت بزمام الحكم وبدأت تهاجم

١. الثورة الإسلامية وخلفياتها، ص ١٨٦.

٢. البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١٣، ص ٣٠٢: تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤، ص ١٦١.

٣. الثورة الإسلامية وخلفياتها، ص ١٨٨ - ١٩٠.

العثمانيين ذوي التعصب المقيت والذين اقتطعوا مساحات واسعة من إيران، وتمكن أبناء الشيخ صفى الدين الأردبيلي ذوي الاتجاه الشيعي من تأسيس نظام سياسي شيعي طالما تاق التشيع إلى التطلع إليه عبر استغلال روح الفتوة والشهامة والروح الثورية للتشيع التي تجذرت في أعماق المجتمع الإيراني بغية الحفاظ على استقلال إيران وتحقيق الأهداف الإسلامية والطموحات السياسية للتشيع التي حاول حكام الجور طمسها والقضاء عليها عبر عشرة قرون، كما تمكن التشيع في إطار النظام السياسي المقتدر للصفوية من الوقوف بوجه الإمبراطورية العثمانية والمحافظة على استقلال إيران، الأمر الذي يفسر لنا نشوء علاقات حسنة بين علماء التشيع والملوك الصفوية، انطلاقاً من هذه الحقيقة وهي ضرورة قيام قدرة سياسية ودولة مقتدرة بغية حفظ التراث الشيعي المتمثل في إيران الشيعية وصد أي عدوان مناوئ للتشيع، يرى في قتل الشيعة عبادة مافوقها عبادة.^١

إن الدولة الصفوية على الرغم من نقاط الضعف فيها إلا أنها روجت لشعائر المذهب ولم تمارس أية ضغوط على أهل السنة، وانتهجت سياسة معتدلة مع اليهود والنصارى والزرادشتية في وقت كانت أكثر الدول الغربية تجهل بالمرّة الحرية النسبية للأديان.^٢ إن التنمية الزراعية والاقتصادية والرفاه النسبي الذي شهدته الدولة الصفوية أديا إلى استمالة الطبقة الكادحة إلى جانبها، وقد حظي أكثر الملوك الصفوية بمصداقية واسعة.

ومن أهم مزايا العهد الصفوي هو التوسع الثقافي وانتشار المراكز العلمية ودعم أكثر العلماء والمؤلفين، ناهيك عن استخدام الفن والصناعة والهندسة في خدمة الثقافة والمعارف الإسلامية.

ومن المزايا الأخرى لذلك العهد إيجاد تغييرات جذرية في النظام السياسي

١. المصدر السابق، ص ٢٢٧، نقلا عن كتاب الرسائل التاريخية والاجتماعية للعصر الصفوي، ثابتيان،

ص ٢٣١؛ تاريخ إيران، ص ٥١١. ٢. راجع: تاريخ إيران، ص ٥٢٢.

والإداري للحكومة وإتاحة الفرصة للعلماء للعب دور أكبر في الأمور السياسية والقضائية والثقافية.^١

إن إعادة الاستقلال والهوية الشيعية والتخلص من نير الأجانب وحماية الدين حدى بعلماء الشيعة إلى إضفاء الشرعية على التوجهات السياسية للملوك الصفوية.^٢ ودالت دولة الصفويين وقامت دولة الأفسارية، فخطى نادر شاه خطوات نحو التقريب بين الشيعة وأهل السنة، وطرح آراء خاصة في هذا الصدد، ومن ثم قامت دولة الزندية التي بذلت جهوداً حثيثة بغية دعم أصول التشيع.^٣

وباعتلاء كريم خان زند منصة الحكم عام (١١٦٤ هـ)، شرع بتحكيم المذهب فحاز بذلك على دعم العلماء لحكومته، وقد كان للهجوم الاستعماري السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري للغرب على العالم الإسلامي دور كبير في يقظة الشرق، وتسريع وقيام النهضة الإسلامية وتعميقها، كما أن الاستبداد الداخلي في البلدان الإسلامية كان له دور ملموس في وضع الأصابع على المشكلات والأزمات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية وإقبال الناس على الكفاح بغية إزالة هذا الكابوس. وقد تعززت العلاقات بين النهضة الإسلامية في كافة أرجاء العالم الإسلامي في القرن الأخير،^٤ وقد انبثقت عن تلك النهضة صحوة إسلامية ثورية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري عمت معظم الأقطار كمصر وسورية ولبنان والعراق

١. راجع: كتاب العلامة المجلسي، لحسن طارمي، حيث تطرق فيه إلى أسباب تعاون العلامة المجلسي والشيخ البهائي مع الحكومة الصفوية، ودورهما في حفظ الهوية الثقافية لهذه السلسلة، كما أشار إلى مواطن الخطأ التي وقع بها الدكتور شريعتي والمستشرق أدوار براون استناداً إلى الكتب التاريخية. ٢. المصدر السابق.

٣. راجع: مقال نادر شاه ومسألة التقريب، رسول جعفریان، كيهان انديشه، العدد ٦٢.

٤. عزيت اقامة هذه العلاقات إلى السيد جمال الدين الأسد آبادي، على الرغم من أن جمع غفير من علماء الشيعة كانت لهم مواقف مشرفة في هذا الصدد. «راجع: الثورة الإسلامية وخلفياتها، ص ٢٣٨ - ٢٤٣.

وتركية وافغانستان وباكستان والجزائر وتونس والمغرب والحجاز واندونيسيا والهند وإيران، وطرحت مفهوماً جديداً لأفكار الإسلام السياسية وأصول العدالة الاجتماعية عقب قرون من الركود والخضوع والخنوع.^١

وقد أتاح العمق التاريخي والشعبي لعلماء الدين الإمساك بزمام الحركات والنهضات في أكثر الأقطار الإسلامية عبر العقود العشرة الأخيرة، وتعد النهضة الإسلامية للإمام الخميني انعطافة في تاريخ كافة الحركات التحررية في الإسلام والتشيع، وقد تجسدت فيها الطموحات الثورية للحركات الإسلامية في كافة أرجاء العالم. ويمكن أن نلمس ذلك التجسيد بوضوح عبر لقاء نظرة سريعة على الوصية الإلهية والسياسية لفائد أعظم ثورة إسلامية في إيران أعني الإمام روح الله الموسوي الخميني «ره» والقانون الأساسي لنظام الجمهورية الإسلامية والتاريخ المشرق لهذه الثورة حتى تأسيس الدولة واجهاض المؤامرات الكثيرة.^٢

٢. الجهاد الفكري والسياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى

كان النبي ﷺ قد تولى زمام الهداية الفكرية والسياسية، وانتقل بعد وفاته إلى أئمة أهل البيت عليه السلام، ثم إلى العلماء الجامعين للشرائط في عصر الغيبة، وهم يتحملون مسؤولية إقامة هذين الركنين، أي: الإمامة والمرجعية، وبعبارة أخرى تزعم الهداية الفكرية والسياسية للمجتمع، واليك شرح هذين الركنين:

١. الجهاد الفكري لعلماء الشيعة في عصر الغيبة

وخير ما قيل حول دور علماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى هو ما قاله العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، فبعد أن ذكر منهج الشيعة في العلوم الإسلامية - وكان بحثاً

١. الثورة الإسلامية وخلفياتها، ص ٢٤١.

٢. انظر: الوصية الإلهية والسياسية للإمام الخميني (ره).

فريداً من نوعه^١ - تطرق إلى الجهود التي بذلتها الشيعة في سبيل تقدّم العلوم الإسلامية والتي تكللت بالنجاح، قائلاً: «لقد استحوذ الحديث والكلام والفقه على اهتمام الشيعة نظراً لدخولها مع خصومها في سجال علمي ومذهبي متواصل في تلك العلوم، وحاجتها الملحة إليها في الحياة العملية، وقد بلغت تلك العلوم على يدها الذروة، وهكذا الحال فيما يمت إليها بصلة، وعلى وجه التحديد الدراية والرجال والأصول، كما دونوا ما استجد منها في كتبهم وساروا على هذا المنوال قرون متتالية»^٢. وبالطبع فإنّ هذا ناظر إلى العصر الحاضر وما ترشح من قلمه قبل تأسيس الحكومة الإسلامية.

إنّ ما يحتويه التفسير القيم المعروف بالميزان للعلامة الطباطبائي من معارف وعلوم قرآنية وعقلية ونقلية، قد جعله متميّزاً عن سائر تفاسير الفريقين وفي مستوى رفيع. وقد كان لآثار مفكرين إسلاميين، أمثال: الشهيد محمد باقر الصدر، وتلامذة العلامة الطباطبائي دور هام في النهوض بالعلوم الإسلامية.^٣

و يعتبر تأسيس الحكومة الإسلامية وانفراج الأجواء السياسية والثقافية نقطة تحول بارز في الفكر الإسلامي، حيث مهدت أرضية خصبة للبحوث العلمية على كافة الأصعدة ووفقاً لمتطلبات الحكومة الإسلامية في عالمنا المعاصر، وفتحت بذلك أمام المجتمع الشيعي آفاق نموذجية رحبة، راجت على أثرها العلوم والمعارف المختلفة

١. راجع: الشيعة في الإسلام؛ ومذاكراته مع السيد هنري غوربون.

٢. مذاكرات مع السيد هنري غوربون، المستشرق الفرنسي الذي شغف بالفرقة الشيعية.

٣. من آثار الشهيد محمد باقر الصدر: النظام الاقتصادي، المذهب الاقتصادي في الإسلام، البنك اللاربوي، الأسس المنطقية للاستقراء، إضافة إلى إبداعاته في حقل علم الأصول والتفسير الموضوعي للقرآن؛ وللشاهد المطهري مصنفات كثيرة ومهمّة في هذا المجال، تشتمل على موضوعات فلسفية عميقة وأفكار بكر في الكلام، ناهيك عن آثار العلامة الطباطبائي الذي يعتبر من مجددي القرن الرابع عشر في هذا المضمار.

ناهيك عن أن كتباً، نظير: «تأسيس الشيعة لعلوم القرآن»^١ و«الذريعة إلى تصانيف الشيعة»^٢ و«أعيان الشيعة»^٣ تعد أدلة ملموسة على ما ندعيه، كما يمكن أن نلمس هذه الحقيقة في كتاب «الخدمات المتقابلة بين الإسلام وإيران»^٤. ونرى من المناسب هنا الإشارة ولو على نحو الإيجاز إلى الجهد الفكري لعلماء الشيعة و إلى الفقه الشيعي ومراحله ومراكزه.

١ - ١) الفقه الشيعي ومراحله

يعد الفقه من أهم العلوم الإسلامية وهو الركن الأساسي الذي تقوم عليه المرجعية الشيعية، ولهذا السبب فقد ظل يأخذ منحى تصاعدياً ويقطع اشواطاً بعيدة من التكامل.

أ) الفقه في عهد الأئمة عليهم السلام

وتبدأ هذه المرحلة من إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وحتى استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ونظراً للصبغة الثقافية للنهضة الإسلامية والتزام أهل البيت عليهم السلام بالحفاظ على الشريعة الإسلامية، فقد قاموا مع بروز حركات رجعية غريبة على الثقافة الإسلامية، ووقوع مؤامرات من قبل أقطاب الجاهلية واستشهاد الواحد تلو الآخر من الأئمة عليهم السلام، بحركة علمية وفكرية وطيدة في المجتمع الإسلامي أضحت فيما بعد سنداً واقعياً للمرجعية الدينية في عصر الغيبة.

لقد وضعت في عهد أئمة أهل البيت عليهم السلام اللبنة الأولى لمدرسة فكرية تنتهج خطهم عليهم السلام بغية الحفاظ على المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وقد سقوا بذرتها من نعيم علومهم لتنضج في عصر الغيبة.

١. من مصنفات السيد حسن الصدر.

٢. من مصنفات آقا بزرك الطهراني.

٣. من آثار السيد محسن الأمين العاملي.

٤. من آثار الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري.

وتتلخص العناصر الأساسية لهذه المدرسة في ثلاثة، هي:

١. المواد العلمية والفكرية.

٢. أسلوب التعليم والتربية، التحقيق والتكامل.

٣. إعداد شخصيات فذة.

فمعلمو هذه المدرسة هم الأئمة المعصومون عليهم السلام وتلامذتها شخصيات كبيرة، أمثال: «أبان بن تغلب»، و«أبي حمزة الثمالي»، و«محمد بن مسلم الطائفي»، و«زرارة بن أعين» و«جميل بن دراج النخعي»، و«يونس بن عبد الرحمن» وغيرهم والعلوم التي تدرس فيها، هي التفسير والفقه والأصول وسائر المعارف الإسلامية التي نقلها الرواة والأصحاب عن الأئمة عليهم السلام والتي دونوها وضبطوها في كتبهم بإرشاد منهم عليهم السلام، وبمرور الزمان دوّنت في الحديث مصنفات عديدة، تمّ على ضوئها إعداد جمع غفير من أصحاب أهل البيت عليهم السلام وظهرت شخصيات علمية مرموقة في العالم الإسلامي وبذلك حازت مدرسة فقهاء أهل البيت عليهم السلام على منزلة رفيعة في المجتمع الإسلامي، كما زودت بكافة الامكانيات في سبيل التقدم والتكامل.

ب) الفقه في عهد الغيبة الصغرى

في هذا الدور تعرضت الشيعة لمختلف المحن والضغوط، كما تلفت الكثير من كتبهم الحديثية، وقد بذلت جهود حثيثة بغية جمع الكتب الحديثية، وأول مجموعة حديثية صدرت للشيعة هي كتاب الكافي لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، حيث نقل فيه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يعادل أربعة أضعاف أحاديث الصحاح الستة لأهل السنة. ناهيك عن ذلك فقد قام بتعيين طبقة الرواة ومدى اعتبارهم، لمدّ الفقهاء بمعلومات دقيقة عنهم، تتأكد الحاجة إليها كلما ابتعدنا عن عصر حضور الإمام عليه السلام.

وقد تمّ أيضاً إعداد فهارس لتثبيت وضبط مدونات أصحاب الأئمة عليهم السلام، وإنشاء مدارس ومراكز علمية، دخل الفقه على أثرها مرحلة الاستدلال والاستنباط، ومن أهم

تلك المراكز:

١. مدرسة قم الفقهية لرواة الحديث.
٢. مدرسة بغداد الفقهية للمتكلمين وأتباع المنهج العقلي.

ج) الفقه في عهد الغيبة الكبرى

ظهرت في هذا الدور مدرسة الشيخ المفيد التي جمعت بين مدرستي قم وبغداد، وأخذت سيراً تصاعدياً منذ عهد الغيبة الكبرى وحتى يومنا هذا، وإزدادت نضجاً وتكاملاً وعطاءً.^١

وخلف الشيخ المفيد تلميذاه السيد المرتضى والشيخ الطوسي اللذان أسسا مدرسة الفقهاء الأصولية، وقد أدخل الشيخ الطوسي الفقه مرحلة جديدة بفضل الأفكار البكر التي لم يسبقه إليها أحد، وترك تصانيف علمية قيمة في مختلف الأصعدة.

كما تمكن الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي من إخراج المرجعية الشيعية من الإنزواء والعزلة، وكان لهم القدر المعلن في الإحاطة بالفقه والكلام والتفسير والمباني العلمية لأهل السنة، مما أتاح لهم فرصة الجلوس على كرسي الكلام والفقه في بغداد، وقد انتالت عليهم وفود الطلاب من سائر المذاهب، ورغب في مجلسهم كل محب للمعرفة، تَوَاق إليها.

ومن الواضح إن هذا الوضع لم يدم طويلاً، فإنَّ الفتن والاضطرابات السياسية أجبرت الشيخ الطوسي على الهجرة إلى مدينة النجف الأشرف التي تحولت إلى مركز فقهى للشيعية فيما بعد.

وقد عُهدت إلى المرجعية الدينية في ذلك العصر مهمة الإدارة العلمية والمالية

١. لمزيد من الإطلاع راجع: كتاب مقدمة للفقه الشيعي للدكتور السيد حسين المدرسي؛ وتاريخ التشريع الإسلامي للدكتور هادي الفضلي.

لمؤسسات التعليم الشيعية، وتعيين الوكلاء والقضاة، إلى جانب الافتاء والإجابة عن الاستفسارات التي ترد.

ومازال الفقه الشيعي في العصر الحاضر يواصل منهج الشيخ المفيد بخطوات حثيثة وحيوية وإزدهار.

١ - ٢) الحوزات العلمية ومراكز الفقه الشيعي في عصر الغيبة الكبرى

كانت بغداد مركزاً فقهياً في بداية الغيبة الكبرى، ثم انتقل إلى النجف الأشرف عام (١٤٤٨ هـ) بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها.

وبرزت حلب - إلى جانب النجف - كمركز فقهى بفضل الجهود التي بذلها سلال وهو من تلامذة السيد المرتضى، واستمر نشاطها حتى منتصف القرن الثامن، ومن أبرز فقهاء السيد «أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة» (المتوفى عام ٥٨٥ هـ) صاحب كتاب «الغنية».

وبعد أن آلت الحركة العلمية في حوزة النجف إلى الأفول والضعف عقب قرن من الزمن، بزغت نهضة فقهية في الحلة على يد «ابن أدریس الحلبي» حيث انتقلت الحوزة العلمية إليها، وظهر فيها فقهاء كبار أمثال: «المحقق الحلبي»، و«العلامة الحلبي»، اللذين أسسا دعائم مرحلة جديدة للفقه الشيعي بعد الشيخ الطوسي، ونقلوا الفقه الشيعي من حالة الركود إلى حالة النشاط والفاعلية والتكامل العلمي، وبذلك كتبوا البقاء للنهج الذي اختطه الشيخ المفيد.

ثم انتقل مركز الفقه الشيعي من الحلة إلى بلاد جبل عامل والشام، ومن أعلامها «الشهيد الأول» تلميذ «فخر المحققين» نجل العلامة الحلبي، و«الشهيد الثاني»، ودام المنهج الفقهي للشيخ المفيد في مدرسة جبل عامل التي جمعت مزايا مدرسة بغداد والنجف والحلة بفاعلية ونشاط، وكانت منشأ لبركات لاحصر لها، خاصة على الدولة الصفوية الشيعية والحوزة العلمية في «اصفهان» و«النجف الأشرف».

وقد تمّ بلورة مشروع الفقه السياسي الشيعي من قبل الشهيد الأول ومن بعده الشهيد الثاني، وكان بحد ذاته مشروعاً فريداً من نوعه في عالم التشيع، فقد كتب الشهيد الأول «اللمعة الدمشقية» وبعثه إلى زعيم دولة السربدارية ليتخذ كقانون لها، وكانت صياغة هذه النظرية الفقهية والسياسية من جملة أسباب استشهاد هذا الفقيه الكبير عام (٧٨٦هـ).^١

يقول الشهيد المطهري حول دور فقهاء جبل عامل في رسم الخط العام للدولة الصفوية الشيعية والحوزة العلمية في إيران:

«لقد كان لفقهاء جبل عامل دور مهم في رسم المنهج العام لإيران الصفوية؛ ذلك لأنّ زعماءها قد جنحوا إلى مسلك الدراويش وطووا فيه مراتب عالية، وسرعان ما طرأ تعديل على هذا المسلك بواسطة المنهج الفقهي العميق لفقهاء جبل عامل، ولولا الجهود التي بذلها هؤلاء الفقهاء المتمثلة بتأسيس حوزة فقهية في إيران، لآل أمر الصفوية إلى نفس المصير الذي آلت إليه العلوية في الشام أو تركيا، وعليه يمكن أن نجمل دورهم بما يلي، أولاً: صيانة المنهج العام للدولة والشعب من الانحراف، ثانياً: إضفاء التعديل على العرفان والتصوف الشيعي، ومن هنا فقد كان لفقهاء جبل عامل، كـ «المحقق الكركي» و «الشيخ البهائي» فضل كبير على شيعة إيران».^٢

وقد تزامن ذلك مع إحياء حوزة النجف على يد «المحقق الأردبيلي» وسائر الفقهاء، وما زالت تواصل نشاطها حتى يومنا هذا.

وكانت بلدة قم مركزاً فقهياً اشتهر - إلى جانب بغداد - في القرون الأولى، ومن أبرز فقهاءها «ابن بابويه» و «محمد بن قولويه»، كما أعيد إحيائها مرة ثانية في عهد القاجارية على يد «الميرزا أبو القاسم القمي» صاحب «القوانين»، وثالثة عام (١٣٤٠ هـ) على يد

١. راجع: محاضرة الشهيد الصدر تحت عنوان «المحنة».

٢. الخدمات المتقابلة بين إيران والإسلام، ج ٢، ص ١٢٥ - ١٢٦.

الشيخ «عبد الكريم الحائري اليزدي».

وتُعد «النجف» و«قم» الآن مركزين فقهيين كبيرين للشيعة.^١

وبعد انتصار الثورة الإسلامية العظيمة في إيران والحملات المسعورة التي قادها حزب البعث على الحوزة العلمية في النجف الأشرف والتي انتهت باستشهاد كوكبة من علمائها وهجرة العديد من طلابها إلى إيران، انتقل مركز ثقل النشاط الفقهي الشيعي إلى قم المقدّسة، وعلى الرغم من وجود علماء كبار في حوزة النجف الأشرف إلا أنّها لاتجاري نشاط وفاعلية حوزة قم في الوقت الحاضر.

٢. الجهاد السياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى

يمكن ان نلخص الجهاد السياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى، بما يلي:

الأول: خلفيات النشاط السياسي

الثاني: مراحل النشاط السياسي.

الأول: خلفيات النشاط السياسي

أ) داخل إطار حدود الدولة الإسلامية، وتتلخص في مقارعة الاستبداد السياسي للحكام المسلمين و غير المسلمين، عبر النشاطات التالية:

١. دعوة الأمة الإسلامية و الشيعة إلى المشاركة في المسرح السياسي عن طريق الإرشاد والتبليغ، وتأسيس الحركات الإسلامية وتوجيهها نحو الجهاد ضد الاستبداد والظلم الداخلي، وإجهاض مقولة فصل الدين عن السياسة، والمطالبة بالحقوق السياسية المسلوبة عن الأمة الإسلامية.

٢. الجهاد المباشر وغير المباشر ضد الحكام عن طريق كشف الانحراف والزيغ، والتداعيات الفكرية والاخلاقية والفردية والاجتماعية لغصب الخلافة وتسلط

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٥، وقد أُلّف هذا الكتاب قبل وقوع الثورة الإسلامية في إيران.

- الطواغيت على مقدرات الامة، وارشاد ودعم النهضات الاسلامية التحررية.
٣. الحفاظ على وحدة الكلمة عن طريق تبليغ اهمية الوحدة ومواجهة اي دعوة مغرضة تدعو إلى التفرقة من قبل الجماعات الاصولية المتطرفة.
٤. الحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع والأصالة الفكرية للمسلمين من خلال إعداد علماء واعين ومحققين، ونشر العلم والمعرفة، وتأسيس الحوزات العلمية في سائر نقاط العالم الإسلامي.
٥. مواجهة الانحرافات الفكرية والأخلاقية التي تعمل على تبرير سياسة الحكام الظلمة.

ب) خارج إطار حدود الدولة الإسلامية وتتلخص في مواجهة الهيمنة الأجنبية والاستعمارية، عبر المواقف التالية:

١. الوقوف أمام النفوذ الأجنبي والغزو الثقافي.
٢. الحضور الفعال في ساحات الجهاد المسلح^١ لدرحر الهجوم الاستعماري العسكري.
٣. الوقوف بوجه السلطة السياسية والاقتصادية للإستعمار.
٤. مناهضة الدعوات التي تنادي بالتشتت والتفرق وتجزئة العالم الإسلامي.
٥. الجهاد ضد الإستعمار والاستكبار العالمي، وتمريغ أنوفهم في التراب، وإبطال أسطورة القوى العظمى التي لا تقهر.

الثاني: مراحل النشاط السياسي

لقد اجتازت الشيعة طيلة أربعة عشر قرناً من الجهاد السياسي المتواصل من أجل سيادة الإسلام واستقرار نظامه السياسي، اجتازت ثلاث مراحل هي:

١. نظير مشاركة آية الله السيد محمد سعيد الحنّوبي، وآية الله الكاشاني في جهاد الشعب العراقي ضد الانجليز.

الاولى: مرحلة التقية وإنشاء تنظيمات سياسية سرية بغية الكفاح ضد الطواغيت والظلمة.

الثانية: مرحلة الجهاد السياسي العلني غير الهادف إلى تشكيل نظام سياسي إسلامي.

الثالثة: مرحلة الجهاد السياسي العلني بهدف تشكيل نظام سياسي إسلامي.

وفي كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث كانت الحركات السياسية متزامنة مع الكفاح المسلح تارة، و غير متزامنة معه أخرى، وكان الكفاح إيجابياً أحياناً، وسلبياً أحياناً أخرى.

الكفاح غير المسلح، مثل: الاحتجاج والمناظرة وتبليغ الحقائق والكشف عن الوقائع المروية وكشف النقاب عن الانحرافات وأخطاء المسؤولين أو تجاوزات المستعمرين، وأيضاً يمكن أن يندرج تحت هذا النوع من الجهاد تأسيس تنظيمات تعمل على نشر ثقافة الاعتراض والجهاد والدعم غير المباشر للكفاح المسلح. والكفاح المسلح، نظير: تأسيس نهضة ثورية مسلحة، وقيادتها وحمايتها بصورة مباشرة.

٣. مدعو المهديّة والبايية

المهديّة بمعنى ادعاء شخص أنّه المهدي الموعود والإمام المنتظر، والبايية لغة البوّاب والحاجب، واصطلاحاً السفير والوكيل والنائب الخاص للإمام المهدي. وطبقاً لعقائد المذهب الشيعي الإمامي، والروايات العديدة من صحاح أهل السنة فإنّ في آخر الزمان سيظهر المهدي من آل محمد ﷺ، نظير ما روي عن النبي ﷺ، أنّه قال: «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»^١. وقال أيضاً:

١. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٨٥-١٠٤؛ سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣١٠، ح ٤٢٨٣.

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي....^١

وقد بلغت الروايات الواردة حول المهدي الموعود على لسان رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ في كتب الفريقين من الكثرة بحيث تعذر إنكارها أو التشكيك فيها. وقادت كثرة الروايات الواردة حول المهدي ﷺ عن النبي ﷺ والعترة الطاهرة ﷺ إلى اعتقاد كافة المذاهب الإسلامية بهذه الحقيقة.

وقد بينت الروايات خصوصيات المهدي الموعود وأنه نجل الإمام الحسن العسكري ﷺ وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ﷺ وصاحب الغيبتين الصغرى والكبرى.

لكن بعض الفرق والمذاهب الإسلامية أساءت استغلال هذه العقيدة، من خلال تطبيق فكرة المهدي الموعود على شخص معين من نحلته، أو ادعاء المهدوية كذباً وزوراً من قبل بعض من سوّلت لهم أنفسهم ذلك، كما الصق بعض الجهال المهدوية بعظماء، أمثال:

١. محمد بن الحنفية نجل علي ﷺ.
 ٢. محمد بن عبد الله بن الحسن نجل الإمام الحسن ﷺ.
 ٣. زيد بن علي بن الحسين نجل الإمام السجاد ﷺ.
 ٤. الإمام جعفر الصادق ﷺ.
 ٥. الإمام موسى الكاظم ﷺ.
 ٦. إسماعيل بن جعفر النجل الآخر للإمام الصادق ﷺ.
 ٧. الإمام الحسن العسكري ﷺ.
- وقد ادّعى بعض الطغاة، كالمهدي العباسي وأبي مسلم الخراساني وغيرهم المهدوية.^٢

١. سنن أبي داود، ح ٤٢٨٢. ٢. راجع: الملل والنحل للشهرستاني؛ و فرق الشيعة للنوبختي.

وهذا الإدعاء نفسه صدر من بعض المحتالين، وسوف نكتفي بالإشارة إلى أسماء بعضهم ونحيل التفصيل إلى الكتب المختصة بهذا الموضوع.

١. عبيد الله بن محمد الفاطمي (٢٥٩ - ٣٢٢ هـ).^١

٢. الحاكم بأمر الله، من الخلفاء الفاطميين في مصر (٣٨٦ هـ).^٢

٣. محمد بن تومرت (٤٨٥ - ٥٢٤ هـ).^٣

٤. التهامي (١١٥٩ هـ).^٤

٥. بابا إسحاق (٦٣٧ هـ).^٥

٦. عباس الريفى (٦٩٠ - ٧٠٠ هـ).^٦

٧. المهدي السوداني (١٢٦٠ - ١٣٠٤ هـ).^٧

٨. المرزا محمد علي باب (١٢٣٥ - ١٢٦٦ هـ).^٨

٩. المرزا غلام أحمد القادياني (١٢٥٥ - ١٣٢٦ هـ).^٩

١. راجع: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٤٦.

٢. راجع: تاريخ الأديان والمذاهب، مبلغي، ج ٣، ص ١١١٤.

٣. راجع: معجم دهخدا، ص ١٩٣٧.

٤. راجع: حياة الإمام محمد المهدي (عج)، باقر شريف القرشي، ص ١٤٤.

٥. راجع: منبع، ص ١١١٨. ٦. المصدر السابق، ص ١١١٥.

٧. راجع: حياة الإمام محمد المهدي (عج)، ص ١٣٩ - ١٤٣.

٨. راجع: دائرة المعارف، مصاحب، ص ٣٥٦.

٩. المصدر السابق، ص ١٩١٥ - ١٩١٦.

الخلاصة

أخذت الشيعة منذ أوائل القرن الرابع وحتى أواخر القرن الخامس تتنفس الصعداء مع ظهور دول شيعية ثورية كآل بويه والفاطمية والحمدانية والعلوية، وتعلن عن عقائدها وأفكارها.

ولم تواجه ضغوطاً تذكر في القرنين: السادس والسابع اللذين شهدا حملة المغول على العالم الإسلامي واستمرار الحروب الصليبية.

وإزداد نفوس الشيعة في القرنين الثامن والتاسع نظراً لتشيّع بعض سلاطين المغول في إيران وقيام المرعشية في مازندران، والسربدارية في خراسان، و تجد في هذه الفترة حضوراً واسعاً للشيعة في معظم البلدان الإسلامية لاسيما إيران.

وفي مطلع القرن العاشر، تم إعلان المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للبلاد من قبل الدولة الصفوية، وظل كذلك مع توالي دول أخرى كالزندي والقاجارية والنهضة الدستورية، وأصبحت إيران والعراق في القرون الخمسة الأخيرة مركزين للشيعة في كل العالم حيث تأسست فيهما الحوزات العلمية وتمركزت فيهما المرجعية الشيعية.

وقد شهد بداية القرن الخامس عشر الهجري استقرار الحكومة الإسلامية في عصر الغيبة، بقيادة فقيه عارف وعادل وشجاع بعد جهاد طويل ضد الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي، وغدت هذه الحكومة محط أنظار كافة المسلمين في العالم في عصرنا الحاضر ومعقد آمالهم.

الأسئلة

١. قارن بين وضع الشيعة في القرن الرابع الهجري مع وضعها في القرنين: الثاني والثالث؟

٢. ماهي المنافع التي جلبتها الدول الشيعية الثورية للثقافة والحضارة الإسلامية؟

٣. في ظل أي ظروف تسلمت الدولة الصفوية مقاليد الحكم؟
٤. ما هي أهم مزايا النهضة الإسلامية في القرن الأخير لاسيما نهضة الإمام الخميني؟
٥. ما هي الخطوط العامة للجهاد الفكري والسياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة؟
٦. ما هي أبرز خصوصيات الحوزات الفقهية للشيعة؟
٧. ما هي خلفيات النشاط السياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى؟
٨. بين مراحل النشاط السياسي لعلماء الشيعة في عصر الغيبة الكبرى؟

للبحث والتحقيق

١. من هم علويو طبرستان؟ اكتب عن أسباب ظهور دولتهم وإنقراضها.
٢. لماذا إنقرضت دولة آل بويه الشيعية، وكيف؟
٣. اكتب عن النشاط الفكري والعلمي لفقهاء الشيعة في قرنين من قرون الغيبة الكبرى.
٤. اكتب عن النشاط السياسي والاجتماعي لمراجع الشيعة في كل قرن من قرون الغيبة الكبرى.

مصادر البحث

١. الشيعة في الإسلام، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.
٢. تاريخ الشيعة، محمد حسين المظفر.
٣. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدام متز.
٤. تاريخ التشيع في إيران حتى القرن العاشر الهجري، رسول جعفریان.
٥. الخدمات المتقابلة بين الإسلام وإيران، مرتضى المطهري.
٦. الوصية الإلهية والسياسية للإمام الخميني (قدس سره).

٨

سيرة الإمام المهدي عليه السلام وآثاره

ختامه مسك

يمكن استخلاص موضوعات متعددة من سيرة الإمام المهدي عليه السلام وآثاره، نشير إليها بنحو موجز تحت عنوان «ختامه مسك».

١. سيرته

يمكن مطالعة سيرة الإمام المهدي وسلوكه من جهتين: الأولى في عصر الغيبة والثانية في عصر الظهور، ويمكن أن تكون هذه السيرة نموذجاً جيداً، فمن المناسب الإشارة إليها.

أ) عصر الغيبة

ثمة مهام للإمام منها الإمامة والهداية، والحفاظ على المسلمين والشيعة، وتوفير الأرضية الخصبة للثورة العالمية، وقد قام الإمام بهذه المهام على أحسن وجه، أما غيرها من المهام التي يتوهم أنها لا تنسجم مع الغيبة فقد كانت محط اهتمام الإمام عليه السلام، فهو وكما ورد في الحديث: «الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبت عن

الأبصار السحاب»^١.

يطلق عادة على الإمام بالغائب؛ لأنه ليس بظاهر، لأنه ليس بحاضر، فالغيبة بمعنى عدم الحضور تهمة رخيصة توجه إليه ﷺ بزعم غياب أي فرق بين الظهور والحضور، ومجىء الإمام ﷺ بمعنى الظهور لا الحضور، وأتباعه يطلبون من الله ظهوره لا حضوره، وحينما يظهر تُعض الأصابع من الحيرة والتعجب نظراً لمشاهدته في أوساطهم من ذي قبل.

ويمكن من أجل الإطلاع على سيرة الإمام ﷺ في عصر الغيبة الرجوع إلى بعض الروايات والأدعية والزيارات والتوقيعات والكتب التي كتبها إلى بعض الشيعة أو إلى الأخبار المنقولة بشكل متواتر عن أشخاص موثوق بهم تشرفوا برؤيته. والشئ البارز في كل هذه الأدعية والتوقيعات هو العناية الخاصة للإمام ﷺ بشيعته والمصائب التي حلت بهم في عصر الغيبة، وإليك بعض النكات المستخلصة من هذه النصوص:

١. الإطلاع على أحوال الشيعة وأوضاعهم

جاء في التوقيع الوارد عن الشيخ المفيد: «فإننا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم»^٢.

٢. إنقاذ الشيعة من المحن وشر الأعداء

وورد في التوقيع نفسه: «إننا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء وأصطلمكم الأعداء»^٣.

١. بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٨١؛ «السحاب كناية عن خفاء هذه الشخصية، والشمس كناية عن تأثيره البالغ على المجتمع الإنساني» تاريخ الغيبة الكبرى، محمد الصدر، ص ٥١.
٢. الاحتجاج، الطبرسي، ص ٥٩٦.
٣. نفس المصدر.

٤. رفع المصائب والبلاء قد يتم بصورة مباشرة من طرف الإمام ﷺ أو عن طريق وسائط من الخواص

ومن جملة هذه الموارد إنقاذ أهل البحرين من يد عملاء الإستعمار، حيث طرح رئيس الوزراء خطة يعامل بموجبها الشيعة ككفار حرب من أهل الكتاب، فأما إن يدفعوا الجزية وهم صاغرون، وأما أن يُقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم وأطفالهم، وكان للإمام عليه السلام دور هام في إجهاض هذه الخطة المشؤومة.^١

٣. حضور الإمام في أوساط الناس

...إن يكون صاحبكم المظلوم، المجحود حقه، صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه....^٢

وقد ورد في حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

فورب علي أن حجتها عليها قائمة، ماشية في طرقاتها، داخله في دورها وقصورها، جولة في شرق الأرض وغربها، تسمع الكلام وتسلم على الجماعة، ترى و....^٣

٤. الحضور الدائم في مراسم الحج

«يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه».^٤

٥ و ٦. من جملة الأعمال التي يقوم بها الإمام عليه السلام في عصر الغيبة

هي مساعدة المحتاجين وإرشاد الضالين وشفاء المصابين بأمراض مستعصية،

→ أو بواسطة دعائه عليه السلام (تاريخ الغيبة الكبرى، محمد الصدر، ص ١٥٣) وكما نعلم إن الإمام (عج) كان مستجاب الدعوة (أين المضطر الذي يجاب إذا دعا) «دعاء النوبة».

١. النجم الثاقب، ص ٣١٤؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٧٨؛ منتهى الأمل، ج ٢، ص ٣١٦.

٢. الغيبة، النعماني، ص ٨٤ (باب أن في القائم سنة من الأنبياء)؛ الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠؛ بحار الأنوار،

ج ٥١، ص ١٥٤؛ مكيال المكارم، ج ٢، ص ٣٧٥. ٣. الغيبة، النعماني، ص ٧٢.

٤. كمال الدين، ج ٢، ص ٤٤٠.

والنصيحة والدعاء للمؤمنين، والمشاركة في مراسم تشييع بعضهم، وحل المشاكل العلمية العويصة، التنبؤ بوقوع بعض الحوادث المهمة،^١ وإرشاد الأفراد باطنياً،^٢ كل هذا سواء عُرف أم لم يُعرف، وسواء قام بها مباشرة أو من قبل بعض الخواص.

ب) عصر الظهور

١. السيرة التربوية والاخلاقية

«إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم»^٣

«تؤتون الحكمة في زمانه».^٤

«يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه والولاية لعلي بن أبي طالب والبراءة من عدوه».^٥

«وفي أيام دولته تطيب الدنيا وأهلها».^٦

٢. السيرة الاجتماعية

«يملاًها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً».^٧

«فيرىكم كيف عدل السيرة».^٨

«ويذهب الزنى وشرب الخمر ويذهب الربا، ويقبل الناس على العبادات وتؤدى الأمانات،

١. لذكر نماذج من كل منها راجع: تاريخ الغيبة الكبرى، الشهيد محمد الصدر، ص ١٢٢ - ١٣٠.

٢. للعلامة الطباطبائي بحث عميق بشأن فلسفة حضور الإمام الغائب في المجتمع، حيث يقول: كما أن الإمام زعيم وقائد الناس إلى ظاهر الأعمال، فهو أيضاً كذلك إلى باطنها، فهو مرشد القافلة الإنسانية التي تسير باطناً نحو الله. انظر الشيعة في الإسلام، العلامة الطباطبائي، ص ١٨٣ - ١٨٧.

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦؛ منتخب الأثر، ص ٤٨٢، وقد ورد في كمال الدين، ج ٢، ص ٦٧٥، وبحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨، بدل أخلاقهم، أحلامهم، وقد روي عن الباقر عليه السلام في أصول الكافي،

ج ١، ص ٢٤، أنه قال: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم».
٤. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٢. ٥. إلزام الناصب، ص ١٧٧.

٦. يوم الخلاص، ج ٢، ص ٦٥٠. ٧. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٣٢.

٨. نهج البلاغة، خ ١٣٨.

وتهلك الأشرار وتبقى الأخيار».^١

«أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم، كما يدخل الحرّ والقُر».^٢

٣. السيرة السياسية

«إذا قام القائم ذهب دولة الباطل».^٣

«إذا قام القائم لا تبقى أرض إلّا نودي فيها شهادة أن لا إله إلّا الله وإن محمداً رسول الله».^٤

«ليس شأنه إلّا السيف».^٥

«اللهم نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله».^٦

٤. السيرة الاقتصادية

«تنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتني الأرض أكلها ولا تدخر منهم شيئاً والمال يومئذ

كدوس، يقوم الرجل فيقول: يامهدي أعطني فيقول خذ...».^٧

«ويذهب الربا».^٨

٥. السيرة العلمية

«العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير

الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس وضمّ إليها الحرفين حتى

يبثّها سبعة وعشرين حرفاً».^٩

«.....ولأسخرنّ له الرياح، ولأذللنّ له الرقاب الصعاب ولأرقينّه في الأسباب».^{١٠}

١. منتخب الأثر، ص ٤٧٤. ٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٦٢. ٣. الكافي، ج ٨، ص ٢٧٨.

٤. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٤٠.

٥. الغيبة، النعماني، ص ٢٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٤؛ وراجع خورشيد مغرب، محمد رضا

الحكيمي، ص ٣٨. ٦. مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح.

٧. سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٦٦؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٨٨. ٨. منتخب الأثر، ص ٤٧٤.

٩. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

١٠. كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٧ (وقد ورد في ص ٣٢١ عن الإمام الباقر عليه السلام

أنّه قال: «ويرقن في الأسباب»، وراجع: خورشيد مغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ٣٩.

٦. السيرة القضائية

«يقضي بقضاء داود وسليمان لا يسأل بينة».^١

«...يحكم بين أهل التوراة بالتوراة وبين أهل الإنجيل بالإنجيل وبين أهل الزبور بالزبور وبين أهل القرآن بالقرآن».^٢

٧. سيرة إحياء السنن

«ويحيي ميّت الكتاب والسنة».^٣

«سميت الله به كل بدعة ويمحو كل ضلالة ويحيي كل سنة».^٤

٨. السيرة النبوية والعلوية

«يسير فيهم بسيرة رسول الله ويعمل بينهم بعمله».^٥

«يسير بسيرة رسول الله ولا يعيش الا عيش أمير المؤمنين».^٦

«المهدي يقفو أثري لا يُخطيء».^٧

٩. السيرة الذاتية

«فوالله ما لباسه إلا الغليظ ولا طعامه إلا الجشب».^٨

«ويشترط على نفسه لهم: أن يمشي حيث يمشون ويلبس كما يلبسون، ويركب كما يركبون، ويكون من حيث يريدون ويرضى بالقليل ويملأ الأرض بعون الله عدلاً كما ملئت جوراً، يعبد الله حق عبادته، ولا يأخذ حاجباً ولا بواباً».^٩

١. بشارة الإسلام، ص ٢٤٠ و ٢٥٩.

٢. الغيبة، النعماني، ص ١٢٥.

٣. نهج البلاغة، خ ١٣٨.

٤. الكافي، ج ١، ص ٤١٢.

٥. الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٣٩١؛ سفينة البحار، ج ٢، ص ٧٠٥.

٦. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٧٧؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٤.

٧. منتخب الأثر، ص ٤٩١.

٨. الغيبة، النعماني، ص ١٢٢؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٤.

٩. منتخب الأثر، ص ٤٦٩.

١٠. السيرة الإدارية

«يكون من الله على حذو لا يفتّر بقرابة، ولا يضع حجراً على حجر».^١

«المهدي سمح بالمال، شديد على العمال، رحيم بالمساكين».^٢

«يفرق المهدي أصحابه في جميع البلدان ويأمرهم بالعدل والإحسان ويجعلهم حكاماً في الأقاليم ويأمرهم بعمران المدن».^٣

«فيستشير المهدي أصحابه».^٤

«يعطف الهوى على الهدى، إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي... يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوئ أعمالها... فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة».^٥

٢. الآثار

رغم الحضور المحدود والفترة القصيرة التي قضاها الإمام عليه السلام في كنف أبيه، والمضايقات الكثيرة التي تعرض لها في عصر الغيبة، فلا ينبغي أن نتوقع مطالب كثيرة عن الإمام عليه السلام، ورغم كل ذلك فثمة آثار محدودة خلفها، تعد بعضها في غاية الأهمية، فمن آثاره:

١. الروايات والاحتجاجات

هذه الروايات تعود إلى الفترة القصيرة التي قضاها في حجر أبيه عليه السلام.^٦

١. الملاحم والفتن، ص ١٠٨. ٢. الملاحم والفتن، ص ١٣٧؛ الحاوي للفتاوي، ج ٢، ص ١٥٠.

٣. الإمام المهدي، ص ٢٧١. ٤. إلزام الناصب، ص ٢٠١. ٥. نهج البلاغة، خ ١٣٨.

٦. مثل رواية: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم» (الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٥٤٣).

٧. راجع: كمال الدين، ج ٢، ص ٤٥٤ - ٤٦٥، ح ٢١؛ الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٥٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٨٦.

٢. الأدعية والصلوات

الدعاء هو علاقة حب عميق بين الإنسان وربه، وفي الأدعية التي وصلتنا عنه، طرحت مضامين رفيعة ومتعددة، مضامين نظير: معرفة الله، والمقام الشامخ لأهل البيت عليه السلام، ومقام صاحب الزمان عليه السلام والقيامة، وانتظار الفرج، ووظائف المؤمنين في عصر الانتظار، وانتصار الحق على الباطل، والصبر على الشدائد، ورفع المصائب عن المؤمنين، والدعاء في حق النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وقضاء الحوائج، والعديد من المسائل الأخلاقية،^١ وقد نقلت عنه صلوات عديدة إلى جانب الأدعية.^٢

٣. الزيارات

ثمرة الزيارة هي معرفة الإمام، وتوثيق العلاقة بين الإنسان والإمام عليه السلام، وقد نسب للإمام عليه السلام في الزيارات معارف رفيعة لمعرفة الإمام، وشأنه ورتبته ووظائفه وواجبات المؤمنين تجاه بعضهم البعض، وأيضاً ورد فيها بعض الحقائق وتاريخ الأئمة عليهم السلام.^٣

١. للمزيد من الإطلاع، راجع: صحيفة المهدي (عج)، جواد القيومي الأصفهاني؛ الصحيفة المهدية، السيد مرتضى المجتهدى، وإليك نص دعاء من أدعية الإمام (عج):
«اللهم أرزقنا توفيق الطاعة وبعّد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة، وإكرامنا بالهدى والاستقامة، وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة وطهر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفف أيدينا عن الظلم والسرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة.

وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإقامة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفة.
وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة، وعلى الغزاة بالنصر والغلبة، وعلى الإسرء بالخلاص والراحة، وعلى الأمراء بالعدل والشفقة، وعلى الرعية بالإنصاف وحسن السيرة. وبارك للحجاج والزوار في الزاد والنفقة، واقض ما أوجبت عليهم من الحج والعمرة بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين. (مصباح الكفعمي، ص ٢٨١).

٢. راجع: الصحيفة المهدية، السيد مرتضى المجتهدى، ص ١٢٧ - ١٥٢.

٣. المصدر السابق؛ بحار الأنوار، ج ١٠٢، ص ١٩٥ و ٢١٢؛ ج ١٠١، ص ٣١٧ و ج ٩٤، ص ٣٦.

٤. التوقيعات

كتب الإمام عليه السلام توقيعات عديدة لبعض نوابه الخاصين^١ (النواب الأربعة)، أو نوابه العامين (كالشيخ المفيد^٢) أو بعض أتباعه،^٣ وعدد من هذه التوقيعات كان أجوبة للاستفسارات،^٤ وبعضها صدر عن الإمام بمبادرة منه، وتضم هذه الكتب مسائل متعددة ومختلفة، مثل: الأسئلة والأجوبة الفقهية، ودور الإمام في عصر الغيبة، وبعض التحذيرات والتنبؤات، وتأيد أو تكذيب بعض الأشخاص، ووظائف المنتظرين ومرجعية الفقهاء في عصر الغيبة و...^٥

١. راجع: الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٥٣٥ و ٥٤٢.
٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٩٦.
٣. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٩٤، ٢٩٧ و ٢٩٩.
٤. الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٥٥٧.
٥. لمزيد من الإطلاع على توقيعات الإمام (عج) راجع: يوم الخلاص، ج ٢، ص ١٢٨٥، وإليك نص الكتاب الذي بعثه الإمام (عج) إلى الشيخ المفيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين، ونعلمك - أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق - أنه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك ما تؤديه عنا إلى مولينا قبلك، أعزهم الله بطاعته، وكفاهم المهم برعايته لهم وحراسته، فقف - أيدك الله بعونه - على أعدائه المارقين من دينه على ما أذكره وأعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما ترسمه إن شاء الله.

نحن وإن كنا نأوين بمكاننا الثاني عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون إننا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتقوا الله جل جلاله، وظاهرنا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنه من أدرك أمله وهي إمارة لأزوف حركتنا ومباثنتكم بأمرنا ونهينا والله متم نوره ولو كره المشركون.

وقد خلف الإمام عليه السلام - إضافة إلى التوقيعات - كلمات متعددة في مسائل مختلفة، نقلها الذين تشرفوا برؤيته، وقد نقل محمد بن عثمان العمري (ثاني سفير للإمام)، إنه قال: عليه السلام «آخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: اللهم انجز لي ما وعدتني، ورأيت متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار، وهو يقول: اللهم انتقم بي من أعدائك»^١.

→ اعتصموا بالنقية من شب نار الجاهلية يحششها عُصب أموية بهول بها فرقة مهدية أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن وسلك في الطعن منها السيل المرضية. إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه.

ستظهر لكم من السماء آية جليلة، ومن الأرض مثلها بالسوية، ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق ويغلب من بعد علي العراق طوائف عن الإسلام مراق، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق. ثم تنفجر الغمة من بعد بوار طاغوت من الإشرار ثم يستر بهلاكه المتقون الأخيار، ويتفق لمريدي الحج من الآفات ما يؤملونه منه على توفير عليه منهم واتفاق ولنا في تيسير حجهم على الأخيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتساق. فليعمل كل أمرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ويتجنب ما يدينه من كراهتنا فإن أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة.

والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته» (الاحتجاج، ج ٢، ص ٥٩٦).
ومما يجدر ذكره قد صدر للشيخ المفيد توقيعان، أحدهما عام ٤١٠ هـ والآخر عام ٤١٢ هـ وما جاء هنا هو التوقيع الأول.

١. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٥١ و ج ٥٢، ص ٣٠؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ١٥١؛ منتخب الأثر، ص ٣٥٩.

الخلاصة

وردت أخبار كثيرة عن سيرة الإمام عليه السلام وآثاره.

وسيرة الإمام المهدي عليه السلام جديرة بالاهتمام من زاويتين: عصر الغيبة وعصر الظهور. فالإمام في عصر الغيبة له حضور بين الناس ومعرفة باحوالهم، ينقذهم إذا اقتضت الحاجة. وله في عصر الحضور سيرة تربوية وأخلاقية وإدارية، ولا بد من العناية بها باعتبارها أسوة حسنة ومثلاً أعلى يقتدى به.

وقد ترك الإمام آثاراً متعددة رغم المضايقات الكثيرة التي تعرض لها، ومن جملة هذه الآثار: الادعية والتوقعات التي تحتوي على مطالب عميقة جديرة بالعناية.

الأسئلة

١. اذكر موردين من سيرة الإمام المهدي عليه السلام بالنسبة إلى شيعته في عصر الغيبة.

٢. اذكر نماذج من سيرة الإمام المهدي عليه السلام الادارية.

٣. ما هي المضامين المطروحة في الادعية المنسوبة اليه عليه السلام؟

للبحث والتحقيق

١. اكتب تقريراً عن حادثة البحرين ودور الإمام عليه السلام في انقاذ الناس.

٢. اذكر لكل سيرة من سير الإمام عليه السلام روايات اخرى من المصادر الروائية.

٣. ما هو الدعاء الذي ينشرح اليه قلبك من الادعية المنسوبة اليه عليه السلام واذكر تفسيراً له.

٤. انقل بعض الكلمات الصادرة عن الإمام عليه السلام من الكتب، ثم اشرحها.

٥. ابحث حول سند دعاء الندبة، واستخرج مقتطفات منه تتعلق بسيرة الإمام عليه السلام.

٦. اكتب شرحاً لدعاء العهد.

٧. اذكر النقاط المهمة في التوقيع الثاني لصاحب الزمان عليه السلام إلى الشيخ المفيد.

٨. اكتب بحثاً عن كتاب الجزيرة الخضراء للسيد مرتضى العاملي.

٩. اكتب بحثاً عن خصوصيات اصحاب الإمام المهدي عليه السلام على ضوء الروايات.

مصادر البحث

١. بحار الأنوار، ج ٥٢ و ٥٣.
٢. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، آية الله الصافي الغلبايجاني.
٣. حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي.
٤. تاريخ الغيبة الصغرى، الشهيد السيد محمد الصدر.
٥. الإمام المهدي، علي محمد علي دخيل.
٦. يوم الخلاص، كامل سليمان.
٧. سيرة المهدي عليه السلام ودولته، مصطفى دلشاد الطهراني.
٨. خورشيد مغرب، محمد رضا الحكيمي.

تم والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر

١. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن الحر العاملي.
٢. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي، جامعة مشهد، ١٣٤٨ ش.
٣. أضواء على السنة المحمدية، محمود ابورية، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٤. أعيان الشيعة، سيد محسن امين العاملي، بيروت، ١٩٨٦ م.
٥. إقبال، سيد بن طاووس.
٦. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٣٣٩ هـ.
٧. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن نعمان التلعكبري البغدادي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط الثانية، ١٤١٦ هـ ق.
٨. الثورة الإسلامية و خلفياتها، عباس علي عميد زنجاني، منشورات كتاب سياسي، ط الخامسة، عام ١٣٧١ ش.
٩. أئمة الشيعة والحركات العقائدية، محمد تقي المدرسي، منشورات الصحن الرضوي المقدس، ط الثالثة، ١٣٧٢ ش.
١٠. الإمام المهدي عليه السلام، محمد علي الدخيل، دارالمرتبضي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ.
١١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
١٢. بحث حول سيرة النواب الاربعة للإمام عليه السلام (بالفارسية)، علي غفارزاده، منشورات نبوغ، قم، ١٣٧٥ ش.
١٣. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليه السلام، محمد بن حسن بن فروغ صفار القمي، منشورات مكتبة آية الله العظمى مرعشي نجفي.
١٤. بين الخلفاء والخلافة، الدكتور منجد، صلاح الدين، ط الثالثة، بيروت، دارالكتاب الحديث، ١٩٨٠ م.
١٥. تأريخ أديان ومذاهب جهن، عبدالله مبلغى آباداني، منشورات منطق (سينا)، قم، ط الأولى، ١٣٧٣ ش.

١٦. تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، الدكتور حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، ط السابعة، بيروت، ١٩٦٤ م.
١٧. تاريخ الامم والملوك (تاريخ طبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، روائع التراث العربي.
١٨. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.
١٩. تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور عبدالهادي الفضلي، دار النصر، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م.
٢٠. تاريخ الخلفاء، جلال الدين سيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢ م.
٢١. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، الدكتور جاسم حسين، منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٧٦ ش.
٢٢. التاريخ العباسي (السياسي والحضاري) الدكتور إبراهيم أيوب، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩ م.
٢٣. تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر، دار التعارف للمطبوعات، ط الثانية، ١٤٠٠ هـ.
٢٤. تاريخ الغيبة الكبرى، محمد الصدر، دار التعارف للمطبوعات.
٢٥. تاريخ الفقه والفقهاء، الدكتور أبو القاسم گرجي، منشورات سمت، ١٣٧٥ ش.
٢٦. تاريخ ما بعد الظهور، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
٢٧. تاريخ البيهقي، أحمد بن أبي يعقوب (المعروف بابن واضح)، بيروت، دار صادر، ١٣٧٩ هـ.
٢٨. تجارب الأمم، ابن مسكويه، القاهرة، ١٩١٤ م.
٢٩. تنقيح المقال، المامقاني، النجف، المكتبة المرتضوية، ١٣٥٠ هـ.
٣٠. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، نجف، ١٩٨٥ م.
٣١. جامع الرواة، محمد بن علي الأردبيلي، ١٣٣٤ ش.
٣٢. حياة الإمام الكاظم عليه السلام، باقر شريف القرشي، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٣٦٨ ش.
٣٣. حياة الإمام علي الهادي عليه السلام، باقر شريف القرشي، قم، ط الثانية، ١٣٧٥ ش.
٣٤. حياة الإمام أبي محمد العسكري، باقر شريف القرشي.
٣٥. حياة الإمام العسكري، الشيخ محمد جواد الطبسي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط الثانية، قم، ١٣٧٤ ش.
٣٦. حياة الإمام محمد المهدي عليه السلام، باقر شريف القرشي، قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م.
٣٧. الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي، مكتب المنشورات الإسلامية.
٣٨. خدمات متقابل إسلام وإيران، الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري، مكتب المنشورات الإسلامية، قم، ط الثانية، ١٣٦٠ ش.

٣٩. خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، نجف، ١٩٦١م.
٤٠. الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية (٢٤٧-٣٣٤ هـ / ٨٦١-٩٤٦ م) الدكتور فاروق عمر، بغداد، منشورات مكتبة المثنى، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
٤١. خورشيد مغرب، محمد رضا حكيمى، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط السابعة، طهران، ١٣٧١ش.
٤٢. دائرة المعارف الفارسية، مصاحب.
٤٣. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت.
٤٤. دبستان مذاهب، كيخسرو اسفنديار، مكتبة طهوري، طهران، ١٣٦٢ ش.
٤٥. دعوى السفارة في الغيبة الكبرى، محمد سند، قم، مكتبة الداوري.
٤٦. دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، المطبعة الحيدرية.
٤٧. الدولة العباسية، محمد بك الخضري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
٤٨. الذريعة، آقا بزرگ تهراني، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٤٩. رجال الطوسي، الشيخ الطوسي، نجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٠ هـ.
٥٠. رسائل خوارزمي، مصر، المطبعة العثمانية، ١٣١٢ هـ.
٥١. سنن أبي داود، الحافظ أبو داود سليمان بن أشعث سبجستاني، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت.
٥٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٣. سيرة الأئمة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسني، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الأولى، ١٤١٤ هـ.
٥٤. الشيعة في الإسلام، العلامة سيد محمد حسين الطباطبائي، مكتب النشر الإسلامي، قم، ١٣٦٢ش.
٥٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٦. صحيفة المهدي عليه السلام، جواد قيومي الأصفهاني، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الأولى.
٥٧. صحيفة المهدي، سيد مرتضى مجتهدى، قم، دار الثقلين، ١٣٧٩ ش.
٥٨. عبدالرحمن الداخل في الإنذلس وسياسته الخارجية والداخلية، إبراهيم ياسر خضير الدوري، العراق، دار الرشيد، ١٩٨٢ م.
٥٩. العباسيون الأوائل، الدكتور فاروق عمر، ج ١، جامعة بغداد، الطبعة الثانية.
٦٠. عشر ثورات في الإسلام، الدكتور علي حسني الخربوطلي، بيروت، دار الآداب، ط الثانية، ١٩٨٧م.
٦١. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، دارالمعارف، مصر، ١٩٧٥ م.
٦٢. الغيبة، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط الثانية، ١٤١٧ هـ.
٦٣. الغيبة، الشيخ طوسي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ.
٦٤. الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران.

٦٥. الفخري، ابن طباطبا، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هـ.ق.
٦٦. فرق الشيعة، النوبختي، مركز المنشورات العلمية والثقافية، طهران، ١٣٦١ ش.
٦٧. فهرست أسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي)، النجاشي، قم، مكتبة الداوري.
٦٨. قاموس الرجال، العلامة التستري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٦٩. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دارالأضواء، بيروت.
٧٠. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
٧١. كشف الغمة في معرفة الأئمة عليه السلام، علي بن عيسى الأربلي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
٧٢. كشف المحجة، سيد ابن طاووس، النجف، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م.
٧٣. كلمة الإمام المهدي عليه السلام، سيد حسين شيرازي.
٧٤. كليات في علم الرجال، جعفر السبحاني، مركز ادارة الحوزة العلمية، قم، ١٣٦٦ ش.
٧٥. كمال الدين و تمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦ هـ.
٧٦. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت.
٧٧. المحنة، الشهيد السيد محمد باقر الصدر، منشورات ذوالفقار، قم، ط الأولى.
٧٨. مروج الذهب، المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دارالمعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ.
٧٩. مروج الذهب، المسعودي، نشر الشركة العالمية، بيروت.
٨٠. المسالك والممالك، ابن خرداذبه، أبو القاسم، عبيدالله، ليدن، ١٨٨٩ م.
٨١. مستدرک الوسائل، ميرزا حسن النوري، بيروت، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٨ هـ.
٨٢. مصباح الكفعمي، إبراهيم بن علي بن الكفعمي، منشورات إسماعيليان، قم.
٨٣. مصباح المتعبد وسلاح المتعبد، الشيخ الطوسي.
٨٤. مطلع العصر العباسي الثاني، (الاتجاهات السياسية والحضارية في خلافة المتوكل على الله، ٢٣٣ - ٢٤٧ هـ)، الدكتور نادية حسني صقر، دارالشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٨٥. المعارف، ابن قتيبة، أبي محمد، عبدالله بن مسلم، تحقيق ثروة عكاشة، منشورات الشريف الرضي، قم.
٨٦. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
٨٧. معجم رجال الحديث، آية الله العظمى خوي، بيروت، ١٩٨٣ م.
٨٨. المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٧٣ ش.
٨٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، الدار الإسلامية، ١٤١٠ هـ.

٩٠. المعجم الوسيط، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
٩١. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي.
٩٢. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، قم، منشورات رضي، ١٤١٤ هـ.
٩٣. الدين في مسيرة التكامل (بالفارسية)، الدكتور حسين مدرسي طباطبائي، منشورات داروين، إمريكا، ١٣٧٤ ش.
٩٤. مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام محمد تقي الموسوي الأصفهاني، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٤ هـ / ١٣٦٣ ش.
٩٥. الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر عليه السلام ابن طاووس، الطبعة السادسة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٩٦. الملل والنحل، جعفر السبحاني، نشر مركز إدارة الحوزة العلمية في قم.
٩٧. الملل والنحل، الشهرستاني، منشورات الشريف الرضي، قم.
٩٨. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني، دارالأضواء، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٩٩. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام لطف الله الصافي الكلبايگاني، مكتبة الصدر، طهران.
١٠٠. من هو المهدي، أبو طالب تجليل التبريزي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ.
١٠١. مهج الدعوات ومنهج الدعوات، سيد بن طاووس، منشورات سنایی.
١٠٢. النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، الدكتور صيف الله يحيى الزهراني، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
١٠٣. الواقفية، رياض محمد حبيب الناصري، مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام، نشر مهر، قم، ١٤٠٩ هـ.
١٠٤. وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٧٦ ش.
١٠٥. يوم الخلاص، كامل سليمان، نشر آفاق، طهران، ط الثالثة، ١٣٧٦ ش.